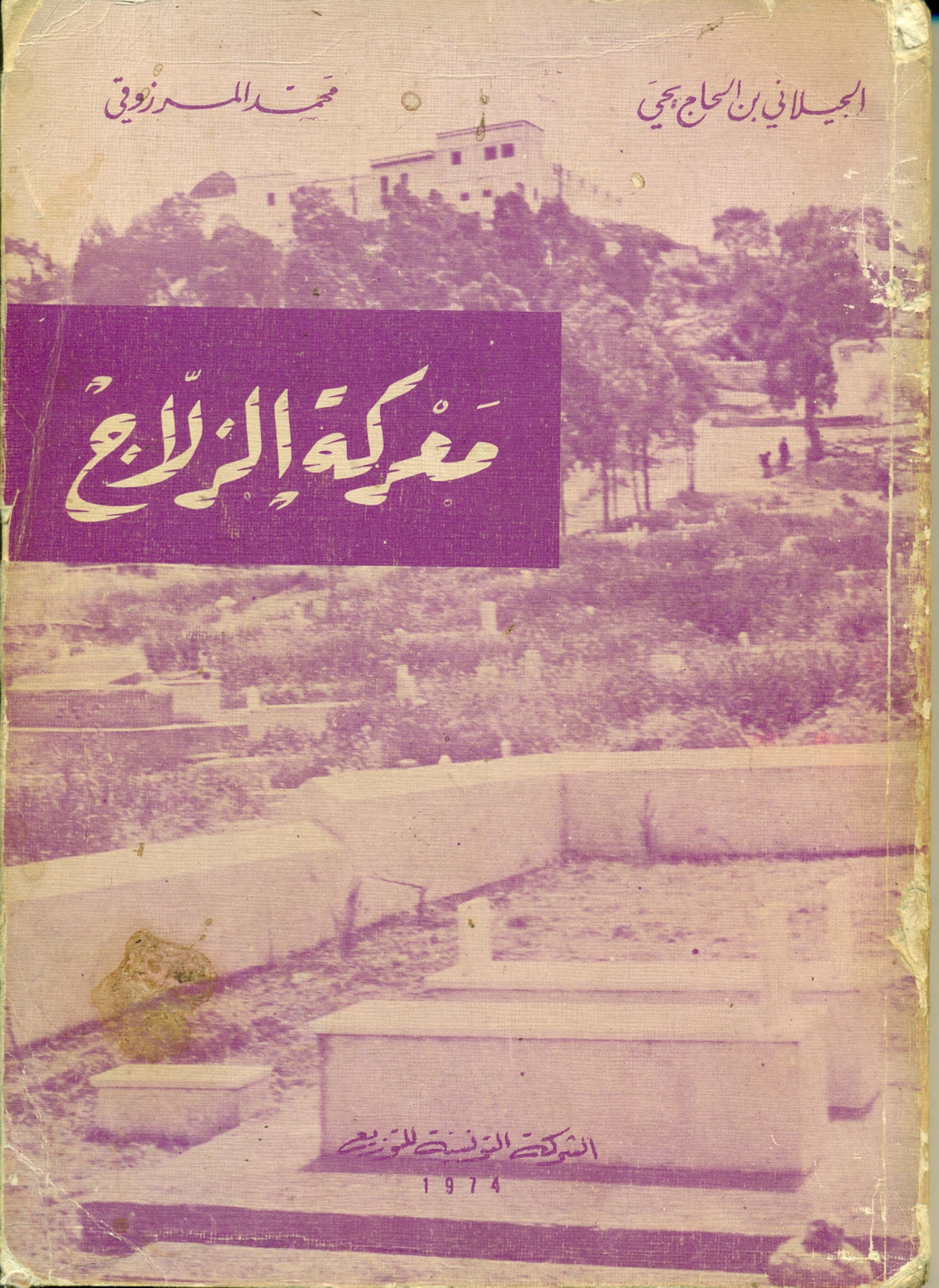

الجيلاني بن الحاج يحي
محمد المرزوقي
معركة الزلاج
الشركة التونسية للتوزيع
1974



معركة الزلاج

1911

الطبعة الثانية

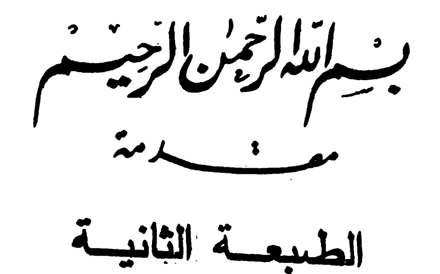
الشركة التونسية للتوزيع
1974

الإهداء

إلى أرواح شهداء الكفاح الوطني التونسي
الذين قدموا أرواحهم قربانا في سبيل
تحرير الوطن العزيز، واسترجاع
سيادته لأبنائه.

وإلى الجيل الصاعد الذي ينعم في ظلال
الاستقلال والسيادة بفضل تضحيات
شهدائنا الأبرار، نقدم هذا العمل المتواضع
إحياء لذكرى أبطالنا الميامين، وعبرة
لشبابنا المتحفز.

المؤلفان



الطبعـــة الثانيـــة

ان « معركة الزلاج » تعتبر من ابرز مظاهر تحديات الشعب التونسي ضد الاحتلال الاجنبي ، ومحاولة هــذا الاحتلال طمس مقومــاته الشخصية والوطنيـــة .

ومن هذا الجانب ، فان كتاب « معركة الزلاج » يعتبر وثيقة هامة ، وصفحة من صفحات جهادنا الوطني ، وتسجيلا لانتفاضة كان لها ما بعدها في تاريخ ذلك الجهاد .

لقد نشرنا هذا الكتاب منذ سنة 1961 ، فكان من الطبيعي ان تنفد تلك الطبعة لما لقي الكتاب من اقبال ورواج ، فالحاجة اليه ماسة ، والرغبة في اقتنائه حثيثة ، خاصة انه لم تظهر دراسات جديدة حول موضوعه تزيد من الشرح والتحليل والاستنتاج لتلك الانتفاضة ، وهو ما كنا تمنيناه وحثثنا عليه شبابنا في الطبعة الاولى .

والملاحظ اننا لم نــزد شئيا على الــطبعة الاولى ســوى ادخال بعض الاصلاحات والتعديلات الخفيفة عما كانت عليه الطبعة الأولى .

واملنا ان يفي الكتاب بالحاجة التي وضع من اجلها .

ولا يفوتنا ان نثني على الجهود الموفقة التي تبذلها « الشركة التونسية للتوزيع » في سبيل نشر الكتاب التونسي والتي رغبت — مشكورة — في اعادة طبع هذا الكتاب مساهمة منها في نشر وثائق تاريخنا الوطني ، ونضالنا التحريري . والله الموفق للصواب .

تونس في 7 مارس 1974

المؤلفـــان

الفصل الأول

أسباب المعركة

تنسب الصحف الاستعمارية اسباب معركة الزلاج الى التعصب الديني في القلوب والذي حركته في زعمهم الحرب الايطالية الطرابلسية والدعاية الدينية التي بثها الاتراك اذ ذاك في العالم الاسلامي .

ونحن لا ننكر ان الحرب الطرابلسية التي اندلعت نتيجة هجوم الايطاليين على مدينة طرابلس الغرب في 29 سبتمبر 1911 كان لهـا الصدى البعيد والتاثير العميق في نفوس التونسيين . ولكننا ننكر أن تكون هذه الحرب هي السبب الرئيسي في حصول معركة الزلاج .

فمعركة الزلاج — في الواقع — حلقة مـن حلقات المقاومة الشعبية المتعددة التي كان يعبر فيها الشعب التونسي — في مختلف الفرص — عن غضبه وعدم رضاه عن الحماية الفرنسية ، ويحاول بشتى الوسائل أن يتخلص من كلكل الاستعمار الجاثم على صدره . وقد ظهرت هذه الانتفاضات في مقاومة المدن والقرى وعند البدو الرحل لجيوش الاحتلال من أول يوم رغم النداءات التي كان يوجهها الباي الى الشعب قصد تهدئته والحد من غضبته المليئة بالوعود والتطمينات .

وربما اغتنم الفرنسيون الكلمة التي كان الشعب يطلقها على المستعمرين في ذلك الزمن وهي كلمة « النصارى » فاتـخذوا منها ذريعة ليشوهوا الانتفاضات الشعبية ويصفوها بانها تعصب ديني . مع أن الواقع الصريح يكذب هذا الزعم اذ لو كان للتعصب الديني دخل في هذه القضية لظهرت بوادره قبل الاحتلال ؛ فتونس كانت مـؤيلا لعشرات الآلاف من الايطاليين والفرنسيين والمالطيين وغيرهم من مختلف الأجناس ، وكانوا يعيشون في راحة واطمئنان جنبا لجنب مع التونسيين بـل كانوا لا يلاقون الا التبجيل والاحترام من مختلف الطبقات وينعمون بحماية المواطنين حتى في أيام ضعف

الحكومة وعجزها عن بسط الامن في البلاد ؛ فقد يتعرض التونسي ، ابن البلاد ، الى الاعتداء من طرف قطاع الطرق والثائرين على الحكومة ، ولكن الاجنبي لا يتعرض الى شيء من هذا كله .

اذن ، فالمسالة ليست مسالة تعصب ديني . ولكنها انتفاضات سياسية يحاول بها الشعب ان يتخلص من الاستعمار ويسترجع حريته وكرامته . واذا تعرض بعض الايطاليين بالخصوص للقتل في معركة الزلاج فما ذلك الا رد فعل ودفاع عن النفس ، ذلك لان الايطاليين اظهروا ما تكنه انفسهم من حقد على هذا الشعب المضياف الذي آواهم وحماهم ومكنهم من سبل العيش الشريف ، فاغتنموا فرصة الواقعة وبداوا الشعب الأعزل بالشر فغدروا وقتلوا وساندوا المستعمرين باسلحتهم ، وطعنوا جماهير المتظاهرين من خلف .

قلنا : ان السبب الرئيسي في معركة الزلاج هو غضب الشعب على الاحتلال الاجنبي ، وانتفاضة سياسية للتخلص من الاستعمار . بيد أن ظهور هذا الغضب وحصول هذه الانتفاضة كانت لهما اسباب متعددة تجمعت كلها لتنفجر في ذلك اليوم المعين . ونحن نذكر بعضها فيما يلي :

1 ــ الحرب الطرابلسية

في 29 سبتمبر 1911 أي قبل واقعة الزلاج باقل من شهرين هاجم الاسطول الايطالي مدينة طرابلس الهادئة المطمئنة على حين غفلة من أهلها ، وانزل جيوشه ، واحتل المدينة بنية احتلال كامل هذه المقاطعة العثمانية اذ ذاك ، وسلخها عن الخلافة العثمانية، واتخاذها متسعا لعيش الايطاليين . فقام الشعب التونسي عن بكرة أبيه ضد هذا الغدر الاستعماري ، وشرع في اعانة المجاهدين بما في المستطاع . وتألفت اللجان والجمعيات لجمع التبرعات والاسلحة تمد بها الاشقاء الطرابلسيين المكافحين . وتقاطرت القوافل المحملة بالمؤن والذخائر تشق الحدود الجنوبية في طريقها الى طرابلس بالرغم من الحراسة المشددة من طرف الفرنسيين الذين كانوا يحاولون منع الاعانات عن المجاهدين الطرابلسيين مساعدة منهم لايطاليا على احتلال البلاد .

وقد شارك في هذا الكفاح جماعة من المتطوعين التونسيين الذين مات كثير منهم على ارض طرابلس الشقيقة . وكانت الدعاية لفائدة الجهاد الطرابلسي تغمر السهل والجبل والمدن والقرى بحيث لا يوجد حديث بين التونسيين الا عن الجهاد بطرابلس وبطولة المجاهدين . وقد سرت هذه الدعاية حتى في اوساط حراس الحدود من التونسيين فكانوا يغضون الطرف احيانًا عن القوافل التي تمر امامهم لاعانة إخوانهم .

حدثنا المرحوم « محمد بن عبد العظيم » شاوش الصبايحية بالحدود الجنوبية قال : جاءنا أمر بوجوب العثور على قافلة تتركب من عدة جمال محملة بالاسلحة في طريقها الى المجاهدين الطرابلسيين يقودها السيد « عبد الله بن عبد العزيز الحمروني » وحجزها والقبض على رجالها ؛ فركبت مع اثنين من الصبايحية سالكين المظان التي يمكن أن تمر منها القافلة . وفعلا لحقنا بها قرب الحدود . وحالما رآنا اصحاب القافلة شهروا اسلحتهم واستعدوا للمقاومة . ولاحظت على رفيقي الخوف والرعب فتركتهما واقفين وطلبت منهما انتظاري وقصدت القافلة راجلا وحدي وسلاحي في يدي . وحين صرت على بعد خطوات منهم صاح بي السيد « عبد الله بن عبد العزيز الحمروني » أن : قف ! والا قتلت فاجبته : اني لم آت لحرب . وتهديدي بالموت لا يرجعني عن قصدي ، فلم يتردد أن أمر باطلاق النار . ولكن احدا لم يستجب له ولاحظت ان بعضهم دخل معه في مناقشة . ثم أمرني بالتقدم . وانكشف السر حين وصلت وحييته اذ تقدم لتحيتي عدة أفراد من ابناء بلدي « المرازيق » وتبين أنهم عرفوني من صوتي فلم ينفذوا أمر رئيسهم وافهموه من انا ، وانه لا خوف مني اذا عرف كيف يحرك حماستي ويوقظ ضميري .

قال لي السيد (عبد الله) : ماذا تريد منا ؟ اننا مسلمون ذاهبون لنجدة اخوانك المسلمين المجاهدين بطرابلس ، ونحن على خطوات من الحدود ، وليس معكم فرنسي من حسن الحظ ، فبحق الاسلام اتركنا نذهب في سبيلنا . واذا ابيت فاننا سندافع الى الموت .

فقلت : انتظر حتى استشير صاحبي .

وانطلقت الى صاحبي الواقفين وافهمتهما ان أصحاب القافلة لا يريدون

الاستسلام ، وانهم على استعداد للمقاومة فان رايتما تنفيذ الاوامر فلنحارب ومآلنا الموت لا محالة ، وان رايتما ترك سبيل القافلة والادعاء باننا لم نرها ولم نستطع اللحاق بها فذلك اليكما .

فقالا ــ والرعب ماثل في اعينهما ــ بل نترك سبيلها ولا نعرض انفسنا للموت في سبيل النصارى .

فرجعت الى السيد « عبد الله » وبشرته فضرب بيده الى جراب جلدي في جنبه ، وأخرج كمشة من « اللويز » ــ نقود ذهبية ــ وطلب مني قبولها على وجه الهدية ،فرفضت وصارحته بانني لا أقبل الرشوة عن واجب مقدس ، ولو كان عندي مال لدفعته الى المجاهدين .

وعقب المرحوم على حديثه هذا بأنه بعد احالته على المعاش رأى السيد « عبد الله » بقابس واكرمه اكراما لا مزيد عليه .

هذه حادثة من عشرات الحوادث التي تدل على عدم اخلاص حراس الحدود لمأموريتهم ومشاركتهم في اجازة قوافل التموين والسلاح للمجاهدين بطــــرابلس .

وكان لتشدد فرنسا في منع الاعانات عن طرابلس المجاهدة اثر كبير في نفوس التونسيين جعلهم يدركون تآمرها مع الايطاليين على طرابلس فيتحول ذلك الى غضب عارم لا يترك فرصة للظهور الا اغتنمها .

2 ــ احتلال مدينة فاس

وقد سبق حرب طرابلس ، واقعة اخرى كان لها التاثير الفعال في اضرام نار الحقد على الفرنسيين هي : احتلال مدينة فاس بعد وجدة ومدن أخرى من طرف القوات الفرنسية الغاصبة في 21 ماي 1911 معتذرة حسب عادتها بحماية الجالية الفرنسية بينما الواقع أن ذلك الاحتلال كان تمهيدا لجبر سلطان المغرب على قبول الحماية التي وقعها مرغما في العام الموالي 1912 . وكانت هذه العمليات الاستعمارية محل اتفاق بين الدول الكبــرى التي اقتسمت مناطق النفوذ في العالم الاسلامي وشمرت كل واحدة عن ساعد الجد لاحتلال المنطقة المعينة لهــا .

3 ـ أسبــاب أخــرى

اضف الى ما سبق ما كان يجري بالبلاد التونسية من استفزازات ومظالم ؛ فمن ضرائب أثقلت كاهل الشعب ، الى احتلال المناصب الهامة في الادارات الرسمية من طرف الفرنسيين . ومن افتكاك الاراضي الخصبة واعطائها للمعمرين الاجانب وحرمان أهلها منها ، الى تمييز يثير الحفائظ في المرتبات والاجور الخ ، مع سكوت السلطة التونسية المتمثلة في الباي واعوانه عن هذه المظالم وهذا الاغتصاب لجميع سلط البلاد ومقدراتها ، مما جعل الغضب يغلي في النفوس ، والنار تضطرم تحت الرماد ، في انتظار فرصة يعبر فيها الشعب عن غضبته ويعلن فيها عن ثورته .

وكان من أعظم هذه المظالم واشدها وقعا على الشعب هي مظلمة الضرائب التي تتوسع وتتراكم عاما بعد عام حتى أثقلت كاهل الشعب الضعيف الفقير ؛ فكانت الاموال تسلب من الشعب لتمول بها السلطة الاستعمارية مشاريع الاستعمار . وكان الشعب قريب عهد بثورة عارمة علــى الضرائب التي احدثها الصادق باي قبل الاحتلال ، تلك الثورة التى عرفت بثورة « على بن غذاهم » وجاء ت فرنسا فلم تكتف بالضرائب القديمة التي ثار من أجلها الشعب بل اضافت لها ضرائب جديدة متنوعة لا يعرف لها اول ولا آخر حتى أصبح التونسي لا يكاد يدفع ضريبة حتى يحل دفع اخرى وهو لا يكاد يفرق بينهما

ولم يستطع الشعب اعلان الثورة المسلحة ضد الضرائب كما فعل ذلك قبل ، فقاوم بالاحتجاجات والعرائض والمقــالات في الصحف . ومن هذه الاحتجاجات رسالة الفها المرحوم الشاذلي درغوث احد رجــال الحركة الوطنية في ذلك الوقت وطبعها ووزعها وارسل نسخا منها للسلط المحلية في شهر سبتمبر 1910 وكان عنوان هذه الرسالة : « رسالة الشكوى الاهلية من كثرة الضرائب والصانتيمات الاضافية » وتقع في ثمانية فصول وخاتمة و 55 صفحـــــة

وجاء في خاتمة هذه الرسالة ما يلي :

« ان التونسيين اجمعين يطلبون من الدولة اسقاط هذه الضرائب التي لم يبق ريب في فداحتها والعمل في قيس المزارع بالبذر لا بالمساحة كما كانت

لحالة قبل ، ويؤملون منها التخفيف من غيرها اذا كان لها قصد في عمران المملكة وسعادة اهلها . وقد تبين بالمحسوس أن الجباية التونسية كثيرة ، وفوق مقدرة أهلها . فالرفق فيهما يعين على انتشار عمرانها فاذا قيل لنا ان الدولة محتاجة الى المال لكثرة مشاريع الاصلاح عندها نجيب القائل بأن الاصلاح أمر حسن ومراعاة الثروة الاهلية وحفظها من التلاشي احسن منه .

وقد كان في الامكان التأني في انجاز المشروعات العامة والسير بها على مقتضى ثروة المملكة وبهذا الصنيع يتم الاصلاح بدون أن تمس مكاسب السكان بسوء وهذه حقيقة لا جدال في لياقتها وحسنها .

علـى قـدر الكسـاء أمد رجلـي فان طـال الكسـاء أمـد اخـرى

ويطلب التونسيون أيضا من الدولة باسم الانسانية التسوية في الضرائب مع الأوروبيين ؛ لأن اعفاء هؤلاء من بعضها لا يليق صدوره من دولة شعارها العدل والمساواة. فالتسوية فيها فوائد كثيرة منها حصول الخفة بالتوزيع كما قـال الشـاعـر :

اذا الـحمـل الثقيـل تـوزعتـه اكـف القـوم خف علـى الرقـاب

ومنها امتلاك القلوب ؛ لان الـعدل هو الوسيلة الـوحيدة في جلبها والاستحواذ عليها فاذا كان الاوروباوي يمتنع من الضرائب ويأنف منها على ما هو عليه من الغنى والعلم والمقدرة على الكسب فكيف بالاهـلي الفقير الجاهل العاجـز .

ونلاحظ هنا أن الشكايات التي قام بها الاهالي لم يكن القصد منها معارضة الدولة أو التنكيل بأحد ما ، وانما القصد منها دفع ضـرر تصوره التونسي بوجه قطعي ويؤيد هذا طباعه التي عرف بها وهي لين الجانب والانقياد . وقد برهن مرارا عديدة على اعتباره للدولة وانقياده لرجالها . ولكن لكل شيء حد يقف عنده فقد بلغ السيل الزبى وطفحت الكأس وعيل صبر التونسي من الاداءات المتراكمة التي قصر باعه وعجز كيسه عن الوفاء بها . فشكوى الاهالي من الضرائب الجديدة معقولة وحجتهم على فسادها واضحة لا غبار عليها . وهي من باب من كلف مأموره فوق طاقته مهدله عذرا في مخالفته ومن أراد ان يطاع فليأمر بما يستطاع . ولنمسك عنان القلم ونختم الرسالة وانّ

كان موضوعنا قابلا لزيادة البسط والاطناب لان خير الكلام مـــا قل ودل .
ونقدمها الى رجال الدولتين الحامية والمحمية راجين منهم النظر فيما يعود على الرعية بالصلاح ويسوقهم الى طريق النجاح حتى يرجع الى المملكة عمرانها الذي كان لها في قديم ازمانها بالاشجار الباسقة والثمرات المتناسقة . وذلك ليس بغريب الحصول عليه اذا سلكت الطرق الموصلة اليه فاحسن شيء لدى النفوس الكريمة ومحبي الخير للبشر تمام العمران المنتشر » .

4 ــ مقبــرة الــزلاج

وجاءت هذه الفرصة متمثلة في محاولة بلدية تونس تسجيل مقبرة الزلاج .
وقبل ان نتحدث عن هذا التسجيل وأسباب معارضة الشعب له يجـب أن نذكر شيئا عن هذه المقبرة وأصل تسميتها وتحبيسها على اموات المسلمين .

عن للسيد محمد الزلاج القيرواني أن يشتري دارا بتونس العاصمة ، وكان رجلا تقيا صالحا . فسلم نصيبا من المال لاحد غلمانه وارسله للعاصمة لهذا الغرض ، وحضر هذا الغلام التقي الصالح كسيده الى تونس ، ودخل الجامع الاعظم للصلاة ، فشاهد صفوفا من جنائز الموتى جاء بها اهلها للصلاة عليها بالجامع ، ودفعته عاطفته الدينية للخروج وراء الجنائز مع المشيعين وشاهد ضيق المقابر الموجودة بالعاصمة مع كثرة الاموات الناتجــة عن انتشار الامراض وقلة العناية بالصحة العامة ، وسمع تشكيات التونسيين من عدم وجود مقبرة فسيحة الرقعة لتقبل اموات المسلمين ، ففكر الغلام في الامر ــ وكان يعرف أن سيده ليس في حاجة الى دار للسكنى ــ وأن قصده من شرائها انما هو استثمار مال زائد عن حاجته . وكان يعلم ما عليه صاحبه من صلاح وحب لاعمال البر والخير ، فاندفعت الى عقله فكرة قام بتنفيذها في الحـــال .

سال عن ارض تقع بضواحي العاصمة تصلح مقبرة للمسلمين فدلوه على « هنشير » معروض للبيع على ملك احد اليهود ، وكان هذا الهنشير يمتد من خارج : باب علاوة » الى مقربة من جبل الجلود جنوبا ، ومن ساحل بحيرة تونس الى قرب « باب الفلة » غربا ويشمل كامل مساحـــة « جبل التوبة » « بجبل سيدي ابي الحسن » الآن فبادر الغلام بشرائه من اليهودي وأوقفه

باسم سيده « محمد الزلاج » على أموات المسلمين ، ورجع الى صاحبه الذي سأله : هل اشتريت الدار ؟ فأجابه : اني اشتريت لك دارا في الآخرة ، وحدثه عما فعل فصادق على ما فعل وشكره على تصرفه .

وهكذا أصبح هنشير اليهودي القديم ، مقبرة للمسلمين نسبت الى واقفها « محمد الزلاج » وتلقت عددا عظيما من العلماء والصلحاء والأمراء والأعيان بحيث تعتبر أقدس مقبرة لدى سكان العاصمة وخير مزار يتبركون بقبوره ويتلقون العظة والعبرة من سكان روضاته وقبابه .

ومما زاد هذه المقبرة اعتبارا لدى السكان واسبغ عليها قدسية خاصة اشتمالها على « مغارة ابي الحسن الشاذلي » الصوفي المشهور المنتشرة طريقته بين السكان منذ فجر القرن الثامن للهجرة . وهذه المغارة كانت موضع عبادة الشاذلي واعتكافه ايام وجوده بتونس . ولا يزال أصحــاب طريقته يزورونها اسبوعيا ويعقدون فيها حلقات الذكر والاوراد الشاذلية ، كما تضم المقبرة قبور كثير من العلماء الاعلام الذين طارت شهرتهم في الآفاق أمثال ابن عرفة الفقيه المشهور .

ولما كانت هذه المقبرة وقفا من أوقاف المسلمين فهي راجعة ــ قانونيا ــ الى نظر « جمعية الاوقاف » بيد أن هذه الجمعية أعلمت البلدية التي تهمها مسألة الاموات بانها ــ اي الجمعية ــ لا تستطيع الاشراف على هذه المقبرة التي لا تتمتع باي وقف يضمن لها دخلا يقوم بشؤونها فتــولت البلدية امر المقبرة والقيام بشؤونها بصفة رسمية .

وكان بعض الناس قد عمد الى فتح محاجر في جبل التوبة الداخل في ارض الوقف يقتطعون منها الاحجار المعدة للبناء فاتخذت البلدية ذلك ذريعة لتسجيل أرض المقبرة وقدمت في ذلك طلبا الى المحكمة العقارية المختلطة بتاريخ 26 سبتمبر 1911 ممضى من كاهية رئيس البلدية ــ حينذاك ــ ومن المعروف ان رؤساء البلدية في ذلك الوقت ليسوا الا آلات تقتصر مهمتهم على امضاء ما يقدم اليهم من المهمات اذ أن النفوذ الحقيقي في البلدية وتصريف شؤونها كان بيد كاهية البلدية المفوض الفرنسي يعتمد على أغلبية من الاعضاء الفرنسيين في المجلس الذي توجد فيه أقلية من التونسيين المعينين تعيينــا من طرف

الفرنسيين .

ونشر مطلب التسجيل في الرائد الرسمي التونسي في شهر اكتوبر 1911 تبعا للاجراءات القانونية الجاري بها العمل . وعين يوم 7 نوفمبر 1911 لعملية التسجيل . ووجهت الدعوة الى سكان العاصمة بوصفهم أصحاب المقبرة لحضور عملية التسجيل بالمقبرة في اليوم المذكور .

ويظهر أن السيد « الصادق غيلب » شيخ المدينة ورئيس البلدية كان معارضا للتسجيل وراغبا — في دخيلة نفسه — في تعطيلها (فقام بحملة اشهارية واسعة النطاق لحث سكان العاصمة على الحضور واستعمل لأول مرة في التاريخ اللافتات الاشهارية ووزعها على كافة الاحياء والدور وأمر بتعليقها في المحلات العمومية والشوارع . وفعلت هذه الدعاية مفعولها في النفوس ؛ فما ان انتشر الخبر حتى تشوش الفكر العام وعم التاثر والاستياء وتحرك ساكن الغضب ، وتتابعت الاحتجاجات من كافة الطبقات وطبعت صور الاعتراضات وكان المضمون فيها يعدون بالآلاف) «1» يدفعهم لذلك الاعتقاد الشعبي ألذي يرى ان العقار المسجل يتلبس بالجنسية الفرنسية ؛ لانه يصبح من انظار المحاكم الفرنسيــة — قانونيا — والمحكمة العقارية المختلطة ، أو — المجلس المختلط — كما كان يسمى لا ينظر له التونسيون الا كمحكمة فرنسية ، لان رئيسها فرنسي واعضاءها فرنسيون وتونسيون من رجال الشريعة الذين يعتبرهم الشعب آلا تمسيرة في يد الفرنسيين جيء بهم لتلك المحكمة للدعاية وذر الرماد على العيون . هكذا يعتقد الشعب وقد راجت اشاعة — وما اكثر الاشاعات في مثل ذلك الظرف — مفادها أن القصد من تسجيل أرض المقبرة انما هو اخذ جانب منها لتشقــه السكة الحديدية للترام . وقد كان الشعب يبغض شركة الترام لانها لا تستخدم الا الأجانب وعلى الاخص الايطاليين ، وتسد الباب في وجه التونسيين ، وسلخ جانب آخر لاضافته الى الطريق رقم (1) الرابط بين العاصمة وجنوب البلاد .

وأمام الاحتجاجات المتهاطلة والجو المكــهرب في المدينة والاشاعات المتتالية التي تزيد في اضرام نار الغضب والتهجمات علــى اعضاء البلدية

«1» — مجلة الاذاعة التونسية عدد 40 السنة الثانية

التونسيين ، وكان معقل الاحتجاجات والاعتراضات ووقــود نار الغضب الرهيب المساجد والجوامع وعلى الاخص جامع الزيتونة المليء بالشباب المتحمس لاسلاميته وعربيته . أمام هذا الخطر الداهم ، الذي ظهرت بوادره ، تقدم المرحوم السيد عبد الجليل الزاوش النائب البلدي التونسي بطلب الى المجلس في اجتماعه يوم 2 نوفمبر 1911 في التراجع عن عــملية التسجيل محذرا المجلس من حصول حوادث خطيرة قد تسيل فيها الدماء فقرر المجلس سحبمطلب التسجيل وتقدم بذلك رسميا الى المحكمة العقارية المختلطة .

وفي يوم 6 نوفمبر أعلم شيخ المدينة السكان بعدول البلديـــة عن مطلب التسجيل في اجتماع بجامع الزيتونة . بيد أن هذا الاعلام لم يصدقه الشعب ، واعتبره حيلة لابعاده عن المقبرة حتى تتم عملية التسجيل . ولذلك تسربت الجماهير يوم 7 نوفمبر منذ الصبا حالباكر الى المقبرة وزاد شكهم رسوخا حين وجدوا أبواب المقبرة مغلقة في وجوههم بامر مـــن السلطة فتخطوا الاسوار ودخل منهم جمهور الـــى المقبرة بينما ربضت جماهير غفيرة أمام المقبرة في « باب علاوة » والشوارع المؤدية له قدرت باكثر من عشرة آلاف .

كان يوما عابسا ينذر بالشر . السماء مظلمة ملبدة بالغيوم ، والسحب كثيفة ، والرياح الباردة تزمجر وتصفع الوجــوه بلمسات زمهريرها النافذ الى العظام ، والمدينة مغلقة الابواب ، والاسواق خاوية على عروشها ، كل شيء غاضب : الطبيعة والبشر ، لا ينتظر هذا الغضب الا حركة من الحركات لتنفجر براكينه ويضطرم جحيمه .

وحوالي الساعة السابعة صباحا حضر شيخ المدينة ورئيس البلدية السيد « الصادق غيــلب » يصحبه مــندوب الكــاتب العام للحكومـــة التونسية ــ الفرنسي ــ ووصل « الم شرلي » مندوب المجلس المختلط مصحوبا بمترجمه كما حضر مهندسو ادارة القيس واعوانهم وكانت جماعة من أعوان الامن برؤسائهم رابضة في المكان .

وافهم السيد « الصادق غيلب » الجماهير انه لا داعي للتجمهر والتشويش ما دام العدول عن عملية التسجيل قد وقع فعلا . وتحول الى الم شرلي يعلمه بقرار البلدية ، فرجع الم شرلي من حيث اتى .

ولكن رغم ذلك فالجماهير لم تصدق ، وقد ازدادت شكوكها وتراقصت في الرؤوس اسئلة كثيرة واستفهامات عديدة .

ـ اذا كانت عملية التسجيل قد وقع العدول عنها حقا فلماذا حضر مندوب المجلس المختلط ؟ الم تدع البلدية انها ابلغت المجلس سحب مطلبها ؟

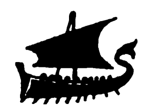
ـ ولماذا يحضر اعوان ادارة القيس ؟ ايجهلون ايضا سحب المطلب ؟

ـ ولماذا تتكدس قوات الامن بالمكان ؟

ـ ولماذا تغلق ابواب المقبرة ويمنع الناس من دخولها ؟

ـ ولماذا ؟ولماذا ؟

اسئلة لم تجد الجماهير لها سوى جواب واحد ، وهو أن السلطة كانت عازمة على اتمام عملية التسجيل ، وأن سحب المطلب وابلاغ شيخ المدينة نبأ السحب للناس انما هو حيلة لابعادهم عن المكان حتى تتفرغ السلطة لاتمام ما جاءت لاجلـــه .



الفصل الثاني

المعــركـــة

خشي شيخ المدينة وقوع الكارثة وهو يرى الشر فــي عيون الجماهير فحاول افهامهم وصرفهم باللين فصارحه بعض المتجمهرين بشكوك الناس وطلبوا منه ــ كعربون على صدقه ــ أن يتفرق أعوان الامن ومندوبو السلطة ويأذن بفتح أبواب المقبرة .

ويظهر أن أعوان الامن كانوا راغبين في احداث مجزرة فلم تفتح الابواب ، ولم يتفرق الاعوان ، بل شاهدت الجماهير تقاطر أفواج جديدة منهم على المكان ، فغلى مرجل الغضب وصاحت الجماهيــر في وجه شيخ المدينة وتناثرت كلمات التوبيخ والسباب والمناداة بخيانة شيخ المدينة من أفواه بعض الشبان ؛ فخف البوليس حالا للقبض علىعدد منهم ارسلوا مخفورين الى السجن . واذ ذاك انهار السد وهجم الجمهور على شيخ المدينة وأحاطوا به من كل مكان ، وأفهموه أنه لن يفلت منهم حتــى يطلق سراح اخوانهم ؛ فاضطر كوميسار البوليس « اسبيو » الى الوعد باطلاق سراحهم حالا وتظاهر بالذهاب الى مأموريته . وهناك تمكن الاعوان من الوصول الى شيخ المدينة وابعاده عن الجماهير الغاضبة . ثم اطلق البوليس النار فجاة على الجماهير فتساقط عدد من الجرحى والقتلى . وتدعي الصحف الاستعمارية أن النار لم تطلق الا بعد ان تعرض الكوميسار لضربة عصا على رأسه ولطمة حجر على خده ، وهو في طريقه الى السجن لاطلاق المقبوض عليهم «1» ودارت رحى المعركة بين شعب اعزل يقابل جلاديه المسلحين بالاسلحة النارية بضرب العصي ورمي الاحجار .

ولم تكد تنشب المعركة ويستعمل البوليس اسلحته النارية فيتساقط الشباب كالذباب وترى الجماهير الدماء البريئة تغطى الساحات والشوارع فتزيد في

«1» ــ الدبيش تونيزيان عد د7742 في 8 نوفمبر 1911 .

اضرام جذوة الحماس الشعبي وتتقدم الجماهير هاتفة :

« الجهاد في سبيل الله !! » .

وترتمي على الاعوان بعصيها واحجارها وخناجرها معرضة صدورها للرصاص . واحس البوليس بعجزه أمام التيار الجارف ،لم يكد يقع هذا حتى دوت صيحة في الجماهير :

« الويل للغادرين ! »

واستفهم الناس عن الامر فوصلت الانباء من كل مكان بهجوم الايطاليين على الجماهير العزلاء بالسلاح .

غدر ونذالة :

ويظهر ان عطف التونسيين على اخوانهم الطرابلسيين في مقاومتهم للاستعمار الايطالي دفع الجالية الايطالية الى الحقد على التونسيين وكره العرب المسلمين . وكانت هذه النزعة الصليبية الاستعمارية تغذيها في نفوسهم جريدة « لونيوني » الايطالية الصادرة بتونس متعاونة في ذلك مع الجريدة الفرنسية « لاتونيزي فرانسيز » فتناسى الايطاليون كرم التونسيين وعطفهم عليهم ومساكنتهم لهم منذ أجيال كانهم أبناء البلاد تناسوا كل ذلك واغتنموا فرصة هذه الحادثة ليشفوا غليلهم من التونسيين بالقتل والضرب والوشاية .

وكانت أغلبية الجالية الايطالية تسكن في احياء باب علاوة وباب الفلة ونهج سيدي البشير وبطحاء بقيرة فاستغلوا نشوب المعركة في احيائهم وغدروا بالتونسيين من الخلف فقتلوا بالرصاص من النوافذ والسطوح ، وطعنوا آخرين بالخناجر حين التجاوا الى جهاتهم مطمئنين .

واستعر حماس الجماهير واندفعت تطارد الايطاليين وترد غدرهم بالمثل ، لا تفرق بين المحارب والمسالم ، فكلهم اجانب وكلهم غادرون معتدون ، والكفر ملة واحدة ، كما يقول المثل المعروف في ذلك العصر .

قالت جريدة « الديبش تونيزيان » الصادرة صباح 8 نوفمبر واصفة احتدام المعركة اثر اطلاق الرصاص على المتظاهرين :

« كانت الضربات تتهاطل كالبرد ، والاحجار تتساقــط على الشرطة ، وانطلقت عيارات نارية من المسدسات (اي مسدسات الشرطة) لم نتمكن من معرفة نتائجها ، ولكن أعوان الشــرطة كانوا يضعفون أمام هجمات الجمهور ويسقطون واحدا بعد واحد .

وعلى اثر تخليص شيخ المدينة (من الجماهير) ووضعه في مكان مأمون ، كان جبين المفتش « سولي » مشجوجا وساعده الأيمن قد اخترقته رصاصة ، وكان شعر المفتش « دوران » قد طار عن جانب كبير من رأسه ، وجرح الاعوان « بيقى — وفواتي — ورابيار » جروحا بليــغة ومات البريقادي « فرانكي » ، ونقل الجرحى والموتى فورا الى المستشفى المدني «1» ?

وقدمت في تلك اللحظة الى المكان عربة الترام رقم 73 ، وكان سائقها ايطاليا فهاجمها الجمهور وأصابوا السائق بضربات عصيهم ، ولكنه تمكن من الفرار ، وحطموا العربة تحطيما .

ورميت قطارات حمم الانف وبنزرت بالحجارة عند مرورها وجرح بعض المسافرين بشظايا الزجاج المحطم .

وكان « الم . بيش لاتور » مراقب مصالح الشرطة وسط المعمعة . وكان منفردا عن فرقة أعوان الامن فاوشك ان يقع في خطر لو لــم يعرفه أحد الاهالي الذي غطاه ببرنسه قائلا لأصحابه : دعوا هذا الضابط الفرنسي يمر . فأفسحوا له الطريق فورا «2» وبذلك تمكن من التخلص من الموت . وبعد وصول « الم . لاتور » الى الباب امتطى سيارة وقصد مركــز قيادته طالبا نجــدة الجيوش .

ولما بلغت انباء الحوادث الى علم المسيو « ليال » مدير الشرطة السرية طلب تسخير فرقة من الزواف وأخرى من « الشاسور دافريك » .

«1» — وقع نقل الفرنسيين والاجانب الى المستشفى بسرعة ، اما موتى المواطنين وجرحاهم فلم ينقلوا الا بعد انتهاء المعركة ، هكذا روى لنا احد شهود العيان .

«2» — ليست هذه العملية الوحيدة التي يقوم فيها التونسيون بحماية المستعمرين ، اما هؤلاء فطالما غدروا باللاجئين اليهم فقتلوهم ومثلوا بهم .

وحالا وصلت فرقة « الزواف » وكان عدد رجالها ستين تحت قيادة الملازم « بينلي » فانتشروا ببطحاء باب علاوة لتخليص باب المقبرة وباب المدينة . وعندما رأتهم الجماهير ازداد الغضب والغليان خصوصا عندما أمرهم الجنود باخلاء المكان ، فامتدت أيديهم الى الأحجار ، وقذفوا الجنود بوابل منها ، واصابت واحدة قبعة الملازم « بينلي » واصابت اخرى وجهه . وجرح أيضا بعض الجنود فتأهبوا لاستعمال بنادقهم وصوبوها نحــو الجماهير متهيئين لاحداث مجزرة كبيرة .

(وهنا حاول محرر الجريدة ان يبرىء ساحة الجنود من الجريمة فذكر أن قائدهم منعهم من اطلاق النار الا في الفضاء ، مع أنهم احدثوا مجزرة سقط فيها عشرات من الجرحى وبعض القتلى ، على أن المحرر لم يستطع الانكار الى النهاية فاقر بجزء من الواقع فقال) :

« ولم تخطىء الا رصاصة واحدة أصابت أحد الموجودين في الصفوف الاولى بجروح قاتلة ، وتقدم الجنود رويدا رويدا تحت وابل من الحجارة حتى وقع احتلال باب علاوة احتلالا عسكريا .

بنهج سيدي البشيــر

بعد تخليص الاماكن القريبة من المقبرة بقي نهج سيدي البشير . وكان ذلك النهج الطويل الرابط بين باب الجزيرة وباب علاوة يكتسي اهمية كبيرة من ناحية مواصلات أحواز العاصمة مع قلب المدينة ، كان ذلك النهج محتلا من أسفله الى أعلاه من طرف جمهور صاخب يصعب تخليصه منه .

وكان الاهالي جمعوا بالسطوح أكداسا من الاحجار يرمون بها أعوان الامن بيد أنه تجدر الملاحظة بأن ضرباتهم كانت تصيب الايطاليــن بالخصوص . وكان عدد كبير من الفرنسيين يمرون بتلك الجماهير المهددة بدون أن يقع

«1» — هذه شهادة صريحة بان التونسيين كانوا يقومون برد فعل مشروع وان ضربهم استهدف الايطاليين الذين غدروا بهم وساعدوا الجيش على تقتيلهم بينمـا تحاموا المدنيين الفرنسيين الذين لم يمسوهم .

22

مسهم بسوء «1» وكان الم . ريفردان » وكيل الجمهورية و « موسار » كاهية وكيل الجمهورية و « دالوز » حاكم التحقيق و « ليال » مدير الشرطة السرية و « بيش لاتور »مراقب الشرطة و « كورتلان » كاهية رئيس البلدية وغيرهم من محافظي الشرطة واعوان الامن محتشدين تحت باب علاوة .



محافظوا الشرطة ونفر من الجيش يحرسون باب علاوة يوم المعركة

وأذن الم . « ليكل » باتخاذ التدابير لتخليص نهج سيدي البشير ، وكان ثلاثون من اعوان الأمن تحت قيادة محافظي الشرطة « مرزاك » و « البيرتيني» و « فاجو » ، يردون شيئا فشيئا الاهالي المحتشدين في فرق متراصة .

وكانت فرقة من جنود الزواف من ورائهم على تمام الاستعداد لتمد يد المساعدة لهم ، فوقع تخليص نهج سيدي البشير حتى نهج بقيرة واحتل الجنود ايضا الأنهج المجاورة وخط السكة الحديدية لشركة « عنابة قالمة »

وكانت الأنباء تصل من دقيقة الى أخرى بأن الجانب الذي ما زال يحتله الأهالي العرب مسرح معارك طاحنة ضد الايطاليين .

وكانت تمر أمامنا عربات محملة بالقتلى والجرحى تخترق صفوف الجماهير الغاضبة يسوقها حوذيون بأيديهم مسدسات . وكان بعض السكان الايطاليين بذلك النهج يحاولون الدفاع عن انفسهم (؟) فكان رصاص المسدسات المنطلق من منازلهم يجندل العرب فيزيد في غضب المتظاهرين » «1»



عربـــة تحمـــل الجرحـــى

واستطرد محرر الدبيش بعد ذلك الى ذكر ما أصاب بني عمه من الايطاليين من طرف الجماهير الغاضبة فسال قلمه بوصف جرائم العرب (اي التونسيين) وفظائعهم وتعرض الى قتل سائقي حمالات الصليب الاخضر ، وعربة التموين التابعة لاخوات الفقراء وأحد عملة شركة السكك الحديدية من الايطاليين الخ .

«1» ـــ وهذه شهادة اخرى صريحة من محرر « الدبيش » في ادانة الايطاليين .

وحوالي الساعة العاشرة وصل جند « الشاسور دافريك » على خيولهم ، ودخلوا حالا المعركة ، وهجموا على الجماهير بخيولهم يسبقهم الرصاص الى صدور المتظاهرين ، وحملوا على الذين صمدوا بخيولهم مستعملين السلاح الأبيض على عادتهم . وقاومتهم الجماهير مقاومـــة يائسة فكانوا يضربون الخيول بالعصي والحجارة واشتبـــك بعضهم مع الفرسان وطرحوهم ارضا بيد ان السيوف كانت تشق رؤوسهم بدون شفقة ولا رحمة .



جند الخيالة في المعركة الى جانبهم وكيل الجمهورية ورؤساء الشرطة

ورغم القوة المادية للجيش فقد كانت الجماهير في كر وفر معهم ، وكانت تستطيع ردهم على أعقابهم أحيانا .

وفي الساعة الحادية عشرة تقريبا استطـــاع هجـــوم ساحق من طرف الجماهير إن يزحزح الجنود عن أماكنهم ، ويصل المتظاهرون الى المكان الذي يرابط به وكيل الجمهورية « ريفردان » ورفقـــاؤه من العدليين والبوليس . وكادوا يحيطون بهم لولا ان خفت فرقة من جند « الزواف » لحمايتهم وانقاذهم

من مخالب الموت بواسطة الرصاص بعد ان اصيب الم . « ليال » بحجر ضخم ا، صـــدره .

شهود عيـــان

حدثنا العم « خميس الطيح » القهواجي بنهج باب الفلة ، وهو احد شهود الحادثة قـــال :

« تجمعت خلائق يالها من خلائق في الجبانة ، ووصينا بعضنا بأن يحرس كل واحد منا قبرا لا يبرحه حتى الموت . وفي الصباح الباكر قدم اعوان التسجيل فاحاط بهم الناس وقالوا لهم : لن نسلم مقبرتنا ، وليكن ما يكون وحضر شيخ المدينة « الصادق غيلب » ، فاستقبله الناس بصيحة واحدة : لن نخرج من مقبرتنا ! وهكذا ابتدات المعركة ، واستطعت أن أخرج من الزلاج الى نهج سيدي البشير .

كان عمري اذ ذاك 12 سنة وكانت في يدي عصـــا غليظة حين ضرب احد الايطاليين « رابح دقلة » بمسدس وهرب الى الوكالة الكائنة بنهج سيدي البشير حيث كان يسكن فطار دناه . وخرج القاتل من وراء الوكالة على زنقة الشقيعي فتلقاه الناس هناك فقتلوه وكنت انا آخر من ضربه بالعصا وهو منطرح على الأرض ، وصارت السلطة تجمع الناس مـــن الشوارع جمعا فاخذت قتة بصل من عربة يد وجدتها امامي وسلكـــت الشارع فقبض علي فادعيت أنني كنت أبيع البصل . ولكنهم أخذوني الى السجن ببصلي حيث مكثت اكثر من خمسة عشر يوما . ثم احالوني على محكمة الدريبة فأطلقني حاكم التحقيـــق .

وتحدث العم خميس عن صاحبه : « الجيلاني بن فتح الله » (شهـــر « المعاز ») أحد المحكوم عليهم بالاعدام وابدل الحكم بالاشغال الشاقة وابعد الى « كايان » فقال : لقد رجع من « كايان » ، واتذكر انه قصد يوم رجوعه « قهوة التومي » فلم يعرفه أحد . وتجرأ احد اللصوص فسرق حقيبته فلما تفطن لذلك تذمر وأعلن للناس انه من ضحايا الزلاج ، ولما عرفوه وسمع السارق بذلك أرجع اليه حقيبته كاملة ، معتذرا عن فعلته ، وتسوغ الجيلاني

اثر رجوعه الفندق الكائن بنهج باب الفلة . وكان له فيه عربات يد للكراء وكان يجلس هنا في « قهوتي » ويحدثني عن حياته في « كليان » وذكر لي أنه تزوج هناك وترك ولدين . ولكن حنينه الى وطنه الجاه الى مفارقة ولديه ، وقد من الله عليه فحج مرتين وتوفي منذ اكثر من عام رحمه الله رحمة واسعة .

وسألنا العم « محمد عدالة » وهو شيخ نيف علـى السبعين ، ويعمل بالسوق المركزية للخضر ، عن ذكرياته عن معركة الزلاج ، وعرضنا عليه صور زملائه ضحايا المعركة ، فنظر اليها مبهوتا وقال :

« انكم تنقلونني بهذه الصور الى ايام شبابي ، ياحسرتاه ! هذا فلان وهذا فلان . وكان يشير باصبعه الى الصور وينطق باسماء اصحابها .

« نعم حضرت الواقعة ، واني لأتمثل ذلك اليوم الرهيب أمام عيني .

لقد نبه علينا محرك الحومة المرحوم « محمود الفخار » بأن نذهب الى مقبرة الزلاج صبيحة 7 نوفمبر لنعترض على عملية التسجيل . وامتلأت المقبرة بالآف من الخلائق انتشرت من باب المقبرة الـى زاوية سيدي ابي الحسن الشاذلي . وامتدت الخلائق على كامل الجبل حتى الباب الثاني الذي يفتح على منطقة باب الفلة . وكنا نشتم رائحة المعركة ، وعازمين على منع اعوان التسجيل بالقوة .

وابتدأت المعركة كما هو معروف . وكان البادي هم اعوان الأمن فسقطت بجانبي امراة مسلمة تسمى (بنت ابن مطي) كان بيدها سيف وهي تصيح (الجهاد في سبيل الله) فماتت شهيدة رحمها الله . وكنا نحن الرجال نقذف الاحجار فكنت ترى أحجارنا في الجو فوق اقواس باب عليوة كالسحاب ، وكان النساء والصبيان يجمعون الأحجار ويفرقون اكداسا على المجاهدين . وكانت النساء يزغردن ويصرخن (الجهاد في سبيل الله ! تقدموا يارجال — دافعوا عن دينكم) .

وكدنا نتغلب على اعوان الامن الذين اخرجناهم من المقبرة والجاناهم الى نهج سيدي البشير . والى ذلك الحين لم تكن لنا فكرة في قتل الايطاليين ، حتى بداونا بالشر وغدروا بنا فاطلقوا علينا النار من نوافذهم وسطوحهم . وهكذ انقلبت الآية فاتجهنا الى الايطاليين أيضا ، حتى تداخل جيش الخيالة

« الشاسور » وهو الذي فرقنا .

لقد كان أول من اطلق النار من الايطاليين ايطالي بنهج سيدي البشير خرج من منزله وقتل تونسيا يسمى « رابح » بمسدس وهرب . وحاول أعوان الحكومة حمايته فحالوا بيننا وبين مسكنه . ولكن المجاهدين تسللوا له من وراء مسكنه حين خرج هو من الخلف فقتلوه .



ضحية من ضحايا المعركة

أنا لا ادري كم كان عدد الموتى منا ومنهم . ولكني أتذكر اني مررت بنحو اثنتي عشرة جثة من الايطاليين» .

ثم حدثنا العم عدالة عن حادثة مقاطعة الترام بحديث أشرنا اليه في الفصل الخامس .

وحدثنا العم « محمد بن محمد بن محمود بن سليمان » الساكن بنهج الرابطة رقم 33 بتونس وهو شيخ يبلغ عمره نحو 85 عاما ، عن الواقعة بما لا يختلف عن الآخرين الا انه زاد « ان الجند كاد يفتك بالتونسيين قتلا وجرحا لولا وصول المرحوم عبد الجليل الزاوش الذي رفع عصاه وسط الجماهير وفوقها

منديل ابيض فأوقف الجند الضرب وطلب منهم أن يكفوا حتى يستطيع تهدئة النــاس » .

ويظهر أن بعض الناس أخطأوا فهم تلك الحـركة فظـنوا انه يأمرهم بالضرب ، وأن ذلك المنديل هو راية الجهاد . ومن هؤلاء العم « عدالة » .

وحدثنا احد الشيوخ أن الناس تجمهروا في ذلك اليوم أمام دار السيد عبد الجليل الزاوش وصاروا يصيحون : (اعطنا السلاح ياسي عبد الجليل لنخرج الفرنسيين والطليان من بلادنا !)

واستمر العم ابن سليمان يحدثنا عن مقتل اخيه « احمد بن محمد بن محمود بن سليمان !) فقال :

(كان أخي مصطفى يبيع اللبن بدكان بسوق البلاط فارسل يوم 3 ديسمبر 1911 اخي احمد الى مورد اللبن الذي يتعامل معه ليجلب له السلعة ، فذهب الى المورد ورجع بآنية اللبن ، وبينما كان يمشي في نهج كتاب الوزير ـــ قرب سوق البلاط ـــ طعنه ايطالي بسكين طعنتين فمات وهـرب الجاني وقبضت السلطة على نحو عشرة ايطاليين وبعد أيام من الايقاف بالمحكمة أقروا على الجاني وهو حلاق بنفس النهج ، وعند البحث عنه تبين أنه فر الى ايطاليا وترك زوجته وأولاده هنا . وكل ما فعلته السلطة أنها اعتذرت بأنها لا سلطة لها عليه ما دام في ايطاليا . فاذا خرج الى فرنسا أو محمياتها أو مستعمراتها قبضت عليه واقتصت منه ، وهكذا ذهب دم أخي هدرا » .

وحدثنا شيخ محترم من شهود الواقعة أن أعوان الامن والجند الفرنسي كانوا يقبضون على التونسيين بدون ميز ويدفعونهم الى عربات السجن ، بينما كان الايطاليون والأجانب وسلاحهم في ايديهـم لا يلقون منـهم الا العناية والحماية ، بل كانوا يامرونهم باخفاء أسلحتهم .

وهكذا عاد الامن الى نصابه بعد الزوال ولم تقع بعد ذلك الا بعض حوادث متفرقة انتهت بانتهاء اليوم الموالي 8 نوفمبر على اثر صدور قوانين استثنائية جعلت العاصمة بمقتضاها تحت سيطرة الحكم العسكري . (وسياتي بيان هذه القوانين في الفصـل الآتي) واستهدف السكـان تحت سوط الحكم العسكري الى عمليات القبض الجماعـية ، وتفتيش الأشخاص والمحلات والضرب والصفع والاهانات ، مما ترك في القلوب آثارا لا تمحى .

(التفتيش في الشوارع)

ـجب من هذا كله ان السلطة الفرنسية لم تكتف بتغطية تعديات الايطاليين التونسيين ومشاركتهم للبوليس والجيش في تقتيل الشعب ، فاوحت أن يتظاهروا أمام الاقامة العامة الفرنسية محتجين علـــى ما نالهم من ـن التونسيين . . ؟ ياللمهزلة ! .

الفصل الثالث

حصـــاد المعـــركة

دامت المعركة على أشدها واحتدامها من الساعة الثامنة من صباح يوم 7 نوفمبر الى ما بعد الزوال ، ثم استمرت متقطعة ، متمثلة في حوادث فردية بين التونسيين والايطاليين وفي نقط مختلفة من المدينة ، والهدوء يسود شيئا فشيئا حتى انقطعت الحوادث بانتهاء يوم 8 نوفمبـــر ، ولم تقع بعد ذلك الا اعتداءات قليلة في الشهور الموالية .

والاضرا ب الذي كان عاما شاملا لجميع الاسواق والدكاكين والمقاهي كامل يوم 7 نوفمبر انتهى أيضا بانتهاء يوم 8 واصبحت المدينة يوم 9 نوفمبر هادئة مفتوحة الأسواق والدكاكين . وقد رجعت الحالة الاعتيادية الى نصابها .

قالت جريدة الزهرة الصادرة يوم 10 نوفمبر : « ومنذ صباح الامس 9 نوفمبر عاد الاطمئنان الى النفوس ، وفتحت الأسواق ، وعاد الناس الى اشغالهم واثقين بعناية الحكومة براحتهم وسهرها على حفظ الامن والنظام . ونرجو أن تكون هذه الحوادث المؤلمة التي لوثـــت ارض هذه العاصمة الهادئة بدماء نفوس بريئة ذهبت ضحية بدون موجب والقت عددا كثيرا من العائلات في الغم والاحزان ، خاتمة المصائب . وان يتوجه الناس الى اشغالهم وينسوا ما قد طرأ من البلاوي الخ » .

ولكن الحادثة كان لها حصاد مؤلم نلخصه فيما يلي :

1 ـ الموتى والجرحـــى

اغفلت الصحف متعمدة ذكر احصائيات الموتى والجرحى . وقد تعودنا الاستعمار اخفاء الحقائق في مثل هذه الحـــوادث ، واذا اضطرت الصحف أحيانا الى ذكر بعض الاحصائيات فانما تتعمد تنقيصها . ولكننا استطعنا أن نجد عند احد شهود الواقعة بعض المعلومات .

فقد ذكر لنا هذا الشاهد أن الموتى من التونسيين بلغ الى 14 ، واما الجرحى فقد تجاوز عددهم المائة ، والموتى من الأجانب نحو عشرة . ولكن هذه الرواية لا تعتمد على دليل او وثيقة رسمية . ولذلك نميل الى الشك في صحة هذه الارقام ، وانوصف الحادثة السابق يدفعنا الى الاعتقاد بأن عدد الاموات والجرحى مرتفع جدا ، وربما اقتصرت الارقام المذكورة على الرسميات اي على الذين مروا بطريق المستشفيات . وقد عرفنا من عهد الاستعمار الذي عشناه أن كثيرا من الموتى والجرحى يفضل اهلوهم عدم اعلام السلطة بشأنهم حتى لا يتعرضوا لأبحاث وتفتيشات هم في غنى عنها ، وفي استطاعتهم دائما الحصول على الترخيص بدفنهم بأبسط الوسائل .. ؟

2 ــ المتهمــون

ومن حصاد المعركة تقديم اكثر من ثمانمائة تونسي للمحاكم منهم 72 مثلوا امام المحكمة الفرنسية الجنائية في قضية واحدة بتهم مختلفة كالقتل والمشاركة فيه ومحاولة القتل ، والسرقة ، والاخلال بامن الدولة الخ ، حسبما يرى القارىء ذلك في تقرير الاتهام المثبت بالفصل الاتي . وقد جعلت للمتهمين ارقام من عدد 1 الى عدد 72 سنذكر أسماءهم في محطها مصحوبة بارقامها في فصل المحاكمة .

3 ــ قوانين استثنائيــة

وفي يوم 8 نوفمبر صدرت أوامر استثنائية من الباي محمد الناصر هذه خلاصتها :

الاول ــ يتعلق بنصب الحصار العسكري علــى العاصمة وضواحيها وتكليف القيادة العسكرية الفرنسية بمهمة المحافظة على الامن .

قالت جريدة الزهرة في عددها الصادر يوم 13 نوفمبر : « صدر امر علي في تكليف الادارة العسكرية بتامين السكان ماديا وادبيا !!! واطلاق اليد في اجراء التفتيش بالليل والنهار في محلات السكان بالعاصمة ومراقبتها المدنية وابعاد أصحاب السوابق السيئة » .

وقالت في عددها الصادر يوم 10 نوفمبر : « ولزيادة الاحتياطات قد ناطت

الحكومة حراسة العاصمة بهذه الادارة العسكرية وهذه قد قسمت مراكز المحافظة بها الى اربعة اقسام وجعلت كل واحد منها تحت نظر ضابط كبير من رتبة كومندان بمساعدة كوميسار من المحافظة وهذا بيان المراكز :

— محطة القطار القبلية

— القصبة

— باب السويقة

— الباب الجديد . »

الثاني — يتعلق بمنع الاجتماعات والجولان ليلا . جاء في الفصل الاول منه « حجرنا الاجتماعات والنوادي المشوشة وكذلك الوقوف بالطريق العام . والمرور يبقى مسرحا الا أنه لا يمكن بحال أن يتكون جمع اكثر من ثلاثة اشخاص »

وجاء في الفصل الثاني « يلقى القبض على كل شخص وجد بالطريق العام بالاحياء العربية ابتداء من التاسعة ليلا .. الخ . »

الثالث — يتعلق بسحب رخص جميع المقاهي بالاحياء العربية مؤقتا . وأغلقت المقاهي وحكم على أصحابها وعمالها بالبطالة وحرمانهم من كسب العيش الى ان يصدر ما يخالف ذلك .

الرابع — يتعلق بتوقيف العمل برخص بيع ومسك الأسلحة الظاهرة والخفية ؟ الخ وجمعت الاسلحة من الناس الا من استطاع اخفاء سلاحه .

4 — تعطيل الصحف العربية

وقبل الواقعة كانت تصدر بتونس صحف عديدة ، وكان غالبها يناصر القضية الوطنية اما صراحة واما في شيء من الاحتشام . وعلى اثر الواقعة أصدرت السلطة العسكرية قرارات بتعطيلها كلها الواحدة تلو الاخرى في فترات متعاقبة — عدا جريدة الزهرة اليومية التي كانت تتملق السلطة محافظة على حياتها فقد استثنيت من أمر التعطيل ، وستاتي نماذج من لهجتها فيما ياتي .

والصحف المعطلة حسب رواية الاستاذ الطيب بن عيسى الصحفي القديم هي :

الحاضرة ــ التونسي ــ الاتحاد الاسلامي ــ الصواب ــ المنير ــ المشير المضحــك ــ جحا .

وبقيت هذه الصحف معطلة ثماني سنوات ونيفا ــ حسب رواية الاستاذ ابن عيسى ايضا ــ من 8 نوفمبر 1911 الى اوائل فيفري 1920 .

5 ــ تنمر الصحف الاستعمارية

وأطلقت السلطة العنان للصحف الاستعمارية فاستغلت الحادثة لترمي بشواظ نقمتها على البلاد وأهلها وعلــى الخصــوص صحيفتي « لاتونيزي فرانسيز » الفرنسية و « لنيوني » الايطالية فقد حبرتا المقالات الضافية في سباب السكان وشتمهم ونعتهم بأوضع النعوت ووصفهم بالمجرمين والسفاكين وفي تحريض السلطة على الانتقام من « العرب » والثأر للأروبيين المعتدى عليهم حسب زعمها ، مما دفع جريدة الزهرة الصحيفة العربية الوحيدة الى أن تقول في عددها بتاريخ 10 نوفمبر :

« كانت هذه العاصمة أكثر العواصم هناء وراحة ، وسكانها على اتم وفاق واجمل معاشرة وعلى الخصوص الطليان فقد كانوا ممتزجين مع الاهالي متجاورين معهم متخلقين باخلاقهم وكانوا كما لم يزل بعضهم حتى الآن في خدمة العائلة الملوكية عائشين على الصفاء والوداد الــى ان طرات مسالة التسجيل المشؤومة » .

ثم قالت في نفس المقــال :

« ولنا الامل الوطيد في أن هذه الشحناء لا يبقى لها من اثر بعد الآن حتى تزول من أفكار الاروبيين أوهام نسبوها الى حرب طرابلس ويتحققوا بعد ذلك أن الاهالي لا يجهلون ان الطليان لا يزالون في بلاد الدولة العثمانية نفسها التي حاربوها متمتعين بالراحة والامان ، وان هذه الحرب لا تؤثر عليهم اكثر من الترك ، ولكن الفتنة التونسية كانت بنت وقتها ولم تكن في الحسبان .

ونود لو أن جريدة « لونيوني » تنصح الى قرائـــها بملازمة جانب اللين والوداد مع الأهالي والعود معهم الى ما كانوا عليه من الصفاء القديم » .

واستهدفت جريدة « لاتونيزي فرانسيز » بالخصوص في حملتها شخصي شيخ المدينة « الصادق غيلب » ، و « عبد الجليل الزاوش » العضو البلدي ، فاتهمت الاول بأنه تسبب في تهييج الفكر العام بالدعاية الاشهارية التي قام بها لفائدة حضور الناس بالمقبرة يوم التسجيل وتقاعسه عن القيام بتبليغهم قرار العدول عن التسجيل الذي قررته البلدية ، واتهمت الثاني بانه عقد اجتماعات سرية برؤوس المتهيجين وحرض على التظاهر والتشويش . وظهرت نتيجة هذه الحملات في اثناء محاكمة المتهمين (وسنثبت ذلك في محله) وأدت الى احالة السيد « الصادق غيلب » على المعاش .

6 ـ شواهد الاخلاص

وحسب العادة التي الفناها من الحكم الاستعماري في مثل هذه الحوادث ، بدات الصحف والهيئات والشخصيات في تقديـــم شواهد اخلاصها للسلطة الحاكمة وتاسفاتها عما بدر من طيش وتنطع من جـــانب الشعب في كلمات مرذولة مضمخة بالتملق والنفاق .

وهذه الظاهرة التي الفناها اثر كل انتفاضة يقوم بها الشعب ، انما تقع عادة بوحي من السلطة الاستعمارية نفسها التي تكلف أعوانها بترتيب هذه الامور تدجيلا على الشعب ، حتى تظهر له أن أرباب الحيثيات ليسوا على رأيه ، وأنهم يستنكرون أعماله . وما درت أن الشعب كان على علم من هذه الحيل المكشوفة ، وأنه يقابلها دائما بالسخرية منها ومن القائمين بها .

فها هي جريدة الزهرة العربية الوحيدة في تلك الفترة تنصح السكان في عدد يوم 10 نوفمبر : « أن يعتمدوا في حقوقهم وحماية ذواتهم وارزاقهم على رجال الحكومة الذين أظهروا في مثل هذه المسالة الكبرى مزيد الحلم والرأفة بالاهالي ، ولم يظهروا ما يشعر بانحرافهم عن سياسة المجاملـــة والعناية بالاهالي التي اتخذتها دولة الحماية اساسا لاعمالها في سلطنتها الاسلامية الافريقية . . ؟ (كذا) .

وطلب من خطباء المساجد أن يحرضوا الناس في خطبهم الجمعية على طاعة الحكومة فقاموا بما طلب منهم ، قالت الزهرة في عدد : يوم 11 نوفمبر « وبمناسبة صلاة الجمعة بالامس (10 نوفمبر) خطب الخطباء في الناس وحرضوهم على طاعة الأمير والعمل بما يرضيه ، وحث فضلية خطيب الجامع الاعظم الناس على اجتناب كل ما يخالف طاعة الأمير والمحافظة على اتباع أوامره ونواهيه » .

وقالت في عددها يوم 14 نوفمبر : « قد كان للحوادث الأسيفة التي حصلت بحاضرة تونس في يومي الثلاثاء والاربعاء الفارطين (7 — 8 — نوفمبر) وقع في أنفس الهيئة العلمية الاسلامية بجامع الزيتونة وخصوصا المشائخ اهل المجلس الشرعي بالمذهبين (المالكي والحنفي — فانهم أظهروا في تلك الآونة مزيد تحرجهم من تلك الواقعة التي لوثت بطاح وشوارع الحاضرة بدم الأبرياء . ولذلك اخذ حضرات الشيوخ على أنفسهم أن يشاركوا في تهدئة الافكار الضالة ، وارجاع الزائغين للطريق السوي بالقول الفصل ؟ (والموعظة الحسنة فخطبوا بذلك على رؤوس المنابر خطب الارشاد والتلقين شأن من طفح قلبه بماء اليقين (؟) . . »

ولم تكتف السلطة بهذه التظاهرات والمهازل فأوحت الى شيوخ المجلس الشرعي أن يؤلفوا وفدا لمقابلة الوزير الاكبر والكاتب العام الفرنسي معربين عن ولائهم واخلاصهم واستنكارهم لما أظهره الشعب من عداء للمستعمرين في معركة الزلاج .

قالت جريدة الزهرة في يوم 14 نوفمبر : « ولما سكنت الحركة المتوحشة وعاد الامن لنصابه ، فاتح حضرات الشيوخ من تلقاء انفسهم . . ؟ (1) رجال الدولة وابلغوهم من طرق شتى عبارات أسفهم ونكرانهم لتلك المظاهر

«1» — ان الكلمة من (تلقاء انفسهم) معناها المفضوح اذ اثبتت قصدا لتغطية الحقيقة المتمثلة في ان مثل هذه المهازل كانت بوحي من السلطة الاستعمارية نفسها . ومن المؤسف ان يكون رجال الشرع وشيوخ الزيتونة دائما العوبة في يد المستعمر يستخدمها في مثل هذه الظروف مما جلب عليهم عداء الشعب وعداء طلبتهم من تلامذة الجامعة الزيتونية الذين قاوموا شيوخهم مقاومة سافرة وكانت بينهم وقائع معروفة .

وانظر الحقيقة في مقال شاهد عيان المثبت في الخاتمة نقلا عن مجلة المنار المصرية .

العدوانية التي قام بها بعض السفهاء والفلتاء ممن لاخلاق لهم ، ولا عرض ولا مروءة ، وطلبوا ان يحدد لهم جناب المولى الوزير الاكبر موعدا يجتمعون أثناءه بجنابه للاعراب عن شواهد اخلاصهم وولائهم ، والافصاح عن كامل اسفهم لما صدر من تلك الفئة الضالة التي نبذتها الجامعة الاسلامية نبذ الحذاء المرقع وبالفعل قد يمم حضراتهم ، وفي مقدمتهم اهل المجلس الشرعي باجمعهم ، ابواب سراية المملكة صبيحة امس التاريخ (13 نوفمبر) في حدود الساعة التاسعة ، وهي موعد الاجتماع بالمولى الوزير ، فدخلوا عليه بقاعة القبول الوزيرية،وكان جنابه محفوفا بجناب وزير القلم وجناب الكاتب العام(الفرنسي) وبعد ان تبادل الجميع عبارات التحية ، افصح الحاضرون بصوت اجماعي عن شواهد الاخلاص والاحترام للدولتين الحامية والمحمية ، وصرحوا بنكرانهم اشد الانكار لمظاهر العدوان والهياج التي شوه بها اولئك السفهاء الاشقياء سمعة هذه البلاد الهادئة والسائرة منذ ثلاثين سنة في طريق التقدم الحسي والمعنوي .

وقد اجابهم جناب المولى الوزير الاكبر بعبارات الشكر قائلا : ان هذا الشعور الذي ترجم عنه المشائخ بحضورهم لاقوى دليل على تعلق الطبقة العالية من الامة المحمية بالامة الحامية ، وفيه ايضا برهان على حسن نية التونسيين واخلاصهم للدولة واخلادهم للراحة والسكون . ولذلك فانه يوجه باسم الدولة الثناء على همة حضرات الشيوخ ويدعوهم لمدها بيد المعونة مدا ادبيا مداره الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولما آلت الكلمة لجناب الم « بلان » الكاتب العام للأمور الادارية صرح لحضرات الشيوخ بان شواهد الوداد والاخلاص التي قامت بها هيئتكم الفاضلة من شانها — ان شاء الله — ان تلطف ويلات تلك الحوادث الاسيفة ، وهي حوادث تعود مسؤوليتها على مرتكبيها وحدهم لان المرء لا يؤاخذ بزلة جاره ، لذلك ناسب التصريح بان من واجب فضلاء المسلمين ان لا تسري اليهم ظنون السوء بالدولة ، لانها رحيمة بهم ، ولا شيء اهم عندها من معاملتهم بالعدل والاحسان مع الاستمرار على مد جناح حمايتها على كل مخلص نحوها من الاهالي التونسيين . » .

ذلك هو حصاد المعركة بالنسبة للسلطة الاستعمارية ، اما بالنسبة للتونسيين فقد كان حصادا هاما جدا ، لان معركة الزلاج بالرغم مما نال فيها الشعب من مصائب وويلات فقد كانت أحد الاسباب القوية في النقمة على المستعمرين وعلى اعوانهم من السلط التونسية المغلوبة على امرها ، وفي انتشار الوعي القومي انتشارا سريعا ، وفي تنبه المثقفين من الوطنيين الى وجوب الاتصال بالشعب وتنظيم حركاته وتوجيهها في السبل الصالحة ، وقد ظهرت بوادر انتشار هذا الوعي بعد حادثة الزلاج باعوام ، اثناء الحرب العالمية الاولى والاعوام الموالية .



الفصل الرابع

المحاكمة

3 جوان 1912

بعد تصفية الابحاث الاولية التي قامت بها المحكمة الفرنسية ، قدم للمحاكمة 72 نفرا من المتهمين بينما أحيل بقية المتهمين على المحاكم التونسية التي لم نر فائدة في البحث عن نتيجة محاكمة الذين قدموا اليها، لان عبرة التاريخ تتمثل في اشغال المحكمة الفرنسية المنتصبة لمحاكمة التونسيين . ونظرا لما في هذه المحاكمة من عبرة تاريخية وسياسية بالغة ، رأينا ان ننشر جميع تفاصيلها المثبتة في المحاضر التي نشرتها الصحافة في ذلك العهد ، حتى يطلع المؤمنون بعدالة فرنسا وديمقراطيتها على قيمة الاجراءات العدلية المتبعة في المستعمرات والبلدان المحمية ، ويدركوا كيف تذبح العدالة على مذبح الاغراض السياسية والانتقامات الشخصية ، وكيف يسخر القضاء العدلي لفائدة المستعمرين ، وكيف تنظم المحاكمات الصورية لتنفيذ أوامر السلط البوليسية والعسكرية .

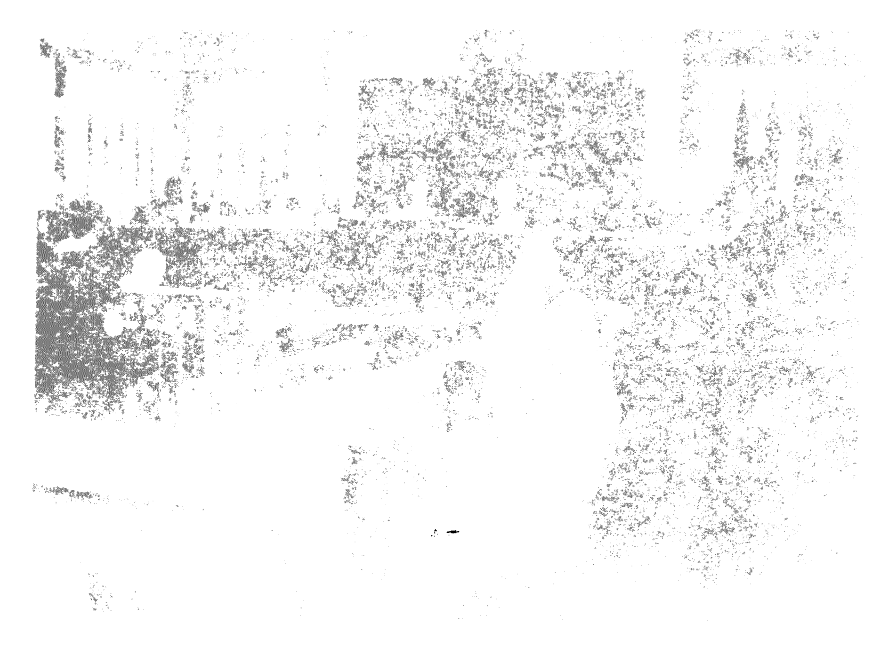
في يوم 2 جوان السابق ليوم المحاكمة راجت اشاعة مفادها ان مظاهرة كبرى سينظمها الشعب أمام المحكمة الفرنسية (قصر العدالة اليوم) ولذلك عمدت السلطة الى ملء المحكمة وساحاتها والطرق المؤدية اليها بالبوليس وأعوان الجندرمة والجند المسلحين على أهبة واستعداد منذ الصباح الباكر من يوم محاكمة المتهمين 3 جوان 1912 وعم المدينة جو من الحزن والقلق .

الجنـــود يحرســـون المحكمـــة من الخـــارج

وفي قاعة الجلسة جلس المتهمون صفوفا على مقـ
وضعت على يمين المجلس وعلى صدر كل متهم الصقت و
بارقام كبيرة ظاهرة . وكان يحيط بهم جماعـــات من الـ
بينما وقف في وسطهم وبين صفوفهم جماعات اخرى من الـ
ايضـــا .

جلسة صباح الاثنين 3 جوان

في الساعة الثامنة والنصف من صباح 3 جوان 1912 انتصبت المحكمة برئاسة الم . « دوما » وعضوية الم . « راندي » ، والم . « بوتي لاكومب » واحتل مقعد وكيل الجمهورية الم . « ريفردان » وانتصب للترجمة الم . « ابريبا » ، وشرع الرئيس في المناداة على اسماء المحامين المعينين للدفاع عن المتهمين (ويجب ان نلاحظ هنا ان المحكمة هي التي عينت عشرة من المحامين وليس من بينهم تونسي مسلم واحد) فاعتذر بعضهم عن القيام بما كلف به بالسفر خارج البلاد أو باشتغاله بأمور اخرى لا تمكنه من القيام بمهمته ، واجاب الباقون بالاستعداد للدفاع .



محكمة .. ومتهمون !

ثم نادى الرئيس على اسماء الاعضاء المحلفين الفرنسيين والتونسيين والأجانب فتلا وكيل الجمهورية رسائل وردت من بعض المحلفين الفرنسيين اعتذروا فيها عن الحضور وجلس الباقون في اماكنهم .

ثم طلب الرئيس من الم . « ابريبا » مترجم المحكمة ان يسأل المتهمين واحدا واحدا عن اسمائهم واعمارهم فقام بمهمته ، وكان يذكر للرئيس الاسم والعمر والرقم الذي يحمله المتهم . وتبين من مراجعة الاسماء أن من بينهم واحدا يحمل الجنسية الفرنسية وهو صبايحي قديم محال على المعاش وسنه حسب تقرير الاتهام 72 عاما وهو متهم بالمشاركة في قتل ايطالي واسمه « العمري علي بن محمد » وأن أحد المتهمين غائب وهو « محمد بن احمد بن عمر » ، فأعلن الرئيس أنه مريض وأن قضيته سيتأخر النظر فيها الى ما بعد .

وبعد الانتهاء من تحرير اسماء المتهمين الواحد والسبعين الحاضرين أعلن الرئيس أن التهم المحال من أجلها هؤلاء على المحكمة هي : القتل ، والمشاركة في القتل ، والسرقة ، والعصيان ، وانه لما كان من ضمنهم جزائريون يرجع نظرهم الى المحكمة الفرنسية فان على الاعضاء المحلفين التونسيين والأجانب مغادرة المحكمة فغادروها حالا . ثم أجرى الرئيس القرعة بين المحلفين الفرنسيين لاختيار ستة منهم . وبعد اعلان نتيجة القرعة أدى المختارون اليمين القانونية . ثم جلس ثلاثة منهم على اليمين وثلاثة على اليسار وغادر الباقون قاعة الجلسة .

ثم القى الرئيس كلمات مختصرة عن موضوع القضية المعروضة على المحكمة وما فيها من صعوبات تستوجب الفطنة والتنبه . ثم أذن كاتب الجلسة بتلاوة تقرير الاتهام .

قرار الاتهام

انتج البحث الذي اجري بالمحكمة الابتدائية الفرنسية بتونس ما يأتي :

كان المجلس البلدي بتونس طلب في خلال سنة 1911 تسجيل اراضي مقبرة الزلاج . ولم يكن في نية الادارة البلدية ابطال تلك المقبرة المخصصة لدفن أموات السكان المسلمين ، ولكن حفظا لها من تعديات الأجوار المستمرة . وقد اشترطت في مطلب التسجيل بقاء اراضي المقبرة مخصصة للدفن . وفي اجتماع المجلس البلدي المنعقد في 2 نوفمبر 1911 أشعر السيد عبد الجليل

الزاوش احد الاعضاء الاهليين المجلس بالتأثير الذي احدثه مطلب التسجيل في السكان الاهليين . وقال : انه يرى أن الحق لجمعيـة الاوقاف في طلب هذا التسجيـل .

وبناء على هذه الملاحظات قرر المجلس البلدي باجماع الاصوات الرجوع في المطلب الذي قدمه ، وبالتالي العدول عن التحديد الذي كان تقرر اجراؤه يوم 7 نوفمبر . وفي الحين وقع اعلام الادارات ذات النظر بهذا القرار . لكن حيث كان الوقت غير كاف للحصول على حكم من المجلس المختلط في العدول عن التسجيل فقد تقرر أن يذهب المهندسون المكلفون بالتحديد الى المكان . وهناك يتلقون الرجوع في مطلب التسجيل ويحررون تقريرا في عدول الادارة البلدية عنـه .

ثم وقع تكليف شيخ المدينة ورئيس المجلس البلدي يوم 6 نوفمبر بان يطلع السكان الاهليين على قرار المجلس البلدي بواسطة مشائخ الحارات طبق العوائد الاسلامية الجارية ، ومع ذلك فان الاعلانات التي كانت علقت قبل ذلك القرار والمتضمنة للتنبيه على الاهالي بأن يتوجهوا الى المقبرة يوم 7 نوفمبر ليعترضوا على مطلب التسجيل لم تقتلع . وبسبب ذلك لم يعلـم قسم من السكان في ذلك التاريخ رجوع المجلس البلدي في التسجيل . فنظرا لهذه الحالة ولتوقع حدوث مظاهرة اتخذت احتياطات مهمة لحفظ الامن والراحة . وصورة ذلك أن الكوميسار « اسبيـو » ذهب يوم 7 نوفمبـر منذ الساعة السادسة صباحا الى المقبرة مصحوبا ببعض أعوان البوليس فوجد بها زهاء الالفي أهلي مجتمعين ، ونحو الساعة السابعة أعلم وكـلاء جمعية الاوقاف وكذلك كثير من مشائخ الحارات وأعيان الاهالي وأعوان البوليس أنفسهم تلك الجماعة المتهيجة بدون تهديد الى ذلك الوقت بان التحديد لن يقع . وعند ذلك أخذ الاهالي ينسحبون تدريجيا . ولكن مجيء مستخدمي ادارة البلدية الى المقبرة ومباشرتهم لتحرير تقرير الرجوع في التسجيل أيقظا احتزاز الاهالي ودخل الذين لم يسكن الاعلام المتقدم تهيجهم تماما . وفي تلك الاثناء قدم شيخ المدينة ودخل الى المقبرة ليطمئن الخلائق المجتمعيـن ، ولكنهـم احاطوا به وصرخوا قائلين « انهم يريـدون أخذ مقبرتـنا . ثم طلبوا اطلاق سبيل

مساء ذلك اليـــوم .



هذه اسلحة الشعب

ثم بين التقرير كيف انقض المتجمهرون على الطليان . وذلك ان القسم الكائن من المدينة بين باب علاوة وشارع البـــاب الجـديد يسكنه الاهالي والطليان خصوصا . فاشتد فزع هؤلاء الأخيرين وتحصنوا بمحلاتهم . ثم ان بعض أنفار منهم لم يمكن العثور عليهم صاروا يطلقون العيارات النارية من

1 ـــ نحو الساعة السابعة والنصف مساء بينما هجمت الخلائق المجتمعة بالمقبرة على الكوميسار « اسبيو » واعوانـــه ، احـــاط ببريقادي البوليس « فرانكي » انفار كثيرون وقد ضربه بعضهم بدبوس على راسه فسقط على الارض ، وعند ذلك انقض عليه انفار آخرون من الاهالي وقتلوه بضربة دبوس وطعنة سكين ، وبعد قليل القي القبض على كثير من المعتدين الذين عرفهم الشهود معرفة تامة وهم : الشاذلي بن عمر القطاري ، وعبد الله بن والي ، ومحمد بن عبد القادر البكوش ، ومحمد بـــن خميس لاكانجي ، وحسن بن خميس لاكانجي ، والمنوبي الجرجار .

2 ـــ وفي الوقت نفسه هجم المتجمهرون على عون البوليس « فواتي » وضربوه بالدبابيس على راسه و ظهره وبسبب ذلك تعذر على العون المذكور مباشرة خدمته مدة خمسة عشر يوما . وقد عرف الشهود بعض المعتدين عليه وهم : محمد بن الحاج عبد الله الغربي ، والشاذلي بن عمر القطاري ، وسالم بن عثمان ، والمنوبي بن علي الجرجار .

3 ـــ بينما كان كاهية متفقد البوليس « سولي » مشتغلا بتخليص شيخ المدينة اذ راى بعض اعوانه في خطر فاراد ان ينقذه ولكن المتهيجين ارتموا عليه واهانوه وضربوه الى ان وقع على سكة الحديد المارة امام باب علاوة . واستمر المعتدون في مطاردته وضربه بالدبابيس ضربا موجعا ولم ينج من

«1» ـــ بالحجارة والعصي والخناجر لا غير ، اما الايطاليون فقد صرح التقرير نفسه بانهم كانوا مسلحين بالاسلحة النارية ، والغريب ان البوليس لم يعثر عليهم .

القتل الا بفضل تداخل عون البوليس الاهلي « الشاذلي المملوك » وبسبب ذلك تعذر على كاهية المتفقد « سولي » مباشرة خدمته مدة خمسة عشر يوما وقد القي القبض على اثنين من المعتدين عليه وهم : محمد بن الحاج عبد الله الغربي ، وعبد الله بن يونس درمول .

4 — كان عونا البوليس « بياتري » و « سنغ » من جملة الأعوان الذين احاط بهم المتهيجون تحت باب علاوة اذ رآهما بعض انفار من الأهالي كانوا في حالة تمرد وعصيان فهجموا عليهما واضطهدوهما . اما « بياتري » فقد ضرب بدبوس مرتين واما « سنغ » فقد ضربه بعض الاهالي برجله ضربة شديدة أصابت ذكره . وقد القي القبض على المعندين وهم : محمد بن علي الشاذلي ، ومحمد بن عبد الله بن عمر الغربي ، وعبد الله بن حمده بن حمودة

5 — بعد وقوع الاعتداء على عون البوليس « فرانكي » بقليل حاول العون « كروانة » منع المتظاهرين من المرور من باب علاوة ، ولكنه أصيب بضربة دبوس أوقعته على الارض مغشيا عليه وقد خلصه كاهية المتفقد « كورنو » والعون « سيمون » وعرف الشهود نفرين من المعتدين عليه، وهما : بلقاسم بن علي بن محمد ، ومحمد بن عبد القادر البكوش .

6 — في أثناء الوقائع المتقدمة اضطر عون البوليس « تيسي » للالتجاء الى باب علاوة من شدة الازدحام وكثرة المتهيجين غير أن المتهم هتان محمد السعيد بن علي ضربه ضربة شديدة بدبوس . لكن من حسن حظ العون المذكور ان انفلت من الضربة التي لم تصب الا رجله اليمنى بعد أن كانت موجهة لراسه .

7 — كان كاهية متفقد البوليس « دوران » أذن بان يذهب الى مقبرة الزلاج لانقاذ الكوميسار « اسبيو » الذي جرح عند وصوله الى باب علاوة ولما وصل بالقرب من المقبرة رموه بالحجارة فلم يتمكن من دخولها وسلك الطريق الموصلة الى الباتوار « المذبح البلدي » وهناك احاط به انفار من الأهالي باغراء بعضهم وضربوه بالدبابيس على راسه ، غير أن عون البوليس « سالم المنستيري » اتى في ذلك الوقت وافتكه من ايديهم . وقد القي القبض على اربعة انفار من المعتدين عليه وهم : الحطاب بن علي بن قاسم ، وبكار بن علي ، واحمد بن عمارة بن منصور ، والجيلاني بن علي بن فتح الله .

8 ــ نحو الساعة الثامنة والنصف صباحا كان المدعو «بونزيو سالفاتوري» الخياط صناعة ذاهبا الى محل بعض حرفائه اذ هجم عليه خمسة أنفار من الاهالي مسلحين عند مروره بالقرب من باب علاوة وقد ارتموا عليه وضربوه ضربات كثيرة على راسه وذراعيه وبسبب هذا الاعتداء تعذر على « بونزيو » المذكور مباشرة حرفته مدة خمسة عشر يوما . ولم يتمكن من معرفة الانفار الذين اعتدوا عليه سوى المدعو المنوبي بن محمد بن علي القطاري .

9 ــ نحو الساعة التاسعة صباحا اتى مستخدمو الصليب الاخضر الى المكان بقصد نقل الجرحى والموتى وقد كان هؤلاء المستخدمون اربعة وهم : تورتيشي ومكباتزارو ودي فيليبو وكيرسي ، لما وصلوا الى نهج سيدي البشير احاط بهم المتهيجون حالا وكسروا العربة التي كانت معهم ثم أصيب «تورتيشي » بضربات كسرت جمجمته ومات لحينه ، وكذلك رفقاؤه الثلاثة الباقون فقد وقع اضطهادهم ولم ينجوا من الموت الا بالفرار من المكان . ولم يمكن معرفة المعتدين سوى واحد منهم وهو حسين بن محمد البكوش .

10 ــ في الوقت نفسه ولكن في نهج مجاور لمكان الاضطرابات وقع اعتداءان في آن واحد وصورة ذلك ان المسيو « برايار » موزع البريد خرج من محطه الكائن بنهج بقيرة واذا بجماعة من الاهالي مسلحين بالخناجر والدبابيس هجموا عليه واصابوه بجروح خطيرة ، وحاول التخلص منهم بالفرار الى نهج السبخة ، ولكن ما كاد يصل امام المحل عدد 84 حتى أصابت جمجمته ضربة دبوس مهولة فمات لحينه .

وبعد برهة قليلة ، وفي ذلك الوقت والنهج نفسه وقع المدعو « دي برتولو فرنتشيكو » تحت ضربات تلك الجماعة نفسها ومات من ضربات عصا وطعنات خنجر . وقد اثبت البحث الذي اجري في هذه القضية مشاركة محمد بن محمد القروي ، وعبد الله بن محمد والي في هذه الجناية المزدوجة ولم تمكن معرفة غيرهما من الجناة .

11 ــ نحو الساعة العاشرة صباحا وقعت جناية مزعجة جدا بنهج سيدي البشير . وصورتها ان عربة ملجأ الراهبات المسماة ــ باخوات الفقراء

الصفيرات ــ سلكت في ذلك الوقت النهج المذكور يقودها شيخان مسنان وهما « بوتشينلي » و « بونيتشي » وقد كان هذان السائقان يتقدمان بلا خوف بين جموع المتهيجين ولكن هؤلاء لم يكترثوا بسن السائقين الضعيفين وهجموا عليهما واحاطوا بهما من كل جانب ثم ضربوهما بالدبابيس وطعنوهما بالسكاكين طعنات كثيرة وقد مات « بوتشينلي » بعد ساعة ، اما « بونيتشي » فقد نقل الى المستشفى وتعافي الآن ، غير انه لم يستطع مباشرة الشغل اربعين يوما ولم يمكن العثور الا على نفر واحد من المعتدين وهو المتهم الحاج الكيلاني ابن الحاج عمر الشعنبي .

12 ــ في الوقت نفسه وقع اعتداء آخر بجهة اخرى من نهج سيدي البشير ، وصورة ذلك ان الطلياني « موتشيو » كان عازما في ذلك اليوم على السفر الى ايطاليا فخرج من محله بقصد الذهاب الى محل شركة الملاحة الطليانية ليتسلم تذكرة السفر . وبينما كان مارا بنهج سيدي البشير اذ امتزج مع جماعة من الاهالي كان يطاردهم حرس متجول من عساكر « الشماسور » فلجا الى المحل عدد 50 ولكن الاهالي الذين امتزج معهم وثبوا عليه وقتلوه ضربا بالدبابيس وطعنا بالسكاكين وقد اختلس قاتلوه دراهم كانت معه ، وقد القي القبض على اربعة انفار من القاتلين وهم المتهمون : علي بن احمد بالحاج نصر ، وعلي بن مسعود بن علي الغمراسني ، والشاذلي بن عمر القطاري ، ومحمد بن علي الشاذلي .

13 ــ نحو الساعة العاشرة والنصف كان المدعو « تاليانيكو » الساكن بنهج بقيرة متوجها الى نهج بقيرة اذ هجم عليه نفر من الاهالي وضربوه بخشبة على راسه . ثم اتى نفر آخرون وضربوه بالدبابيس وطعنوه بالسكاكين في بطنه فجرحوه جروحا بليغة وثقبوا كبده فمات لحينه .

اما النفر الذين ضربوه اولا بالخشبة فلم يمكن العثور عليهم ولكنهم راوه عند ما اخذ تلك الخشبة من دكان العطار المدعو « سالم بن مسعود » وقد القي القبض على هذا الاخير . ثم وقع العثور بعد ذلك على احد الجناة وهو المتهم « العمري علي بن محمد » سنه 72 سنة وقد كان متسلحا بسيف اغمده مرتين في جسد القتيل .

14 — في تلك الساعة نفسها راى عــون البوليس « موجني » انفارا من الاهالي هاجمين على بعض الاروباويين بباب الحدادين فاراد انقاذهم من ايديهم ولهذه الغاية اطلق مسدسه في الفضاء ولكن المتهيجين انقضوا عليه وضربوه بالدبابيس فسقط على الارض ، ثم نهض فضربوه من جديد ولكنه تمكن من التخلص منهم وفر فلم يدركوه وقد تعذر على العون « موجني » مباشرة خدمته خمسة عشر يوما . اما المعتدون عليه فانه لم يمكن العثور الا على اثنين منهم وهما المتهمان الحاج الصديق بن بلقاسم ، والشاذلي بن عمر القطاري ، وقد وجد مسدس « موجني » عند المتهم الاول .

15 — بعد هذا الاعتداء بخمسة وعشرين دقيقة تقريبا كان المدعــو « جاك فكتور » مارا بباب الحدادين اذ هجم عليه جماعة مــن المتهيجين مسلحين بالعصي وضربوه ضربا مؤلما . ثم ان أحدهم حاول انتزاع ساعته منه ولم ينج منهم « جاك فكتور » الا بفضل تداخل « حوميسيو » وتسببت الجروح التي اصابته في تعطيله عن مباشرة الشغل مدة اثنين وعشرين يوما . ولم يعرف من الاهالي الذين القي القبض عليهم الا الشاذلي بن عمر القطاري المتهم في عدة جنايات اخرى .

16 — بنفس ذلك القسم من باب الجديد المسمى بباب الحدادين وقع اعتداء ثالث على نفر من الاروبيين وصورته ان المدعو « مرتينو » بينما كان مارا من هناك مع المدعو « الليقرو » اذ التقى بجماعة من الاهالي مسلحين بالدبابيس فضربوه ضربات كثيرة ولم يمكن العثور الا على نفر واحد من تلك الجماعة وهو المتهم فرج بن خير السوداني .

17 — نحو الساعة الاولى والنصف بعد الزوال — وكان قد صدر الاذن لعساكر « الشاسور » بتشتيت الجموع التي تكونت بشارع الباب الجديد وقد كانوا القوا القبض على بعض انفار من المتظاهرين — حاول أنفار من الاهالي تخليص المساجين من أيديهم وعند ذلك كان كومندان الجندرمة « جنينان » بالمكان فتداخل ومكن عساكر « الشاسور » من الذهاب بمساجينهم ، غير ان بعض الاهالي تقدم اليه وحاول ضربه بدبوس على راسه فمنعه من ذلك عون البوليس وساقه الى السجن وهو المتهم محمد بن عبد الله بن عمر القابسي .

18 — كان المسيو « ماتايي » كوميسار قســم باب الجديد يحفظ النظام بجوار كوميساريته بمساعــدة بعض الاعــوان ، اذ مــرت عربة بها رجل وطفلان صغيران فرماها المتهيجون بالحجارة ، وقد تمكن الكوميسار المذكور من القاء القبض على احد المعتدين ، وبينما كان يسوقه بنفسه الى الكوميسارية اذ ضربه المتهم محرز بن البشير ضربة شديدة بحجر اوقعت له جرحا بليغا .

19 — بينما كان عون البوليس « جكار » خــارجا من احدى اللوكاندات بساحة المحطة الفرنسية اذ هجم عليه الحاج محمد بن علي الجبالي بخنجر من غير سبب ، ولكنه لم يصبه بفضل تداخل الشاهد « لانغلار » .

ومما يناسب ذكره هنا ان غالب مرتكبي الجنايات المذكورين اعلاه شاركوا ايضا في جنايات العصيان التي اثبتها البحث العدلي ، وهي التي وقعت بمقبرة الزلاج ونهج سيدي البشير وشارع باب الجديد .

وقد انكر جميع المتهمين بلا استثناء التهم الموجهة عليهم ، وادلوا ببيانات وحجج ووسائل دفاع لا يمكن اعتبارها بازاء الشهادات القطعية ومعرفة الشهود لهم معرفة تامة لا يمكن الارتياب فيها ، وغالب المتهمين ممن حكم عليهم سابقا . وهذا بيان التهم الموجهة على كل نفر منهم مع ذكر اسمائهم .

1 — الشاذلي بن عمر القطاري متهم بالعصيان وقتل البريقادي « فرانكي » والطلياني « موتشيو » وسرقة متاع هذا القتيل ومحاولة قتل اعوان البوليس « فواتي وموجني وجاك فيكتور » ومحاولة سرقة متاع هذا الاخير ، وسن هذا المتهم احدى وعشرون سنة وهو من ابناء الحاضرة (مسجون)

2 — المنوبي بن علي الخضراوي شهر (الجرجار) ،متهم بالعصيان وقتل البريقادي « فرانكي » ومحاولة قتل عون البوليس « فواتي » وسن هذا المتهم 31 سنة وهو من ابناء الحاضرة (مسجون) .

3 — محمد بن خميس لاكانجي ، متهم بالعصيان وقتل البريقادي « فرانكي » وسن هذا المتهم 26 سنة وهو من ابناء الحاضــرة ولم يحكم علــيه سابقا (مسجــــون) .

4 — حسن لاكانجي بالعصيان وقتل البريقادي « فرانكي »

5 — محمد بن عبد القادر البكوش متهم بالعصيان وقتل البريقادي «فرانكي» ومحاولة قتل عون البوليس «كروانة» وسن هذا المتهم 26 سنة وهو من ابنا الحاضرة، ولم يحكم عليه سابقا (مسجون).

6 — عبد الله بن محمد والي متهم بالعصيان وبقتل البريقادي «فرانكي» والطلياني «دي بارتولو» وسرقة متاع هذا القتيل وقتل «برايار» وسن هذا المتهم 26 سنة، وهو من ابناء الحاضرة ولم يحكم عليه سابقا (مسجون).

7 — محمد بن محمد القروي متهم بقتل الطلياني «دي بارتولو» وسرقة متاعه. وسن هذا المتهم 13 سنة وهو من ابناء الحاضرة ولم يحكم عليه سابقا (غير مسجون).

8 — محمد بن علي الشاذلي متهم بالعصيان وقتل الطلياني «موتشيو» وسرقة متاعه ومحاولة قتل البريقادي «بياتري» وعون البوليس «سنغ» وسن هذا المتهم 22 سنة وهو من اهالي السبالة من عمل بنزرت وممن سبق الحكم عليه (مسجون).

9 — علي بن احمد بن الحاج نصر متهم بقتل «موتشيو» وسرقة متاعه وسن هذا المتهم 32 سنة وهو من اهالي (ترماسة) من عمل مدنين ولم يسبق الحكم عليه (مسجون).

10 — علي بن مسعود بن علي القرماني متهم بقتل الطلياني «موتشيو» وسرقة متاعه وسن هذا المتهم 29 سنة وهو من اهالي راس الوادي من عمل مدنين ولم يسبق الحكم عليه (مسجون).

11 — محمد بن الحاج عبد الله الغربي متهم بالعصيان ومحاولة قتل متفقد البوليس «سولي» وعون البوليس «فواتي» وسن هذا المتهم 25 سنة وهو من ابناء الحاضرة وممن سبق الحكم عليه (مسجون).

12 — عبد الله بن يونس درمول متهم بالعصيان وبمحاولة قتل متفقد البوليس «سولي» وسن هذا المتهم 22 سنة وهو من ابناء جربة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون).

18 — الحطاب بن علي بن قاسم متـــهم بالعصيـــان ومحاولة قتل متفقد البوليس « دوران » وسن هذا المتهم 31 سنة وهو من ابناء سيدي فتح الله ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

19 — احمد بن عمارة بن منصور ، متهم بالعصيان ومحاولـــة قتل متفقد البوليس « دوران » وسن هذا المتهم 20 سنة وهو من اهالي بوعرادة ، ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

20 ـــبكار بن علي بن بحار ، متهم بالعصيان ومحاولة قتل متفقد البوليس « دوران » وسن هذا المتهم 23 سنة وهو من اهالي مطماطة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

21 — هتان محمد السعيد بن علي ، متهم بالعصيان ومحاولـــة قتل عون البوليس « تيسيي » وسن هذا المتهم 51 سنة وهو من اهالي ايتورار بجرجرة من عمالة الجزائر ممن سبق الحكم عليه (مسجون) .

22 — المنوبي بن علي القطاري متهم بالعصيان ومحاولة قتـــل الايطالي

« بونتزيو » وسن هذا المتهم 29 سنة وهو من ابناء الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجـــون) .

23 — حسين بن محمد البكـــوش ، متهـــم بالعصيان وبقتـــل الايطالي « تورتوريتشي » ومحاولة قتل « كرابانزانو » و « دي نيليبو » ، و « كيريسي » وسن هذا المتهم 31 سنة وهو من ابناء راس الجبـــل ولم يسبق الحكم عليه (مسجـــون) .

24 — العمري علي بن محمد ، متهم بقتل « تاليانيكو » ، وسن هذا المتهم 72 سنة وهو من ابناء البقالطة من عمل المهدية ، ولم يســـبق الحكم عليه (مسجـــون) .

25 — سالم بن مسعود متهم بالمشاركة في قتل « تاليانيكو » ، وسن هذا المتهم 26 سنة وهو ممن سبق الحكم عليه (مسجون) .

26 — فرج بن خير السوداني ، متهم بالعصيان ومحاولـــة قتل الايطالي « مرتنيكو » وسن هذا المتهم 27 سنة ، وهو من السودان ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

27 — الحاج الصديق بن بلقاسم ، مـــتهم بالعـــصيان ومحاولة قتل عون البوليس « موجني » وسرقة متاعه وحمل السلاح وسن هذا المتهم 40 سنة وهو من اهالي توات ولم يسبق الحكم عليه (مســجون) .

28 — محرز بن البشير متهم بالعصيان وبمحاولة قتل كوميسار البوليس « مانتاني » وسن هذا المتهم 15 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجـــون) .

29 — الحاج محمد بن علي الجبالي متهم بمحاولة قتل كوميسار البوليس « جاكاند » ، وسن هذا المتهم 36 سنة وهو من اهالي طبربة وممن سبق الحكم عليه (مسجـــون) .

والانفار الآتية اسماؤهم متهمون (بالعصيان — فقط) وهم :

30 — عبد الحميد بن عبد الله بن علي سنه 21 سنة وهو من اهالي الغراني بتبسة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

31 — عمر بن عمر التومي سنه 41 سنة وهو من اهالي مجاز الباب ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

32 — الحاج محمد بن علي بن محمد سنه 36 سنة وهو مـــن اهالي مجاز الباب ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

33 — ميلود بن علي بن صالح سنه 55 سنة وهو من اولاد حفوز بتلمسان ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

34 — مبارك بن مبروك العايش سنه 36 سنة وهو من اهالي جربة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

35 — جمعة بن عمران بن سالم الجربي سنه 21 سنة وهو من اهالي جربة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

36 — رابح بن محمد بن علي سنه 31 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

37 — الطيب بـ نمحمد الغيث العلاسي سنه 17 سنة من اهالي الحاضرة وممن سبق الحكم عليه (مسجون)

38 — صالح بن علي الجلاصي سنه 17 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

39 — محمد بن الحاج علي الشريف سنه 23 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

40 — محمد ابن الحاج محمود الخمار سنه 27 سنة وهـــو من اهالي الحاضرة وممن سبق الحكم عليه (مسجون)

41 — حسن بن بلقاسم بن علي سنه 30 سنة وهو من اهالي غدلمس ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

42 — مصطفى بن محمد بن الطيب سنه 23 سنة وهو من اهالي غدامس ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

43 ــ محمد بن الحاج الصادق سنه 25 سنة وهو من اهالي الحاضرة وممن سبق الحكم عليه (مسجون)

44 ــ محمود بن محمد بن محمود الغربي سنه 51 سنة وهو من اهالي قربة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

45 ــ احمد بن علي بن ناصر السبعي سنه 29 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق عليه الحكم (مسجون)

46 ــ سكور بن محمد الصالح بن سنعيدان سنه 24 سنة وهو من اهالي سيسب ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

47 ــ احمد بن علي الحانبة سنه 57 سنة وهو من اهالي المكنين ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

48 ــ محمد بن سالم الدويري سنه 22 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

49 ــ الحاج محمد بن محمد التواتي سنه 30 سنة وهو من اهالي توات ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

50 ــ البشير بن محمد بن علي الغربي سنه 25 سنــة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

51 ــ الحبيب بن محمد بن الحاج محمود الخمار سنه 17 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

52 ــ احمد بن علي بن بلقاسم سنه 20 سنة وهــو من اهالي قابس ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

53 ــ بلقاسم بن احمد بن الحاج العربي سنه 17 سنة وهــو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون)

54 ــ الطيب بن عمار بن ضو سنه 26 سنة وهو من اهالــي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

55 — محمد بن احمد الجلاصي سنه 36 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

56 — ابراهيم بن محمد الصلي سنه 25 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

57 — سليمان بن احمد بن جيد سنه 44 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

58 — 85 — احمد بن سليمان الزواوي سنه 22 سنة وهو من اهالي الحاضرة وممن سبق الحكم عليه (مسجون) .

59 — محمد بن سالم بن الحاج العربي سنه 32 سنة وهــو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

60 — رحومة بن مبروك سنه 41 سنة وهو من اهالي الغربية بطرابلس ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

61 — منصور بن علي بن عبد الله الحنشي سنه 33 سنة وهو من اهالي باجة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

62 — المنوبي بن الحاج العربي سنه 17 سنة وهو مــن اهالي الحاضرة وسبق الحكم عليه (مسجون) .

63 — محمد بن احمد بن عمار سنه 25 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

64 — العربي بن حسن التركي سنه 16 سنة وهو من اهالي زغوان ولم يسبق الحكم غليه (مسجون .

65 — مخلوف بن عمر بن علي سنه 24 سنة وهو من اهالي الحامة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

66 — عبد العزيز بن سليمان بن قدور سنه 23 سنة وهو من اهالي الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

69 — عبد العزيز بن عبد القادر سنه 19 سنة وهو من ابنــاء الحاضرة وسبق الحكم عليه (مسجون) .

70 — عبد القادر بن عمر الشتيوي سنه 20 سنة مولود بحمام سوسة من عمل سوسة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

71 — محمد بن محمد قارة سنه 22 سنة وهو من ابناء الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .

72 — محمد بن قدور بن الصياح سنه 18 سنة وهو من ابناء الحاضرة ولم يسبق الحكم عليه (مسجون) .



عربات نقل المساجين

الشــهــود

وبعد الفراغ من تلاوة قرار الاتهام شرع في المناداة باسماء الشهود وعددهم 150 شاهدا .

ويلاحظ ان المائة والخمسين شاهدا لا يوجد من بينهم الا نحو 35 شاهدا من المسلمين والبقية أجانب ، ومن بين الشهود يوجد شيخ المدينة السيد « الصادق غيلب »، والعضو البلدي السيد « عبد الجليل الزاوش » ، ونيف وعشرون من أعوان البوليس والجندرمة المسلمين ، والبقيــة أرباب تجارة وصناعة وموظفون .



بعـض الشـهـود !!!

كما يلاحظ انه لا يوجد من بينهم الا نحو عشرة من شهــوذ النفي ، والباقي شهود اثبات . وهذه اسماء الشهود :

1 — اسبيو هنري كوميسار البوليس بتونس

2 — ليال شارل ، مدير الامن بتونس
3 — محمد الصادق غيلب رئيس المجلس البلدي وشيخ المدينة
4 — كورتلان كاهية رئيس المجلس البلدي المفوض
5 — مورينوبول رئيس مهندسي مصلحة تيس الاراضي
6 — بونميزون جورج ، قبطان الجندرمة بتونس
7 — ماتايي كوميسار البوليس بتونس
8 — عبد الجليل الزاوش العضو بالمجلس البلدي
9 — احمد بن محمد الشرقي المترجم بادارة تيس الاراضي
10 — شيالكوغا عون البوليس عدد 101
11 — بورجي جورج عون البوليس عدد 58
12 — دوبيير فرانسك السرجان بعساكر الزواف
13 — شومي جان بريقاد يالبوليس
14 — محمد بن علي العياري عون البوليس عدد 121
15 — الحطاب الورتاني عون البوليس عدد 242
16 — احمد بن محمد بن عبد الرحمان عون البوليس
17 — امبير عون البوليس
18 — لياندري الملازم بعساكر الخيالة الافريقية
19 — بياتري بريقادي البوليس بتونس
20 — احمد بن علي العياري عون البوليس
21 — جوستو جزاف سائق الترامواي
22 — فرجان دولف عون البوليس
23 — سيمون دنيس عون البوليس عدد 76
24 — بيني ليوبولد عون البوليس عدد 35
25 — دوران ريني بريقادي بعساكر الزواف
26 — مصطفى عصمان عون البوليس
27 — ترامونى انطوان عون البوليس
28 — مانوني من عساكر الخيالة الافريقية
29 — البشير بن محمد الدهماني الحماص بزنقة بوعكرة

30 — كوكيل ليون عون البوليس

31 — فريسني بول عون البوليس

32 — كلاي بول كوميسار البوليس بتونس

33 — كوستان جان عون البوليس

34 — كوستو جان عون البوليس

35 — فرو فرنسوا عون البوليس

36 — كورتو لوسيان كاهية متفقد البوليس

37 — هسات ليون عون البوليس

38 — كولي فرانسوا كاهية متفقد البوليس

39 — قريمالدي فرانسوا عون البوليس عدد 85

40 — لافلاد الجندي بعساكر الخيالة الافريقية

41 — مرتيني سيمون عون البوليس

42 — المولدي بن الزيتوني القلعي عون البوليس

43 — محمد بن علي الناصر القهواجي بباب الفلة

44 — ماتيي مرسيال كوميسار البوليس بتونس

45 — علي سعيد عون البوليس

46 — البشير بن دفة عون البوليس

47 — بليي جوفانة امراة سان فيليبو

48 — احمد بن محمد بن علي بن الناصر عون البوليس

49 — جوفروا الجندي بعساكر الخيالة الافريقيـــة

50 — محمد بن ثريا بن منصور عون البوليس عدد 213

51 — مرقيتي لوران عون البوليس

52 — عثمان البنزرتي صانع قهواجي بسيدي بيان

53 — فينقي نيكولا الحطواني بنهج سيدي ابراهيم

54 — كرابنزانو صانع الاحذية بنهج الكمسيون

55 — بونريكي جان عون البوليس

56 — دي فليبو ليوناردو صانع الاحذية بنهج الكمسيون

57 — كويرشي اميدي

58 — المراة زنيليكه قراسيه الساكنة بالرمادين

59 — قندولفو انطونيو صانع القبعات بنهج سيدي البشير

60 — المراة بلوندانطونيو الساكنة بالسبخـــة

61 — قازجان الجندرمي بتونس

62 — العربي الجيلاني الجندرمي بتونس

63 — جاك اوجين عون البوليس عدد 84

64 — لنقطار اوقيست الساكن بساحة المحطة

65 — مرقيتي ارمان مقاول في البناء

66 — سفاي فنشتروشارون الساكن بالحدادين

67 — المراة باتشي ماريا الساكنة بنهج المركاض

68 — ليوو لورانس امراة سيربي الساكنة بالمركاض

69 — كورفيدي لوي المستخدم بالبريد

70 — باراس جوزفين امراة ماري الساكنة بالمركاض

71 — ماري ارنيست السرجان المتقاعد

72 — برتومي عون البوليس

73 — ازوباردي ماري امراة لوبتيس

74 — بكار بن محمد بوعزيز الجزار بنهج سيدي البشير

75 — دروان كاهية متفقد البوليس

76 — سالم بن علي عون البوليس

77 — كايي ليون ماري عون البوليس

78 — فنك لوي فكتـــور

79 — جاكونو فرانشيسكه امراة سبندانو

80 — المراة جيورانة فرانشيسكه الساكنة بالسبخة

81 — المراة اتوريو تيريزيا من سكان السبخة

82 — المراة جيوراتة ماريا الساكنة بالسبخة

83 — جيوراته انطونيو امراة بلوندو الساكنة بالسبخة

84 — عبد الرحمان بن محمد كوتوش عون البوليس

85 — تيسي عون البوليس عدد 30

الجرجار ــ كاذبة .

المراة ــ نعم لقد عرفتك ، وقد ارتكبت جناية فظيعة ومـن الانصاف ان تعاقب عليها بما تستحق .

الرئيس ــ في هذا كفاية . والآن ماذا تقول عن مشاركتك في قتل العون « فواتـي » .

الجرجار ــ لقد قلت : اني لم اذهب الى باب علاوة .

وهكذا كذب الجرجار اعوان البوليس الذين شهدوا في قتل هذا العون وتقدمت للشهادة المدام « ارنو » وقالت :

المدام ارنو ــ لقد كان من جملة الذين أحاطوا بمنزلي وبالرغم من أني لم أتحقق من وجهه الا أني عرفته الآن من صوته الذي سمعته هناك .

الجرجار ــ من الغريب ان تتمكن الشاهدة من معرفة صوتي في جماهير صاخبة مختلطة الاصوات .

استنطـاق المتهم رقـم (3) محمد لاكانجي

ثم نودي على المتهم محمد بن خميس لاكانجـي النـجار صناعة والمتهم بالعصيان والقتـل .

الرئيس ــ (بعد ذكر التهم) كيف تقول : ان عمرك 16 أو 17 سنة مع انك ذكرت في البحث انه 22 عاما .

محمد ــ لقد سمعت من أهلي أن عمري 16 عاما .

الرئيس ــ اذكر كيف شاركت في قتل البريقادي « فرانكي » ؟

محمد ــ لم اشارك في قتل أحد . ولم أحضر هذه الجناية .

الرئيس ــ انك تسكن بالقرب من مكان الواقعة . ومخزنك امام المكان الذي قتل فيه « فرانكي » فلا بد أنك شاهدت الواقعة على الاقل .

محمد ــ حقيقة اسكن بنهج سيدي البشير قرب باب علاوة ومخزني ابعد

114 — عبد الرحمان بن علي كاوتوش المستخدم بادارة الاداءات
115 — برني عون البوليس
116 — بونسيو سلفاتوري التارزي بزنقة المحروق
117 — جالك فيكتور اجير
118 — ميسو اجير ايضـــا
119 — سـالم الافريقي عون البوليس
120 — محمد بن دالي يحي عون البوليس
121 — قويسته لوران عون البوليس
122 — موجني عون البوليس
123 — بروكاته روزايه بنهج سيدي البشير
124 — بونيتشي جاكمو
125 — بروكاته جيوفاني
126 — تاليا فيكولاتيزيه
127 — رومانو بنيديتو
128 — كسار سيتيفانو السـاكن ببطحاء بقيرة
129 — كمار اتو توتشيو الصفائحي ببطحاء بقيرة
130 — زامبيتو جيوزابي
131 — مارتينيكو جيوزابي
132 — تشيكالدي عون البوليس
133 — الليقر وفرنشيسكو
134 — الشـاذلي المملوك عون البوليس
135 — محمد بن مصطفى الزمرلي العدل بتونس
136 — العروسي بن عجم
137 — محمد الشريف الجنادي
138 — محمد بن علية
139 — عبد القادر بن صالح الشلوف
140 — مدام ايميـــل
141 — لوازلور لوي

142 — موسى بن التهامي بن الحاج مخمد

143 — محمد بن قدور بن جعفر

144 — جوراته مارية

145 — فلزون جيوزابي

146 — اغوستوقو سيو جيوزابي



فريق من محافظي الشرطة من شهود الاثبات

147 — سيراكوزه سلفاتوري

148 — انقروسية فرانسيسكو

149 — فاليتة جنفوفة ربسبيير عون البوليس

150 — سلفاتوري

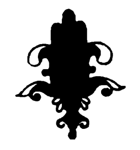
وبعد الانتهاء من المناداة على أسمائهم طلب منهم الرئيس أن ينصرفوا على أن يرجعوا صباح يوم الاربعاء 5 جوان قبل انعقاد الجلسة ، فربما احتاجـت

اليهم المحكمة ذلك اليوم ، وانه يرخص لهم في الانصراف مراعاة لاشغالهم ، وعدم تضييع أوقاتهم •

وكانت اذ ذاك الساعة الحادية عشرة فرفع الرئيس الجلسة الاولى معلنا عن موعد الجلسة الثانية في مساء ذلك اليوم على الساعة الثالثة بعد الزوال .

جلسة مساء 3 جوان

رجعت المحكمة للانعقاد في الموعد المذكور وكان في القاعة عدد من المتفرجين الاروبيين نساء ورجالا يحتلون المقاعد وفي آخرها عدد من اقارب المتهمين من الرجال والنساء وقوفا يحول بينهم وبين المقاعد صف من الجنود المسلحين وفي ساحة المحكمة الخارجية انتشرت جماعات من أعوان البوليس



الاستنطـــــاق

استنطاق المتهـم رقم (1) الشاذلي القطاري

نادى الرئيس باسم المتهم الاول « الشاذلي بن عمر القطاري » وشرع في استنطاقه فبادر هذا بانكار الحضور في الواقعة انكارا تاما .

الرئيس — استطرد لذكر تاريخ مقبرة الزلاج وكيف سميت باسم مشتريها الشيخ « الزلاج » الذي قدم من القيروان واشترى الجبل من يهودي واوقفه لدفن اموات المسلمين ، ثم تعرض لتاريخ سيدي ابي الحسن الشاذلي ووفاته بمصر وذكر الايمة المسلمين المدفونين بالمقبرة الخ ثم قال : ان ادارة اشغال البلد عندما رات اغارة بعضهم على مقاطع الحجر والرمل طلبت تسجيل ارض المقبرة ، فتجاوزت بذلك حدود وظيفتها ، لانه كان ينبغي لها أن تستشيـــر شيخ المدينة وأعضاء المجلس البلدي قبل أن تقدم على التسجيل ، لان فرنسا اتت لهذه البلاد لتاييد وبسط سياسة التشريك (؟) وعلى كل فان مطلـــب التسجيل كان صادرا عن حسن نية .

ثم التفت الرئيس للمتهم قائلا : ما قولك في هذا الكلام ؟

الشاذلي — أنا لا اهتم الا بشؤوني الخاصة ، ولا اعرف من هذه الامور شيئا .

الرئيس — ان من دلائل حسن نية الادارة البلدية ان كاهية المجلس البلدي (الفرنسي) قدم مع مطلب التسجيل محضر توجه كان وقع في 15 اكتوبر 1884 باذن الشيخ القاضي المالكي على عهد رئاسة السيد محمد المبزع وكان شيخ المدينة اذ ذاك السيد الدلاجي لاثبات وقوع اغارة على المقبرة من بعض الاجوار واثبت تقرير التوجه يومئذ ان بعض المسلمين نزلوا قطعا من ارض المقبرة للايطاليين . وكان شيخ المدينة ومشائخ الربضين قد اعترضوا على ذلك . ولما ولي الم . « كورتلان » الكاهية الحالي وجد هذا التقرير بالادارة فظن أن للمجلس الحق في تسجيل ارض الزلاج محافظة عليها . (للمتهم) هل تعرف شيئا من هذا الامر .

الشاذلي — لست كبير السن حتى استشار في هذه الامور أو يكون لي دخل فيها ؟

الرئيس — اكرر لك ان المجلس البلدي كان حسن النية في مسالة التسجيل بدليل انه نشر اعلاما عن ذلك بالرائد الرسمي التونسي ، ولكن هناك أناس اشاعوا ان المجلس البلدي يريد اخذ المقبرة وتقسيمها للبناء وان يحدث بهـا سكة للترام وهو محض اختلاق لانه قد نص في مطلب التسجيل على ان أرض المقبرة من حقوق الاهالي . وفي اساءة الظن ما يشين فرنسا التي حافظت على الشعائر الدينية واحترمت العقائد في هذه البلاد . فماذا تقول في هذا ؟

الشاذلي — لما فتحت عيني في هذه الدنيا وجدت فرنسا تحكم البـلاد وتطبق فيها قوانين الانصاف (كذا) ولا أعرف شيئا غير هذا ، والاحظ أني لست من اصحاب الحيثيات (؟)

الرئيس — بقطع النظر عن كون المقبرة ملكا للدولة أو وقفا لجمعية الاوقاف او لاصحاب القبور ، فكان واجب الاهالي أن يفوضوا أمرهم الى المحكمة العقارية المختلطة المؤلفة من الفرنسيين وأعيان المدرسين بالزيتونة وهي تتحرى في أحكامها وتنظر في القضايا بتدقيق كما وقع سابقا في مقبرة سوسة والمنستير ، وهي تحترم الشعائر الدينية والقبور فهل تشك في ذلك ؟ ثم ان للأهالي من ياخذ بيدهم اذا لم يرضهم المجلس المختلط اذ يمكنهم أن يرفعوا أمرهم الى سمو الباي ورجال الدولة ولهم أحباب ينصرونهم في مجلس الامة (الفرنسي) . فماذا تقول في هذا ؟

الشاذلي — لقد لاحظت أني لست من ذوي الاعتبار والخبرة بهذه الامور واني لا أعرف احدا ممن ذكروا .

الرئيس — كان في امكان الشعب التونسي ان يعرض أمره على المجلس المختلط ورؤساء الحكومة وعلى اقوى من ذلك وهي محكمة الراي العام .
وكان أمامه الوقت الكافي لذلك ، على أن وضع علامات التحديد الوقتي
لا يثبت الحق ولو تم التحديد لما ثبت به الحق للمجلس البلدي ، (للمتهم) ،
فماذا تقول في هذا ؟

الشـاذلي ــ لا اقول شيئـــا

الرئيس ــ ان الحرب التركية الايطالية قد اثارت حمية التونسيين بداعي الاتحاد الموجود بين المسلمين بحيث ان المدافع التي يطلقها الطليان بطرابلس يسمع دويها في تونس . وبالرغم عما اتخذته الحكومة من احتياطات لحفظ الحياد فانها لم تتمكن من ذلك فوقعت اكتتابات لاعانة الاتراك ، وعلقت على الجدران اعلانات تحث على مقاطعة الطليان ، وقد اقتلعها البوليس ولكن بعد أن اطلع الناس عليها ومما تضمنته تلك الاعلانات : ان المسلمين كالجسد الواحد اذا اصيب منه عضو تالم الجسد كله (للمتهم) هل بلغك نبا الحرب بطرابلس ؟

الشـاذلي ــ لم يبلغني خبرها ، وليست لي اية فائدة فيها

الرئيس ــ ان دفاعك عن نفسك دفاع بليد ، لقد اردت أن اظهر لك ان التونسيين نوعا من الحق فيما يخص التضامن . وانكارك هذا يفيـــد انـــك لا تعرف حتى أخبار الحرب

الشـاذلي ــ انا اهتم فقط بكسب قوتي ، ولا يهمني غيره

الرئيس ــ لست ادري اية رابطة بين الحرب الطرابلسية وبين تسجيل أرض الزلاج (؟) ؟ فما ذلك في رايي الا سوء ظن بفرنســـا ، ان المجلـــس البلدي لما اجتمع يوم 2 نوفمبر نبهه السيد عبد الجليل الزاوش الى خطورة مسالة التسجيل لان الافكار متهيجة ، وتفاهم في ذلك مع شيوخ المدينة فانضم الى رأيه ووافق الاعضاء على ذلك ، وتقرر يومئذ ابطال التسجيل (وهنـــا أثنى الرئيس على السيد عبد الجليل الزاوش بهذه المناسبة)ثم قال : فكان ينبغي اذ ذاك اعلام الاهالي في الحال بامر الرجوع في التسجيل ، ويلوح ان ذلك من وظيفة شيخ المدينة ، لانه كان حاضرا . وحيث كان هو الذي أذن بتعليق اعلانات الاعتراض وعلقت حتى على أبواب المقبرة ولم تزل موجودة ، فقد كان عليه ان يعلق فوقها اعلانات العدول عن التسجيل . ولكن يظهر ان السيـــد « الصادق غليب » لم يخطر في ذهنه وجوب اعلام السكان ، وذلك مما يجب تحقيقه لحصر المسؤولية (للمتهم) هل علمت بشيء من ذلك ؟

الشـاذلي ــ لا . فانا رجل امي لا اعرف شيئا عن هذه الاعلانات

الرئيس ــ ان جناب كاتب الدولة العام ، لما بلغه ليلة الفتنة على الساعة السادسة مساء نبا التاثر العام الذي حصل للأهالي ، والاجتماع الذي سيقع بالزلاج أمر مدير الامن باتخاذ الاحتياطات لحفظ الامن العام ، وهذا كلف الكوميسار بالمهمة بمساعدة 300 من اعوان البوليس ، وطلب الكاتب العام من شيخ المدينة ان يعلم سكان الحارات الاهلية بقرار ابطال التسجيل ، واطمان الى ان شيخ المدينة سيفعل ما طلب منه ، ولكنه لم يبلغ المحركين (شيوخ الاحياء العربية) الا على الساعة التاسعة مساء ، وقد زعم المحركون انهم اعلموا السكان ، فهل يجب تصديقهم ؟ (للمتهم) هل اتاك محرك حارتكم ؟

الشـاذلي ــ لا

الرئيس ــ (مستعرضا الوقائع) على الساعة السادسة من صباح يوم 7 نوفمبر انتصب 120 من أعوان البوليس بين باب علاوة ومقبرة الزلاج (لايفصلهما عن بعضهما الا طريق عام) وكان نصفهم فقط مسلحا وفي مقدمتهم الكوميسار « اسبيو » والم ، « بيش المراقب العام للبوليس ، ولم يكن هناك وتتئذ خلق كثير . وقد أراد الموجودون أن يقوموا بمظاهرة سلمية ، وخاصة الاعيان منهم والنساء ، وبين هؤلاء اندس جماعة من المشردين والاوباش من ذوي السوابق (للمتهم) وأنت منهم يا شاذلي

الشاذلي ــ لست منهم ، ولم اكن حاضرا بالزلاج

الرئيس ــ ساريك انك كنت معهم ، ولننظر الى سوابقك ، فقد حكمت عليك المحكمة الفرنسية بالسجن ثلاثة اشهر لسرقة عام 1911 . وحكمت عليك المحكمة التونسية بالسجن شهرين للسرقة ايضا . وتظلم منك ابوك للبوليس ، ذاكرا انه عجز عن تاديبك .

ثم تمادى الرئيس في شرح الواقعة واسبابها ونتائجها واستنطاق المتهم الى الساعة السابعة مساء حيث اعلن رفع الجلسة الى صباح الغد .

جلسة صباح الثلاثاء 4 جوان

عاد الرئيس الى استنطاق الشاذلي القطاري وذكر الوقائع قائلا :

الرئيس — من المحتمل أن الوقائـــع لم تكـــن نتيجـــة مؤامرة كمـــا زعم بعض الناس ، وإن المتشردين والاوباش مـــن ذوي السوابق اغتنموا هذه الفرصة من تلقاء انفسهم لارتكاب الفظائع . وقد ذكر أحدهم أثناء البحث ان الشبان التونسيين — وخصوصا السيد عبد الجليل الزاوش — هم الذين دبروا هذه الفتنة منذ زمن طويل . ولكن العدلية الفرنسية بحثت المسالة من جميع جهاتها فلم يتحقق عندها هذا الزعم ، كما قيل ايضا : ان بعض المتهيجيـــن استاجروا عمال الميناء بخمسة فرنكات لاحداث هذه المجزرة غير أن البحـــث أثبت بطلان هذه الاشاعة ايضا

والحقيقة ان قلاقل الزلاج ناشئة عن احساس عام ظهر تلقائيا حسبمـــا أثبتته الشهادات ، وعليه فانه لم يقع أدنى تسميم للأفكار قبل ظهور القلاقل ،

ثم تعرض الرئيس الى مسالة اغلاق ابواب المقبرة ومنع الناس من دخولها متسائلا . هل كان من المفيد اغلاقها على هذه الصورة وحمل الافكار على اعتقاد اخذها ؟ وفي ذلك الوقت القي القبض على ثلاثة انفار . اما اكوام الحجارة فان البعض يقولون : انها لم تكن موجودة قبل الفتنة ويدعي آخرون خلاف ذلك ، واما العصي فانها أخذت من أغصان الاشجار .

ثم سرد الرئيس الوقائع من قدوم شيخ المدينة ومهندسي ادارة قيس الاراضي للمقبرة والوقائع التي جدت اثر ذلك ، وقتل عون البوليس « فرانكي » قائلا للمتهم : اعترف وقل ما تعلمه في هذه القضية لان ذلك من مصلحتك .

الشاذلي — لم اكن حاضرا ولا علم لي بشيء

الرئيس — يستمر في بيان امتداد الوقائع الى نهج سيدي البشير ووصول النجدة العسكرية وتفاقم الخطر على الساعة التاسعة وحضـــور السيـــد عبد الجليل الزاوش وحثه المتجمهرين على ملازمة جانب الهدوء فلم يصغوا الى نصائحه ، بل قالوا له : ما هي البراهين التي اتيتنا بها على ابطال عملية التسجيل ؟ ولما وصل الملازم « بينلي » وجنوده تلقاهم المتظاهرون بالحجارة فامر الملازم رجاله عندئذ باطلاق النار في الفضاء .

المحامي «بروال» يتداخل معتذرا عن اضطراره لمقاطعة استرسال الاستنطاق

والانتظار من شأنه أن يزيد في عذابه وآلامه .

المدعي العام — أنا لا اريد أن يتعذب احد من المتهمين . ولذلك اطلب عرض منوبك على الطبيب حالا . وحضر الحكيم « برانسفيك » وفحص المريض وقال : ان المتهم كان جرح برصاصة في ذراعه ، وانه في طريق العافية . ولكن يجب مع ذلك المحافظة على صحته والاحتياط من الانتكاس .

الرئيس — يأمر بجعله في مكان منفرد وبالعناية بعلاجه عي السجن بصفة خاصة . ثم تمادى في عرض الوقائع قائلا :

لقد ايقظوا عداوة الاجناس ، وحفروا بينها هوات جديدة وقد أخطأ السكان المسلمون في الارتياب في احترام فرنسا لديانتهم وامواتهم ، والحال أن احترامها لذلك لم يختلف قط ، ومع هذا كله فلا يمكن لنا ابدا ان نشك في اخلاص السكان المسلمين (؟) وربما وجدت أدلة كثيرة على اخلاصهم متمثلة في شجاعة وتفاني كثير من أعوان البوليس الأهليين الذين انقذوا رؤساءهم الفرنسيين ، وفي المظاهرات الودية الشخصية العديدة التي اقيمت نحو الفرنسيين ، وفي حين لم يكن حاضرا من العساكر الا فرق قليلة استيقظ المتهيجون من غشيتهم . وهكذا لم يمس المعمرون المنفردون في البلاد بسوء وبقيت الراحة محفوظة والامن مستتبا ، وفي الوقت نفسه كان أفراد آخرون من التونسيين يبذلون أنفسهم للموت ويريقون دماهم بالجانب الغربي من شمال افريقيا من اجل فرنسا (1) . انه لا يمكن نسيان هذه المزايا .

ثم شرع الرئيس يسرد التهم الموجهة لكل واحد من الموقوفين مبتدئا بالمتهم الاول الشاذلي القطاري فقال : انه متهم بقتل البريقادي « فرانكي » (للمتهم) وقد رآك الشاهد « بلداكينو » يا شاذلي عندما ضربت « فرانكي » بدبوس ضربة مهولة فبماذا تعارض هذه الشهادة ؟

---

(1) يشير الى بعض الجنود التونسيين الذين ارغموا على المشاركة مع الجيش الفرنسي في محاربة اخواننا بالمغرب الاقصى .

الشاذلي — اني لم اكن هناك . واني كلما مررت بجماعة من الايطاليين في ذلك اليوم كانوا يناوشونني بالعدوان فكنت أهرب منهم ، واما شهادة « بلداكينو » ضدي فمتسببة عن عداء قديم بيني وبينه .

الرئيس — هذا جواب مهم ، لانه يدل على معرفة سابقة شخصية بين « بلداكينو » والمتهم وعلى أن «بلداكينو» عرف شخص المتهم .

واستمر استنطاق الشاذلي كامل جلسة يوم الثلاثاء .



البريقادي فرانكى

استنطاق المتهم رقم (2) المنوبي الجرجار

جلسة صباح الاربعاء 5 جوان

نودي على المتهم الثاني المنوبي بن علي الخضراوي عرف « الجرجار » .

وقد ذاعت لهذا المتهم بالخصوص شهرة عظيمة في جميع الأوساط التونسية في معركة الزلاج . وقد تظافر على ذيوع شهرته البطولة التي أظهرها في الوقائع من جهة ولقب « الجرجار » الذي اشتهر به من جهة ثانية ، ولا يزال هذا الاسم « الجرجار » معروفا في جميع الاوساط التونسية الى اليوم كبطل شعبي تردده الأغاني الشعبية . وكان أطفال الاحياء العربية بالعاصمة — كلما حدثت وقائع ضد الاستعمار الفرنسي أو مصادمات بين المستعمرين والشعب رددوا اغنيتهم المفضلة :



المنوبي الجرجار

لم اولادك يا جرجار　　　　وهيا باش نفديو الثار

الرئيس — ان الجرجار متهم بالعصيان وقتل البريقادي « فرانكي » ومحاولة قتل البوليس « فواتي » وان ماضيه مثقل بالجرائم ، فقد حكم عليه 12 مرة منها حكمان من اجل السرقة وثمانية احكام من أجل السكر ، وحكمان من اجل تدخين الشيرة « الحشيش » وان له تاريخا سيئا جدا . وقد تمرد على عائلته ، وهي عائلة شهيرة بتونس . وتشرد وبقي بلا مأوى وهو كاذب في ادعائه ان مهنته صانع قهواجي (عامل مقهى) وقد شهد أعوان كثيرون انهم رأوه بباب علاوة وقت الفتنة .

الجرجار — لم اكن هناك .

الرئيس — ان العون علي بن خليفة رآك يوم 7 نوفمبر وقد ضربت هذا العون بهراوة (عصا غليظة) .

الجرجار — كذب واختلاق .

الرئيس — هناك عون آخر رآك متوجها بعصابة المتهيجين الى حد ركن شارع سكرة .

الجرجار — لا أعرف هذا العون . ولم اذهب الى باب علاوة .

الرئيس — ورآك عون ثالث وفي يدك هراوة في اللحظة التي سقط فيها العون « فرانكي » .

الجرجار — كذب وبهتان . فانا لم أذهب الى المقبرة وليس لي فيها أحد من الاموات .

وتقدم شهود آخرون اروبيون ليذكروا بالتوالي انهم راوه مسلحا بهراوة في جماعة من الاهالي . وكان الجرجار يكذبهم ويناقشهم بكل حمية وشجاعة ومن هؤلاء الشهود امراة قالت :

المراة — كنت فوق سطح منزلي قرب باب علاوة حين سقط أمامي البريقادي « فرانكي » وشاهدت اربعة اشخاص يمثلون بجثته بعد موته وكان المتهم هذا من بينهم رأيته بعيني ، ولا يمكن أن تمحى صورته من ذهني اذ كان في اللحظة الرهيبة يبول على جثة القتيل .

86 — كروانة الفونس كاهية بريقادي بوليس

87 — احمد بن عبد القادر بن عمر عون البوليس عدد 184

88 — علي بن خليفة عون البوليس عدد 166

89 — جينيان قائد الجندرمة بتونس

90 — لوران عون البوليس

91 — فون عون البوليس

92 — مرزاك كوميسار البوليس بتونس

93 — شارنو انطوان الجندي بعساكر الخيالة الافريقية

94 — ابراهيم بن احمد الطرابلسي عون البوليس

95 — بلدكينو كرميلو

96 — سالم بن علي المنستيري

97 — محمد بن ابراهيم الخياري عون البوليس

98 — سنغ عون البوليس

99 — ابراهيم الطرابلسي عون البوليس

100 — ديسور ماري امراة بسون

101 — لوكانطوني كاهية متفقد البوليس

102 — فرميي دامندا امراة مارينو الساكنة بنهج سيدي البشير

103 — قوتي عون البوليس

104 — بيغي عون البوليس

105 — كروانة كرملو من ادارة البريد

106 — قراداس عون البوليس

107 — محمد بن سليمان عون البوليس

108 — رونارهنري عون البوليس

109 — سولي كاهية متفقد بوليس

110 — الشاذلي بن علي بن عمر عون البوليس

111 — برنو عون البوليس

112 — فواتي بنكراس عون البوليس

113 — روميو ماري امراة ارنو الساكنة بنهج سيدي البشير

من السبالة (الحنفية) التي حددتموها لمكان الحادثة ، وعلى كل فلم أحضر قتل « فرانكي » ولا شاهدت من قتله .

الرئيس — ان هذا المتهم لم تصدر ضده احكام سابقة ، وقد أثبت البحث انه شاب مقبل على اشغاله حسن الخلطة من الطبقة الحازمة من صغار أرباب الحرف ، ومن اتباع الطريقة الشاذلية ، محافظ على قواعد دينه وكذلك اخوته . ولكن الاشاعات الرائجة اتهمت الاخوين محمد هذا وحسن والقي عليهما القبض يوم 15 نوفمبر وقد شهد اعوان البوليس بأنهم رأوه في الواقعة وعرفوه حين عَرض عليهم .

محمد — انهم مخطئون ، وتعرفهم علي محض غلط، بل اني لم أفتح مخزني يوم الاضطراب .

الرئيس — ان المراة الايطالية « فرانشيسكة جينو فيزي » راتك من فوق سطح منزلها وتمسكت بقولها في استنطاق اخير ، وعلى كل فربما كانت سمعت فقط بأن هؤلاء الشبان شاركوا في القتل ، اقول ربما سمعت فقط لأن حاكم التحقيق لاحظ أن المسافة بين مكان القتل وسطح منزل الشاهدة بعيدة جـدا .

محمد — لقد كانت مخطئة هي ايضا

الرئيس — هناك — عدا هذه الشهادات — حجج مادية ضدك فقد وجد الاعوان في منزلكم برنسا وسروالا بهما اثـر الدماء ، ووجدوا ايضا عمودا (عصا غليظة) بطرفه الاعلى آثار دم وقعت محاولة ازالته بشفرة سكين

محمد — ليس من المعقول أن احمل عمودا به آثار الجريمة الى منزلي وأمام الناس من سكان تلك الجهة الذين يعرفونني معرفة جيدة ، ولو كنت ارتكبت الجريمة المنسوبة الي لتخلصت حالا من آلة القتل التي لا حاجة لي بها فان منزلي ملئان بمواد حرفتي وفيها كثير من الاخشاب والاعمدة ، ولا ادري اذا كان ذلك العمود قد اتى به بعض الناس الى منزلي دون علمي .

الرئيس — ان اقوالك مخالفة لاقوال الشـهود بخصوص الاشياء التي وجدت عندك ومناقضة لقول اختك التي اعترفت لدى البحث أن العمود يخصك

الرئيس — اين كنت يوم 7 نوفمبر ؟

محمد — لم اخرج من منزلي

الرئيس — ان والدك قد سعى لتبرئة ساحتك فعرض على عدة أناس ورقة متنبرة طالبا منهم أن يشهدوا فيها بأنك لم تكن ضمن الاشخاص الذين قتلوا « فرانكي » فشهد كثيرون انهم لم يروك مع المتظاهرين ، وانهم رأوك حين اغلقت مخزنك على الساعة الثامنة صباحا ويجهلون تصرفاتك بعد ذلك .

محمد — بعد ان اغلقت مخزني دخلت منزلي حالا ولم اخرج منه . واني بريء لم أفعل شيئا يوقفني هذا الموقف .

استنطـاق المتهـم رقم (4) حســن لاكــانجي

الرئيس — (يتحول الى استنطاق حسن بن خميس لاكانجي شقيق المتهم قبله) انت اخو المتهم السابق ؟

حسن — نعم

الرئيس — انت متهم بالمشاركة في قتل البريقادي « فرانكي »

حسن — لست ممن يقدرون على ارتكاب مثل هذه الجريمة

الرئيس — ان البحث يفيد بانك مثل اخيك في الاستقامة والانكباب على عملك الخاص والتمسك بالدين والتقوى .

حسن — ان ديني يأمرني بالاشتغال لاكتساب معيشتي

وهكذا جرى استنطاقه على نسق اخيه وعرضت شهادات الشهود الذين رأوه في الواقعة فكذبها ونسبها للغلط ورفعت الجلسة قبل الزوال بقليل .

استنطـاق المتهم رقم (7) الصبي محمد القروي

جلسة مساء الاربعـاء 5 جـوان

افتتحت الجلسة باستنطاق المتهم محمد بن عبد القادر البكوش الكرارطي صناعة ، سنه 26 عاما .

الرئيس — انت متهم بالعصيان وقتل البريقادي « فرانكي » وبمحاولة قتل العون « كروانة »

البكوش — انكر ما نسب اليه وقال انه لا يعرف شيئا عن الواقعة ولم يحضرها . ودافع عن نفسه دفاعا شديدا في حمية وحماس قائلا : انا رجل اكد على العيال ، واشتغل لاكتساب قوت اولادي ، ولم اخرج قط لأقتل الناس واضربهم .

وعرضت عليه شهادة « كورني » كاهية متفقد البوليس الذي شهد بأن المتهم شارك في قتل « فرانكي » وفي محاولة قتل العون « كروانة » وشهادة العون « سينغ » الذي عرفه من المشاركين في مظاهرة الزلاج وفي قذف الحجارة فاجاب المتهم : ان هؤلاء الشهود مخطئون .

الرئيس — هناك ما يحمل على اعتبار شيء نافع لك وهو غلبة الظن بوجودك في مكان بعيد عن الواقعة فان ناظر ورئيس العملة بالجهة التي تشتغل بها بصفة كرارطي قد شهدا شهادة قطعية بأنك كنت في مكان عملك كامل مدة الاضطراب ولم تفارقه .

البكوش — لقد قلت لحاكم التحقيق : اني كنت بمحل عملي ولم أبارحه

الرئيس — سنستمع الى اقوال شهودك عما قريب .

استنطاق المتهم رقم (6) عبد الله والي

نادى الرئيس على المتهم عبد الله بن محمد والي الكرارطي صناعة ، سنه نحو 30 سنة . واعلمه بانه متهم بالعصيان وقتل البريقادي « فرانكي » وبالسرقة وبقتل « برايار » ثم قال له :

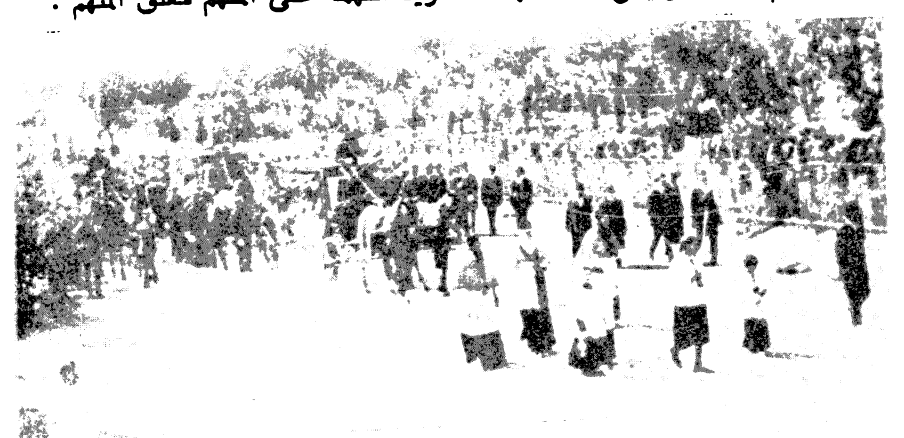
الرئيس — انك من عائلة طيبة . ولك سمعة حسنة فوجودك ضمن المتهمين غريب . ومع ذلك فقد قامت عليك شهادات خطيرة

عبد الله — اني لم أحضر ذلك اليوم ، ولا رايت شيئا من الواقعة

الرئيس — ان التهمة الموجهة اليك صريحة مؤيدة بالشهادات . وقد شهد « كورني » كاهية متفقد البوليس بأنك من المشاركين في قتل البريقادي « فرانكي » ولم يتردد حين عرض عليه المتهمون في التعرف عليك

الرئيس ــ ستقع مجابهتك به

وانتقل الى بيان قتل « فكتور برايار » فقال : انه خرج صباحا مع زميله « فينك » وعند وصولهما ركن نهج بقيرة ونهج سيدي البشير هاجمهما جمع من المتهيجين فتقدم « برايار » خطوات ثم سقط بركن نهج السبخة ونهج سيدي البشير تحت ضربات الحجارة والعصي ، وكان زميله يصيح بالجماعة : انه فرنسي ، ولكن ذهبت صيحاته عبثا • بل أن احدهم تهدده بخنجر فما وسعه الا الفرار وترك رفيقه طلبا للنجاة بنفسه وذكر « فينك » عند عرض المتهم عليه أنه بحسب ظنه هو الذي تهدده بالخنجر ، ولكنه ليس على يقين من ذلك • ثم سرد الرئيس عدة شهادات تؤيد التهمة على المتهم فعلق المتهم :



موكب جنازة البريقادي فرانكي وعون البريد برايار

عبد الله ــ انها شهادات كاذبة

الرئيس ــ (يتخلص الى قضية قتل .برتولو ــ انك بعد ارتكابك لما ذكر الآن صعدت الى سطح دار وقلت باللغة الايطالية « فــي هذا اليوم يموت الايطاليون والفرنسيون »

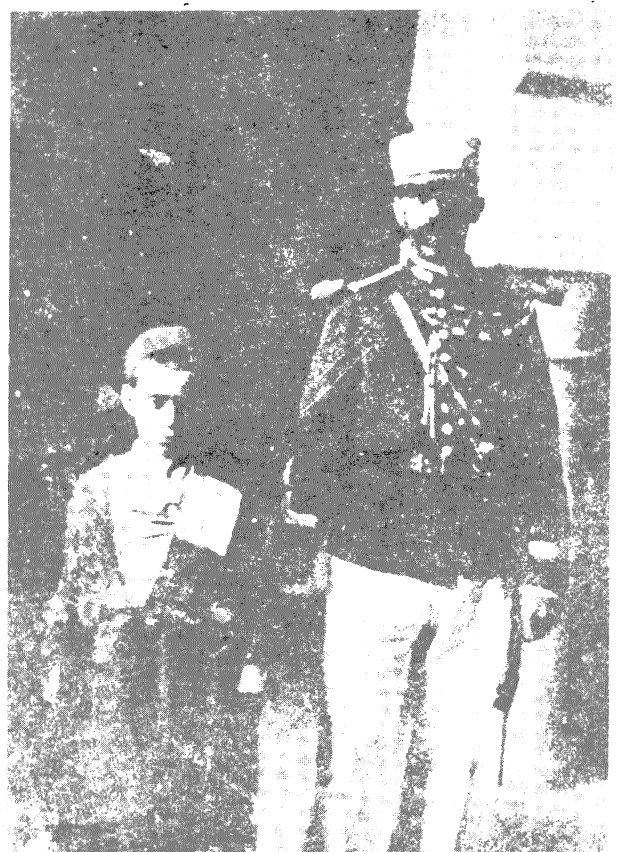
عبد الله ــ أنا لا أعرف اللغة الايطالية

الرئيس ــ ولكنك نسيت انك خاطبت بها الشهود أمام حاكم التحقيق

واستمر الرئيس يذكر تفاصيل مقتل « برتولو » ويسرد اقوال الشهود .
ومن جملة ما جاء في أقوال الشهود : ان نساء مسلمات كن يقذفن الحجارة
من سطوحهن ويبصقن على جثة القتيل (؟) واستمر الاستنطاق على هذه
الوتيرة والتعرض لشهادات تنضح بالتضليل والغــرض الشخصي وشهوة
الانتقـــام

استنطــاق المتهم رقم (7) الصبي محمد القروي

وتحول الرئيس لاستنطاق المتهم محمد بن محمد القروي عمرة 16 سنة «1»
وأعلمه بانه متهم بالمشاركة في قتل وسرقة « برتولو » ثم قال :



الرئيس — ان امــراة ايطالية راتك من نافذتها وهي تفهم اللغة العربيـــة وسمعتك تقول انهم قتلــوا ايطاليا ، وهذه سلسلة ساعته المعثور عليهـــا عندك . «2»

الصبي — أستطيع أن ابين أني لــم أغادر مسكني .

الرئيس — ليست هـــذه الشهادة وحدها فــان امرأة اخرى راتك ايضا وعرفتك .

«1» جريدة الزهرة بتاريخ 8 جوان 1912 ، وذكرت مجلة الاذاعة التونسية عدد 40 السنة 2 ان عمره 13 سنة .

«2» لم نعثر في جريدة الزهرة على تبرير الصبي لوجود سلسلة ساعة القتيل عنده .

الصبي ـ ان تعرفهما علي كان مجرد غلط .

الرئيس ـ هناك فتاة رأتك أيضا من سطح منزلها بنهج السبخة وانت تضرب « برتولو » مع الجماعة .

الصبي ـ لقد كنت في ذلك الوقت في دار عمي ، وفضلا عن ذلك فانا صبي صغير ليس في استطاعتي ضرب رجل كبير .

الرئيس ـ نعم ، ان لدينا شهادات اثبتت عدم حضورك في الواقعة ولكننا سنستمع ايضا الى اقوال الشهود الذين رأوك تشارك فيها ، والذين ليست لهم مصلحة في اتهامك .

الصبي ـ ليس عندي ما اقول سوى أني بريء لم افعل شيئا ولم اكن حاضرا بالواقعة .

الرئيس ـ الم تسمع الناس يتحدثون عن الايطاليين ؟

الصبي ـ لا .

استنطاق المتهم رقم (8) محمد بن علي الشاذلي

وانتقل الى استنطاق المتهم محمد بن علي الشاذلي الحمال صناعة وسنه 22 سنة متهم بالعصيان وقتل « موتشيو » وسرقته ومحاولة قتل البريقادي « بياتري » ومحاولة قتل العون « سينغ » .

الرئيس ـ لقد فاجأك القبطان « بونميزون » واثنان من الجندرمة وعون بوليس وانت بصدد ضرب « موتشيو »

محمد ـ انهم مخطئون ، اذ لم اكن بباب علاوة في ذلك الوقت

الرئيس ـ انك حين رأيت أعوان الحكومة هربت ، فركب القبطان « بونميزون » جواده وطاردك مع اثنين من الجندرمة حتى قبضوا عليك بباب الجزيرة .

محمد ـ ليس لي سرعة الغزال حتى اسبق الخيل من باب علاوة الى باب الجزيرة . انني كنت اشتغل ولم اشارك في الاضطرابات ، وكان القبض علي مجرد غلطة فحشرت مع الناس ومنهم المجرم والبريء .

ثم عدد له الرئيس بقية الجنايات المتهم فيها ، وسرد الشهادات التي اثبت اصحابها مشاركته فيها وتعرفهم عليه ، فانكر كل ذلك انكارا تاما .

استنطاق المتهم رقم (9) علي الفطائري

الرئيس ــ يتحول الى استنطاق المتهـم علـي بن احمد بن الحـاج نصر الفطائري صناعة ويعلمه بانه متهم بقتل وسرقة الايطالي « موتشيو » الذي وقع جره الى دكان الفطائري المذكور وقتلـه وسلبه فيـه وكان المتهم من المشاركين في الجريمة .

علي ــ لقد رايت أعوان البوليس وجماعات من الناس في ازدحام وعراك . ولكني لم اترك شغلي بالرغم من ازدحام الناس أمام دكاني . أما مشاركتي في القتل والسلب فلست قاطع طريق في الجبل حتى ارتكب هذه الفعلة .

الرئيس ــ ان القتيل نفسه قد اتهمك فصرح ، وهو يحتضر ، بانك سحبته الى دكانك وضربته بقطعة حطب محروقة وجد اثرها في الجروح .

علي ــ لم ارتكب هذا الفعل ابدا واني بـريء من هذه الجريمة ولست بالشخص الوحيد الذي يمتلك حطبا محروقا .

الرئيس ــ حيث كنت بدكانك زمن القتل فهل كنت تدير « فطائرك » بالزيت بينما كان الناس يقتلون الايطالي امامك في دكانك وانت مكتف بالتفرج ، واذا ابيت ان تكون متهما فكن شاهدا على الاقل واذكر لنا ما وقع أمامك .

علي ــ لم ار شيئا ولقد كنت منكبا على عملي ولم أنتبه لما وقع .

استنطاق المتهم رقم (10) علي القرماني

جلسة صباح الخميس 6 جوان

افتتحت باستنطاق المتهم علي بن مسعود بن علـي القرماني المتهم بقتل الايطالي « موتشيو » المتقدم ذكره وسرقته ، ولاحظ الرئيس ان المتهم كان سجن سابقا مدة شهر من أجل سرقة ثم قال للمتهم :

الرئيس ــ انك عاملت « موتشيو » بمنتهى الغلظة والتوحش وقد اخذ من بين يديك في حالة احتضار .

القرماني ـ لم يقع مني ذلك ولم احضر قتله .

الرئيس ـ أثبت التحقيق انك ضربته بقطعة من حطب .

القرماني : لا علم لي بذلك ، فقد كنت في ذلك اليوم أبيع الفطائر خارج الدكـــان

الرئيس ـ انك لا تستطيع الانكار فان الشهود رأوك تضربه وقد وجدت احدى اذنيه مقطوعة بآلة حادة

القرماني ـ لم أكن حاضرا

الرئيس ـ اذا كنت لم تحضر جر الايطالي الى الدكان وضربه فاخبرنا عن الواقع بصفة شاهد لا بصفة متهم

القرماني ـ لقد خرجت في ذلك اليوم للطواف بالفطائر حسب عادتي . ولم أرجعللدكان الا حوالي الساعة العاشرة صباحا . ولا ادري ما وقع بعدي من الحـــوادث

الرئيس ـ لقد رآك الشهود بالدكان

القرماني ـ مخطئون

الرئيس ـ عرض على المتهم الشهادات التي تثبت وجوده بالدكان ومشاركته في قتل « موتشيو »

القرماني ـ ذكرت لكم أني لا أعرف شيئا من الواقعة . ولم أكن حاضرا واني رجعت الى الدكان فوجدته موصدا فذهبت حالا الى مسكني ولم أغادره

الرئيس ـ سنسمع أقوال الشهود ونكافحك بهم عما قريب

استنطاق المتهم رقم (11) محمد الغربي

وجاء دور محمد بن الحا جعبد الله الغربي المتهم بالعصيان ومحاولة قتل متفقد البوليس « سولي » ومحاولة قتل العون « فواتي » فانكر المتهم ما نسب اليه .

الرئيس ـ قبل أن تعارض التهم الموجهة اليك هل يمكنك أن تبين لنا كم مرة حكم عليك عدليا

الغربي ـ لا ادري

الرئيس — لقد حكم عليك 27 مرة منذ 1905 في المحاكم التونسية والفرنسية منها اربع قضايا من اجل سرقة و 23 قضية من اجل سكر وفرار وارتكاب نظـــائـــع !!

الغربي — لاعلم لي بصدور هذه الاحكام كلها ضدي . واذا كنت بهذه المثابة فماذا يترقب أولو الامر ليعاقبوني بالابعاد .

الرئيس — لست في حاجة الى تعريـــفك بالأوراق المتضمنة لأعمالك . ولدى البوليس معلومات سيئة عن سيرتك فانك حليف الاشقياء لا تعيش الا من السرقـــة .

واستمر الرئيس يسرد على المتهم اعماله وأقوال الشهود ، والمتهم ينكر ما نسب اليه ويرد الشهادات بحماس ويناقشها بلهجة فيها نصيب من السخرية الى النهاية .

استنطاق المتهم رقم (12) عبد الله درمول

واستنطق بعد ذلك المتهم عبد الله بن يونس درمول

الرئيس — أنت متهم بالعصيان ومحاولة قتل « فرانكي » والمتفقد «سولي» الذي أمطرت عليه وابلا من الحجارة فماذا تقول في هذه التهم ؟

درمول — انها تهم باطلة طبعا فقد كنت في وقت الحوادث اشتغل بمحل مخدومي بنهج الجزيرة ، فمر أعوان البوليس وذكروا أن مشاجرة جدت بين التونسيين والايطاليين بباب علاوة ، وبعد وقت كنت في طريقي الى مخدومي الثاني الذي اشتغل معه ايضا ، وهو عمر بن قرناسي الساكن بنهج الشعير ، وفي يدي قفة ملئانة بالبيض ، فقبض علي أعوان البوليس بدون أن أعلم ذنبي

الرئيس — نعم ، ان مخدومك أيد عدم حضورك في الفتنة ولكن بالرغم من أن مخدومك يؤكد انك لم تغب دقيقة واحدة عن محل عملك ، فقد قبض عليك الاعوان في مكان الاضطراب .

استنطاق التهم رقم (13) سالم بن عثمان

جلسة مساء الخميس 6 جوان

افتتحت باستنطاق سالم بن عثمان الحمال صناعة سنه 20 عاما ، متهم

بالعصيان وقتل العون « فواتي » ، قبض عليه بعد الحوادث بشهر اي يوم 6 ديسمبر 1911 . وعند مواجهته بهذه التهم انكر ما نسب اليه وانه لم يشارك قط في الاضطرابات .

الرئيس — ان العون « برنو » الذي يعرفك معرفة تامة شهد بأنه لاحظك ضمن الذين يقذفون الحجارة على الأعوان يوم الواقعة .

سالم — اذا كان هذا العون الذي يعرفني معرفة تامة ، وقد لاحظني ضمن المتظاهرين فلماذا أرجأ القبض علي الى يوم 6 ديسمبر مع اني لم افارق مركز عملي بمحطة القطار يوميا ؟ وكان عليه أن يقبض علي بعد الحوادث مباشرة أو بعد يومين أو ثلاثة او خمسة عشر يوما

الرئيس — ان العون المذكور لم يرك بالمحطة الا يوم 6 ديسمبر فقبض عليك حالا

سالم — احقق لكم اني لم افارق مركز عملي يوميا . ولو كنت شاركت في وقائع الزلاج لاختفيت من أول يوم

الرئيس — ان العون « برنو » رآك تقذف الحجارة فقط غير أن عونا ءاخر تونسيا شاهدك تضرب العون « فواتي » وعرفك بعد ذلك .

سالم — ان أعوانكم يخطئون دائما في مثل هذه الحوادث

الرئيس — اذن فاذكر لنا ماذا صنعت في يوم الواقعة ؟

سالم — ذهبت صباحا الى المحطة حسب عادتي . ومكثت هناك كامل الصباح ثم ذهبت الى المقهى التي رأيت فيها العون « مركتي » جريحا . ثم عدت الى المحطة .

الرئيس لقد كان لديك الوقت الكافي للمشاركة في الاضطراب والرجوع الى المقهى حيث تحدثت عند الزوال مع العون الجريح « مركتي » ومع ذلك فقد ذكرت أنك تضيت كامل الصباح في المحطة فتبين بهذا عدم صحة ادعائك

سالم — لقد قلت : اني لم أحضر الاضطرابات ، وان الاعوان مخطئون

استنطاق المتهم رقم (14) بلقاسم بن علي

واستنطق بعده بلقاسم بن علي بن محمد الحمال صناعة والمتهم بالعصيان ومحاولة قتل العون « كروانة » وحمل السلاح الممنوع .

الرئيس ـ ان الافادات الخاصة شهدت بحسن سيرتك . ولكن يؤخذ من تقارير البوليس أن الحمالين كانوا يجتمعون في جماعات حول قارىء منهم يقرأ عليهم الجرائد ، الم تكن انت ضحيـــة هذه التاثيرات الدينية التي تبثها بعض الجرائد ؟

بلقاسم ـ انني بريء ومظلوم

الرئيس ـ لقد القي عليك القبض في اشد أوقات الاضطراب . وضبطك العون احمد بن عبد القادر بنهج سيدي البشير ، وفي شهر ديسمبر عرفك العون علي ابن خليفة وشهد عليك بالمشاركة في قتل العون « كروانة » .

بلقاسم ـ ماذا اصنع اذا كان أعوانكم يريدون هلاكي ؟ ان العمود الذي كان بيدي عند القبض علي كان مخصصا لجمع الزيتون . وكنت استعمله في هذه المهنة ، وقد انهال علي الاعوان اذ ذاك بالضرب حتى فقدت وعيي .

استنطاق المتهم رقم (15) محمد القابسي

وجاء دور المتهم محمد بن عبد الله بن عمـــر القابسي المتـــهم بالعصيان ومحاولة قتل البريقادي « بياتري » ومحاولة قتل كومندان الجندرمة «تينيان » وبعد ان تليت عليه التهم قال :

القابسي ـ اني بريء ولم احمل قط عمودا ولا حتى قصبة تبن .

الرئيس ـ لقد ضبطت وانت ترفع بيدك عمودا لضرب الكومندان « تينيان »

القابسي ـ انكر ما نسب اليه انكارا تاما وناقش جميع التهم والشهادات بطلاقـــــة .

استنطاق المتهم رقم (16) عبد الله بن حمودة

واستنطق عبد الله بن حمدة بن حمودة المتـــهم بالعصيان ومحاولة قتل البريقادي « بياتري » . ويلاحظ أن هذا المتهم هو الذي كان محاميه طلب في جلسة سابقة تقديم قضيته لمرضه . وهو رجل ضعيف البنية عمره 60 سنة ، مصاب بجروح في الواقعة ولذلك اذن له الرئيس في الجلوس مدة الاستنطاق وسرد عليه التهم المواجة اليه فانكرها .

الرئيس ـ هل انت بريء ؟

عبد الله ـ نعم انا بريء

الرئيس ــ اشتهر عنك أنك تدخن التكروري ، ولم يعلم عنك فيما يخص سيرتك سوى هذا . وانت مصاب في يدك اليمنى برصاصة ذات عيار كبير وهذا شاهد مهم ضدك لأنــه يذكرنا بأن العون « رفيير » كان ــ عند قتل البريقادي « فرانكي » ــ يطلق النار على الذين سطــوا عليه وجرح منهم اثنين . ومع كونك لم تتهم بالمشاركة في هذه الجنايــة ، فان لنا الحق أن نتساءل عما اذا لم يكن أحد الجريحين التونسيين هو انت .

عبد الله ــ لقد أصبت بهذه الرصاصة عند مروري قرب المقبرة للبحث عن ابني الصغير ولم ار وقتئذ الا الجنود . ويشهد الله اني لم افعل شيئا وقد قضيت الى الآن سبعة شهور في السجن لا ادري ماذا وقع بعدي لأولادي وزوجتي بعد فقد عائلهم ، فعلى الحكومة أن تبحث عن المجرمين وتنصف البرآء

الرئيس ــ تزعم أنك جرحت بسلاح الجند . وعلى فرض صحة ادعائك فان جرحك يكون نتيجة عدم امتثالك لتنبيه أبواق الجيش . ولهذا السبب وحده أصبحت في حكم العصاة وقد عرفك البريقادي « بياتري » معرفة غير مؤكدة في الواقع . ولكنه يظن أنك كنت من بين الذين سطوا عليه .

عبد الله ــ اني لم أسمع تنبيه الجنــود ، ولا رايتهــم عندما صوبوا الي السلاح واطلقوا الرصاص ، واني رجل عاجز كما ترون لا أستطيع السير بسرعة . ولو كنت قادرا على السير في ذلك الوقت لانصرفت حالما رأيت المكان محتلا بالجند .

استنطاق المتهم رقم (17) الجيلاني بن فتح الله

ثم نودي على الجيلاني بن علي بن فتح الله المتهم بالعصيان ومحاولة قتل متفقد البوليس « دوران » ، فسرد عليه الرئيس التهم الموجهة اليه وقائمة من الاحكام الجنائية التي كانت صدرت ضده من المحاكم العدلية ، وما تضمنته تقارير البوليس عن سيرته التي جاء فيها أنه غليظ الطبع ، مدمن على شرب الخمــــر .

الجيلاني ــ اني لم أشرب قبل الواقعة بشهر (ضحك من مقاعد المتفرجين)

الرئيس ــ انك متهم بالمشاركة في الهجوم على المتفقد « دوران » وان

المتفقد المذكور لما وصل الى المقبرة انصبت عليه مقذوفات الحجارة وقطع الزجاج وسمع صوتا يقول « اضربوا » واحاط به اناس عرف بعد ذلك انك كنت من بينهم .

الجيلاني — لقد ذكروا لي في التحقيق الاول ان امراة ايطالية هي التي اخبرت عني ، وفي قصر العدالة فقط عرف بي عون البوليس المتفقد « دوران » والاحظ لكم ان ذلك العون الذي عرف بي المتفقد عدو قديم لي .

الرئيس — (بعدما بسط ما جرى على دوران في الواقعة) ان المتفقد يعرفك . وذكر انه كان على راسك محرمة (منديل) ملونة وقد رآها العون سالم عندما سقطت وقت الغوغاء والعراك ، وشهد عون آخر بأنك ضربت دوران عدة ضربات . وزاد على ذلك بيانا آخر لم تستطع انكاره وهو وجود جرح دام في وجهك .

الجيلاني — ان العون سالم نفسه هو الذي القى علي القبض .

استنطاق المتهم رقم (18) الحطاب بن علي

الرئيس — تحول الى استنطاق الحطاب بن علي بن قاسم واعلمه بانه متهم بالعصيان ومحاولة قتل المتفقد « دوران » وتلا عليه شهادة العون محمد والي الذي شهد بانه عاينه وهو يضرب المتفقد ولم يستطع القبض عليه في ذلك الوقت ولكنه التقى به بعد ساعة فعرفه وقبض عليه .

الحطاب — انني من مرناق ولا علم لي بالواقعة التي وجدت نفسي فيها بدون علم مني . وكنت اتطلع كغيري من المتطلعين حين ضبطني العون المذكور وليس عندي عصا ولا سكين فقبض علي باطلا وشهد بمشاركتي في الضرب ظلما وزاد على ذلك فضربني ضربا مبرحا دون ذنب . ولو كنت على علم من وقوع الحاد ثلما قدمت الى العاصمة اذ ليس هناك ما يهمني من أمر مقبرة الزلاج فمقبرة اهلي في مرناق لا في تونس .

استنطاق المتهم رقم (19) احمد بن عمارة

واستنطق المتهم احمد بن عمارة بن منصور واعـلم بانه متهم بالعصيان ومحاولة قتل المتفقد دوران وشهد عليه عون بوليس بانه رآه يوم الواقعة يحمل هراوة غليظة .

احمد ــ كم من بريء في السجن ؟

الرئيس ــ كيف ذلك ؟

احمد ــ انا مظلوم يا سيدي ، وهذه الشهادة خاطئة ، فانا اعمل اجيرا . وقد ذهبت صباح يوم 7 نوفمبر الى طبربة لالتقاط الحلــزون بحيث لم اكن موجودا في تونس . ولا ادري كيف سلط الله علي هذا العون ؟

استنطاق المتهم رقم (20) بكار بن علي

واما المتهم بكار بن علي بن بحار صناعته حمال ، وعمره 20 سنة فمتهم بنفس التهمة الموجهة للمذكور قبلــه ، وشهد عليه عــون بوليس أيضا رآه يضرب المتفقد « دوران » ورد المتهم ما نسب اليه بقوله :

بكار ــ اني بريء من هذه التهم ، والشهادة غالطة ، فقد كنت وقت الواقعة في الباب الجديد . ولما شاهدت الجنود يصلون الى المكان هربت الى باب الحدادين قرب المكان . وهنا كان البوليس والجنود يجمعون الناس جمعا من الشوارع دون تفريق بين المذنب والبريء ، ويسوقونهم الى السجن ، ووقعت أنا بين أيديهم كما يقول المثل (هرب من القطرة جا تحت الميزاب) ، وفي السجن قابلني العون الشاهد ، وادعى أنه عرفني من المشاركين في ضرب المتفقد « دوران » .

استنطاق المتهم رقم (21) هتان محمد السعيد

جلسة صباح الجمعة 7 جوان

افتتحت باستنطاق هتان محمد السعيد بن علي ، وهو قبائلي اجير ، متهم بالعصيان ومحاولة قتل العون « تيسيي » .

الرئيس ــ في يوم 7 نوفمبر على الساعة العاشرة صباحا راى اعوان البوليس بنهج سيدي البشير جمعا من الأهالي يقودون جريحا أهليا ، فأراد الاعوان أن يأخذوا الجريح ليركبوه عربة فعارضهم الأهالي وحاولوا منعهم من ذلك وعلى الأخص هذا المتهم ، وعند ذلك قبض عليه العون « ترامونى »

هتان — ليس هذا صحيحا ، فقد كنت عائدا من جبل الجلود ، فوجدت الجريح ، وساعدت العون المذكور على نقله الى العربة والركوب معه من تلقاء نفسي مساعدة مني للبوليس ، فما كان من العون الذي ساعدته الا أن قبض علــي .

الرئيس — سنرى ما اذا كان هذا العون يشكرك علــى مساعدتك له ، والآن ماذا تقول في التهمة الثانية وهي سطوك على العون « تيسي » الذي حاولت قتله ، وعند ما عرضت عليه في السجن يوم 18 ديسمبر عرفك في الحين وقال : انك ضربته بعمود في باب علاوة . واكد ذلك تأكيدا لا يقبل الشــــك .

هتان — ان جميع هذه الشهادات باطلة ومختلقة ، ففي يوم الفتنة اركبوني عربة لمرافقة الجريح ومساعدتهم على اركابه وانزاله والعون الذي تعرف علي في شهر ديسمبر ، وانا في السجن ، ادعى بأنه عرفني من ملابسي ، وهي معرفة غريبة حيث ان لباسي كان يلبسه عشرات من الناس غيري .

— الرئيس وماذا ذهبت تصنع في ذلك الجمهور ؟

هتان — كنت راجعا من جبل الجلود — كما قلت — الى باب علاوة ، فوجدت المعركة محتدمة فحاولت الرجوع من حيث اتيت . وعندئذ دعاني اهل الجريح الى مساعدتهم . وجاء الأعوان فساعدتهم على حمل الجريح للعربة ورافقته فقبضوا علي ، مع أني أعنت الحكومــــة . وهكــذا تقبضون على البريء ، وتتركون الجناة أحرارا .

الرئيس — (يسأل الجريح محمد التواتي) هل كان هتان هذا حاضرا عند رفعك جريحا ؟

التواتي — لا

الرئيس — اذن لقد ثبت انك عارضت في رفع الجريح ، وقاومت أعوان البوليس . وقد شهد هؤلاء الأعوان بأنك كنت يومئذ من المهيجين

هتان — لا ينبغي لكم أن تقبلوا اقوال البوليس مسلمة . لأنهم قوم ، اذا سمعت اقوالهم مسلمة كامر صحيح واقع ، افتروا واكلوا الناس أكلا .

استنطاق المتهم رقم (22) المنوبي القطاري

واستنطق المنوبي بن علي القطاري ، وهو شاب عمره 22 سنة ، متهم بالعصيان ومحاولة قتل الايطالي « بولتشيو » ، وقد شهد عليه اعوان البوليس بذلك . وأجاب عن التهمة الموجهة اليه بقوله :

المنوبي — ان أعوان البوليس لا يقولون الحق ، وقد سلطوا التهم جزافا على الابرياء

الرئيس — ما الذي حشرك مع هؤلاء ؟

المنوبي — عندما القي علي القبض كنت اجهل تحجير المرور في المدينة في ذلك الوقت وجهلي هذا كون لي تهمة اخرى أنا بريء منها

الرئيس — ان العون مصطفى بن عثمان شهد بأنك هاجمته ، وامسكته من رجله ولم يستطع التخلص منك الا باطلاق عيارين من مسدسه على جماعة من الناس أحاطت به .

المنوبي — انه غالط فلست انا الذي امسكت رجله ولا رايت من امسكه وقد قبضوا علي واهانوني وضربوني ، ولما شكوت الى الكوميسار لم يسمع مني بل بصق في وجهي . اني — يا جناب الرئيس — لا أستطيع ترك اشغالي حتى أشارك في المظاهرات .

الرئيس — هناك شهادة أخيرة ضدك وهي شهادة الايطالي « بولتشيو » التارزي (الخياط) الذي ضرب قرب باب علاوة ووقع طريحا على الارض لا حراك به فظن الذين جنوا عليه انه مات فتركوه وانصرفوا ، ولما وقعت مقابلتك به في أوائل جانفي الفارط عرفك معرفة صحيحة مؤيدا انك كنت من الذين ضربوه .

المنوبي — هذا غير صحيح ، فقد كنت في ذلك اليوم في محل عملي . ولي على ذلك شهود .

الرئيس — سنرى

استنطاق المتهم رقم (23) حسين البكوش

ثم نودي على المتهم حسين بن محمد البكوش المتهم بالعصيان وقتل

« ترتوريتشي » ومحاولة قتل « كرابنزانو » و « دي فيليبو » و « كويرتشي »
واضاف الرئيس :

الرئيس ــ انك في يوم 7 نوفمبر على الساعة الحادية عشرة صباحا ضبطت بمفترق الطريق بباب الجزيرة وانت تقذف الحجارة على الجنود . وقد عرفك في السجن عدة شهود شهدوا بأنك شاركـت في السطو على مستخدمي الصليب الأخضر عند مرورهم بنهج سيدي البشير صباح اليوم المذكور تحمل الجــرحــى .

حسين ــ انا لا اعرف نهج سيدي البشير ابدا . ولم تعرض لي قط حاجة في مقبرة الزلاج .

الرئيس ــ انه لم يقع الظفر بأحد ممن قتلوا « ترتوريتشي » سواك . وقد شهد « كرابنزانو » بان أول ضربة وجهت لهم كانت صادرة منك أنــت وقد ضربته هو نفسه ، كما ضربت « دي فيليبـــو » و « كويرتشي » وقد تبين علامات خاصة بوجهك . فذكر ان بوجهك أثر الجدري قبل أن يراك وهو صحيح

حسين ــ وهل انا الوحيد الذي يوجــد بوجهه اثر الجدري ؟ اني يوم الواقعة اشتغلت كامل الصباح مع معلمي ــ وهو بناء ــ وخرجت من عملي وقت الغداء . وفي الطريق لم اشعر بنفسي الا وأنا في وسط تيار ازدحام الناس الفارين من الجند .

الرئيس ــ اذا فرضنا انك اشتغلت بعملك صباحا ، فليس هناك مانع من صحة الشهادات ضدك . اذ ما المانع من مشاركتك بعد الخروج من عملك في الجنايات التي وقعت على الساعة العاشرة والنصف واتهمت بارتكابها ، وقد شهد أعوان البوليس بانك وقعت في أيديهم حوالــي الساعة الحادية عشرة صبــاحــا .

استنطاق المتهم رقم (24) العمري علي بن محمد

وهو رجل مسن يتجاوز السبعين من عمره (اختلفت اقوال الصحف في ذلك الوقت في سنه بين 70 ــ 72 ــ 79 ــ 80) ، وهو متهم بقتل الايطالي « تليافيكو » ولما عرض عليه الرئيس التهم الموجهــة اليه اندفع يتحدث عن نفســه :

العمري ــ اني احمل الجنسية الفرنسية . واصلي تونسي من ضواحي المهدية . وقد التحقت بالجندية الفرنسية في جيش « التيرايور » وجرحت مرارا عديدة في حرب ايطاليا والمكسيك وانتقلت الى خدمة الصبائحية في اثناء حرب 1870 . واظهرت خصالا وحزما في قمع الثورة الجزائرية وقد احلت على المعاش ولي مرتب سنوي يبلغ 900 فرنك .

وبعدما سرد حالته المدنية هذه قال : انا لست متوحشا حتى ارتكب مثل هذه الجناية فاني رجل متمدن (؟)

الرئيس ــ ذكر تفاصيل قتل الايطالــي المذكور بنهــج بقيرة وقال : ان الشهود راوا رجلا مسنا بيده عكاز ضرب به القتيــل عدة مرات . وكانت الضربات غير شديدة لكبر سنه فلم تؤثر فيه فاخذ شاب قوي العكاز من يده فضرب به القتيل ضربة شديدة على راسه فسقط علــى الارض . وعندئذ اخرج المسن سيفا صغيرا من تحت ثيابه وصاح قائلا : انا الذي اقتله ! ثم وثب نحو القتيل وطعنه طعنتين في جنبه .

العمري ــ لست ممن يقدم على قتل الناس بدون سبب ثم قال : اني خادم قديم لفرنسا ولم اضر باحد قط.

الرئيس ــ ان لم تكن مجرما فلعلك فعلت ذلك بدافع ديني بلغ منك مبلغ الغضب ، أو انك كنت مدفوعا للاجرام ببغضك للايطاليين ، اذ يمكنك ان تكون خادم فرنسا وتحب الفرنسيين وفي الوقت نفسه تبغض الاجانب .

العمري ــ ليست لي قدرة على ارتكاب مثل هذه الجناية .

استنطاق المتهم رقم (25) سالم الجربي

جلسة مساء الجمعة 7 جوان

افتتحت باستنطاق سالم بن مسعود شدار الجربي العطار (تاجر المواد الغذائية) المتهم بالمشاركة في قتل الايطالي « تليافيكو » .

الرئيس ــ ان شهودا ايطاليين كانوا ينظرون من أعلى سطوح منازلهم الى الجماعة الذين قتلوا الايطالي المذكور ، وقد ذكروا انهم راوك تسلم الاسلحة للجناة لقتل « تليافيكو » .

سالم — لم يقع مني ذلك ولا شاهدت قتله ، فقد كنت فـي دكاني كامل الصباح ولم اغادره لحظة .

الرئيس — هناك شيء لا تستطيع انكاره . وهو أن قتل الايطالي وقع على بضع خطوات من دكانك وقد شاهدت الناس — طبعا — يغدون ويروحون فهل يمكنك ان تخبرنا ببعض التدقيقات في هذا الشان ؟

سالم — لقد كنت مشغولا بدكاني فلـم ار شيئا ولا سمـعت خصاما . والايطالي القتيل اعرفه جيدا . وهو احد حرفاء الدكان لا يشتري لوازمه الا مني . هو رجل مستقيم ولم يقتل امام دكاني حتى ارى ما وقع له .

استنطاق المتهم رقم (26) فرج السوداني

ونودي على فرج بن الخير السوداني المتهـم بالعصـيان ومحاولة قتل الايطالي « مرتنيكو »

الرئيس — ان امراة فرنسوية تسكن بجـهة المركاض ، وتحسن اللغة العربية ، شهدت بانها راتك تحمل عمودا كبيرا يوم 7 نوفمبر ، وأنت سائر في مقدمة جماعة وزعت عليهم قطعا من الحديد وكنت تتحدث مفتخرا باعمالك في ذلك اليوم وتقول : « لقد ضربت كثيرا من النصارى »

فرج — لم يصدر مني هذا . واما قطع الحديد فهي السلعة الموجودة في دكاني . وهو مورد رزقي ولا يعقل أن أوزعها على الناس .

الرئيس : يستعرض شهادات اخرى تدين المتهم

فرج : كذب جميع الشهادات وانكر ما نسب اليه في اصرار

الرئيس — لقد اكتسبت في ذلك الصباح شهرة وسطوه فكنت تأمر وتنهى فتطاع حتى أنك حميت مدام « رجييري » عند نزولها مـن الترام ، اذ قلت لجماعتك « اتركوها ، انها فرنسوية » ومن جهة أخرى فقد سطوت على شاب تونسي يحمل الخبز فاغتصبت خبزه . ثم سطوت انت وجماعتك قرب جامع الهواء على الايطالي « مرتنيكو » . وشهد الكوميسار « ماتايي » بانك من المشاركين في اضطرابات ذلك اليوم .

فرج : انكر كل ما نسب اليه .

استنطاق المتهم رقم (27) الحاج الصديق

واستنطق الحاج الصديق بن بلقاسم المتهم بالعصيان ومحاولة قتل العون موجني وسرقته وحمل السلاح الممنوع . وذكـر له الرئيس تفاصيل التهم الموجهة اليه وطلب منه الجواب

الحاج ـ ماذا عساني ان اقول ؟ انكم لن تصدقوني

الرئيس ـ ان امراة اروبية شاهدتك تضرب أروبيا

الحاج ـ نعم ، لقد عثروا عندي على مسدس كنت وجدته في الطريق قبل ذلك بقليل فارادوا أن ينتزعوه مني فدافعت عن نفسي

الرئيس ـ لماذا لم تسلم المسدس لأعوان البوليس طوعا ؟

الحاج ـ لست من أهل الشر والفساد حتى أفعل ذلك ؟؟ (الظاهر انه يقصد بهذه العبارة ان تسليم المسدس للبوليس معنـاه المساعدة على قتل المسلميـن)

استنطاق المتهم رقم (28) محرز بن بشير

ثم نودي على الصبي محرز بن بشير ، وهو غلام عمره 15 عاما ، متهم بالعصيان ومحاولة قتل الكوميسار « ماتايي » (؟)

الرئيس ـ قد رآك عون البوليس مع الـذين كانوا يقذفون الحجارة على الجنود

محرز ـ (بكل بساطة ورباطة جاش) اذن لماذا لم يقبض علي ؟

الرئيس ـ ان عونا آخر أصيب بالحجارة ولاحظك من بين القاذفين

محرز : ينكر ما نسب اليه بنفس رباطة الجاش .

الرئيس ـ عندما كان الكوميسـار « ماتايي » بصدد القاء القبض على شخص ، أصيب بحجر على صدغه ، وشهد أهليان بانك انت الضارب .

محرز ـ لقد رددت في التحقيق هاتين الشهادتين وبينت أن لي معهما

عداوة سابقة وانهما يحاولان الانتقام مني في مثل هذه الفرصة (وبين سبب هذه العداوة المتمثلة في ان أحدهما له علاقة بأخته والآخر بخالته) .

استنطاق المتهم رقم (29) الحاج محمد الجبالي

وختمت هذه الجلسة المسائية باستنطاق الحــاج محمد بن علي الجبالي المتهم بمحاولة قتل العون « جاكان » ، وتليت عليه الشهادات ، فتبرأ من التهمة ولاحظ بانه لو كان خبيثا وممن يرتكب مثل هذه الاعمال لكان له ملف حافل في المحاكم ، فليس من المعقول ان يرتكب مجرم جريمته الاولى في مثل عمــره .

استنطاق المتهم رقم (30) عبد الحميد بن عبد الله

جلسة صباح السبت (8) جوان

افتتحت باستنطاق عبد الحميــد بن عبد الله بن علــي المتهم بالعصيان والمشاركة في أعمال جماعة الزنجي فرج السابق ذكره .

الرئيس : تلا التهم ، واستعرض الشهادات التي تدين المتهم وقال : ان امراة فرنسية تعرفك نصحتك بأن لا تدخل في زمرة المهيجين لئلا يزج بك في السجن فاجبتها بان السجن لا يضرك اذا استطعت ان تقتل نصرانيا .

عبد الحميد ـــ هذا كذب . لم اتلق هذه النصيحة . ولم يصدر مني هذا الرد ، فانا بريء وجميع الشهادات مختلقة .

استنطاق المتهم رقم (31) عمر بن عمر التومي

ظهر من استنطاقه ومن الشهادات التــي عرضها الرئيس أن حضوره للواقعة غير محقق

استنطاق المتهم رقم (32) الحاج محمد بن علي

ثم نودي على الحاج محمد بن علي بن محمد المتهم بالعصيان والمشاركة في جماعة الزنجي .

الى مبارك المذكور قبله . وكانت ردوده على اسئلة الرئيس لا تختلف عن صاحبه المذكور قائلا : انه كان سالكا طريقه على مسافة بعيدة من الجنود واعوان البوليس حين التحقوا به وحشروه مع الناس .

استنطاق المتهم رقم (36) رابح بن محمد بن علي

وهو متهم بنفس تهمة صاحبيه قبله مؤيدة بشهـــادة جنديين من فرقة « الزواف » قالا : انهما شاهداه مع المتظاهرين ، وانهما رأياه يضرب ايطاليا

رابح — ما دام الجنديان قد شاهداني في المعمعة عن قرب حتى تمكنا من معرفتي بعد ذلك فما منعهما من القبض علي في ذلك الحين ؟

الرئيس — لم يتوصلا لذلك وقتئذ ولكنهما تمكنا من التثبت من ملامحك .

رابح — لا ياسيدي ، ان الواقع اني كنت مريضا في ذلك اليوم لا استطيع الخروج من مسكني ولذلك لم يقبض الجنديان علي .

استنطاق المتهم رقم (37) الطيب الغيث

أما المتهم الطيب بن محمد الغيث العلاسي المتهم بالعصيـــان والمشاركة في الاضطرابات ، فقد عرض عليه الرئيس شهادات اعوان البوليس الذين ادعوا بأنهم رأوه في نهج سيدي البشير يضرب مع الضاربين .

الطيب — ان أعوان البوليس هؤلاء يريدون الانتقام مني .

الرئيس — لماذا ؟

الطيب — لأنهم طلبوا مني مبلغا من المال مقابل اعفائي من التهمة التي يريدون تسليطها علي فامتنعت ، ان هؤلاء الاعوان — ياسيدي — يتصيدون الحوادث في السماء فيجدونها في الأرض ، ويستغلونها لفائدتهم وللاثراء على كواهل الضعفاء والبرءاء (1) .

---

(1) — حدثنا احد شهود الحادثة بان معركة الزلاج استغلت استغلالا فاحشا وفاضحا من طرف اعوان البوليس فقد اطلقت لهم السلطة ايديهم في جمـــع الناس واتهامهم بالمشاركة في الحوادث فاستغلوا ذلك لفائدتهم ، فكان الواحد منهم ياتي الى مـــن يعرفهم ويسر لهم بانهـــم متهمون وان البحث يجري حولهم ، وان مبلغا من المال يقدم الى المكلف بالبحث بواسطة ذلك العون كاف لاقبار التهمة نهائيا وكان الخوف يدفع الناس لدفع ما طلب منهم .

وقد شاهدنا مثل هذا في حوادث 9 افريل وحوادث الحرب الاخيرة .

الرئيس ـــ لقد ذكر بعض الشهود انك تبجحت بقتلك ايطاليا له سبعة أولاد

الحاج محمد ـــ لم يصدر مني ذلك ولم أحضر الواقعة فقد كنت ذلك اليوم في جهة اخرى (ذكرها ولم نستطع التعرف على اسم الجهة) .

الرئيس ـــ يعارضه بشهادات اثبتت وجوده في الواقعة وعدم وجوده في المكان الذي عينه .

استنطاق المتهم رقم (33) ميلود بن علي

وجاء دور ميلود بن علي بن صالح المتهـــم كسابقيـــه بالعصيان ومشاركة جماعة الزنجي . وقد أجاب عن التهمة بقوله :

ميلود ـــ ان اتهامي بالمشاركة في جماعة الزنجي باطل ، لأني ابغضه وبيننا خصومة سابقة ، ولو كنت قادرا على قتله لما ترددت ولكنه كان أشد مني قوة وقد تجرأ فضربني بالامس ، وقال لي : انا اعرف اني سأعاقب ولكن زيادة العقوبة او نقصانها عندي سواء . وقد رايت هذا الزنجي يوم الفتنة يحمل عمودا غليظا . ولكني لم اشاهد انه ضرب به أحدا .

الرئيس ـــ (للزنجي فرج) ماذا تقول في اقوال صاحبك ؟

الزنجي ـــ انه كاذب ، ولئيم الأصل .

استنطاق المتهم رقم (34) مبارك بن مبروك العائش

الرئيس ـــ انت متهم بالعصيان والمشاركة في الاضطرابات . وقد ضبطت مع المهيجين بمفترق الطرقات بباب الجزيرة يوم 7 نوفمبر .

مبارك ـــ ان وجودي بذلك المكان لا يدل على اني مشارك في الاضطرابات

الرئيس ـــ ماذا كنت تصنع هناك ؟

مبارك ـــ كنت سالكا طريقي في شغل لمخدومي فلم اشعر الا والاعوان يحشرونني مع الناس الذين كانوا يجمعونهم من الطريق بدون تمييز .

استنطاق المتهم رقم (35) جمعة بن عمران

ثم استنطق جمعة بن عمران بن سالم الجربي المتهم بنفس التهمة الموجهة

استنطاق المتهم رقم (38) صالح الجلاصي

وجاء دور صالح بن علي الجلاصي ، وهـو غلام عمره 16 سنة ، متهم بالعصيان والمشاركة في المظاهرات ، وقد كان القي عليه القبض يوم الحادث ضمن جماعة من المتظاهرين . وكان جوابه عن التهمة انه بريء ، وانه كان مع الناس للتفرج والتطلع ولم يكن له قصد سيىء في وجوده مع الناس ولم يفعل شيئا ولا ضرب احدا .

استنطاق المتهم رقم (39) محمد بن الحاج علي الشريف

تلا عليه الرئيس نص التهمة ، وهي العصيـان والمشاركة في التظاهر والتهييج وقذف الجنود بالحجارة ، فانكر ما نسب اليه وكان من جملة ما قاله:

« انه لم يحضر الواقعة ولا شارك في الفتنة ولا ضرب الجنود ، وانه كان مشتغلا بعمله ليقوت والدته الكبيرة . »

استنطاق المتهم رقم (40) محمد الخمار

ثم استنطق محمد بن الحاج محمود الخمار ، المتهم بالعصيان كسابقه .

الرئيس ــ لقد ضبطك مدير الأمن بنفسه عندما هممت بضربه .

الخمار ــ هذا غير صحيح ولم يضبطني مدير الأمن وانما دله علي اعوان البوليس بعد ذلك . وهم الذين دبروا لي هذه التهمة لأني امتنعت من دفع مبلغ المال الذي طلبوه مني .

استنطاق المتهم رقم (41) مصطفى بن محمد بن الطيب

وهذا متهم بالعصيان كسابقيه .

الرئيس ــ شهد احد اعوان البوليس بانـه سمعك مع جماعة آخرين تتحدثون عن مشاركتكم في الفتنة ويذكر كل واحد منكم ما قام به من اعمال ومن سطو على اعوان البوليس .

(ويلاحظ أن هذه الشهادة قد تسببت في القاء القبض على كثيرين ثم تبينت براءتهم بعد التحقيق فاطلق سراحهم ولم يبق منهم الا اثنان احدهما هذا المتهم لقيام الشهادة ضدهما شخصيا) .

مصطفى — اني لم اشارك في الاضطرابات ولا حضرتها ، ولا أدري كيف استطاع هذا البوليس الشاهد ان يفهم حديثي مع رفقائي ، وقد كان الحديث بلغة غدامس « البربرية » التي لا يعرف منها البوليس كلمة .

استنطاق المتهم رقم (42) حسن بن بلقاسم بن علي

المتهم بالعصيان كالسابقين . وقد عرض عليه الرئيس شهادة أعوان من البوليس شاهدوه وسط المعمعة وسمعوه يقول للناس : لا تخافوا البوليس ، انه كلا شـــيء .

حسن — هذا غير صحيح وقد أخطأ الأعوان في مشاهدتي وفي صدور هذه الكلمة منـــي .

استنطاق المتهم رقم (43) محمد الحماص

ثم نودي على محمد بن الحاج الصادق الحماص المتهم بالعصيان . وتلا عليه الرئيس شهادات متعددة تثبت وجوده يوم 7 نوفمبر مع المتظاهرين في مقبرة الزلاج وبيده غصن شجرة غليظ ، فانكر ما نسب اليه وقال : انه بريء ولم يحضر الواقعـــة .

استنطاق المتهم رقم (44) محمود القربي

ثم تحول الرئيس الى استنطاق محمود بن محمد بن محمود القربي المتهم بالعصيان . وهو فلاح من اثرياء بلدة قربة بالوطن القبلي وشهد عليه عون بوليس بأنه رآه مع المتظاهرين وهو يصيح في الناس : « اضربوا اعداء الله والديـــن . »

محمود — أنا رجل غريب عن العاصمة ، وليس لي اي داع للمشاركة في هذه الاضطرابات

الرئيس — يلاحظ أن كثيرا من الشـــهود أدوا شهادتهـــم لصالحه ونفوا حضوره في الحوادث

استنطاق المتهم رقم (45) أحمد السبعي

جلسة مساء السبت 8 جوان

افتتحت باستنطاق احمد بن علي بن نصر السبعي المتهم بالعصيان .

الرئيس — لقد قبض عليك أحد أعوان البوليس مساء يوم 7 نوفمبر عند محاولتك افتكاك بعض المساجين من أيدي حراسهم ، وكنت مسلحا بعمود وخنجـــر .

احمد — لم يصدر مني هذا . وكيف يمكن ان اتجرأ على محاولة افتكاك مساجين من أيدي حراس مسلحين ، وقد قبض علي البوليس وأنا في الشارع

الرئيس — وماذا كنت تصنع بالسلاح الذي معك .

احمد — كنت احمله للدفاع عن نفسي ، وليس غريبا أن يحمل الانسان في بلادنا عصا وخنجرا ، فليس معي بندقية ولا مسدس .

استنطاق المتهم رقم (46) سكور بن سعيدان

ثم استنطق سكور بن محمد الصادق بن سعيدان المتهم بالعصيان

الرئيس — هناك شهادات من اعوان البوليس تفيد بانه تم القبض عليك حينما كنت تقذف البوليس والجنود بالحجارة مع المتظاهرين يوم 7 نوفمبر .

سكور (في لهجة هادئة وعدم اكتراث مـــع شيء من ملامح السخرية) شهادات البوليس كلها متماثلة ! اني لم اقذف الحجارة وقد تم القبض علي في الشارع كاغلبية المقبوض عليهم .

وبعد رد التهمة ودفاعه عن نفسه أمر بالرجوع الى مقعده فقال ، وهو يهم بالرجوع وعلى فمه ابتسامـــة ساخرة : لو تفضـــل جناب الرئيس بعشرة صانتيمات لاشتري بها نفة (سعوطا) ؟ فضجت القاعة بالضحك .

استنطاق المتهم رقم (47) أحمد الحامية

واما احمد بن علي الحامية ، فمتـــهم بالعصيان وقذف الحجارة على

جنود الخيالة الفرنسيين (شاسور دافريك) ، وكان في خده طعنة سيف اصابه بها احد الجنود ، وقد اجاب عن التهمة بانه لم يفعل شيئا ولم يشارك في المظاهرة وانما كانت في يده قلة وهو في طريقه الى الحنفية العمومية لجلب الماء فهاجمه جند الخيالة وقبضوا عليه .

استنطاق المتهم رقم (48) محمد بن سالم الدويري

المتهم بالعصيان ، وكان مصابا برصاصة ، واخذ من مقبرة الزلاج جريحا ، واجاب عن التهمة الموجهة اليه بانه جاء الى المقبرة باحثا عن أخيه الصغير وسط الناس فاصابه رصاص الأعوان .

استنطاق المتهم رقم (49) الحاج محمد بن محمد التواتي

وهو متهم بالعصيان ، ومصاب برصاصة ، وقد ضبط قرب المقبرة جريحا ، وقال في جوابه عن التهمة : انه كان مارا في ذلك المكان بدون أن يعلم شيئا وأن يكون له قصد معين حتى انتبه الى وجود الخلائق المتظاهرين والعراك القائم بينهم وبين الأعوان فاصابته رصاصة طائشة ، ولم يخامر عقله دافع قط للثورة على الحكومة .

استنطاق المتهم رقم (50) البشير بن محمد الغربي

وهو متهم بالعصيان كسابقيه ، وصناعته حماص (بائع الحمص) ، وذكر الرئيس أن محله اشتهر بانه ماوى مدخني الشيرة (الحشيش) ، وعرضت عليه شهادة كوميسار البوليس والاعوان بانه كـــان من بين المتظاهرين يوم الحـــــادث .

البشير — غير صحيح ، فالكوميسار واعوانه مخطئون اذ اني لم اغادر محل عملي يوم 7 نوفمبر .

استنطاق المتهم رقم (51) الحبيب بن محمد بن الحاج محمود

وهو غلام عمره 15 عاما ، متهم بالعصيان ، شهد عليه « سرجان » فرقة « الزواف » بانه من انشط المتهيجين في يوم 7 نوفمبر .

الحبيب ـــ هذا « السرجان » غالط ! فقد احببت في الحقيقة الخروج من

المنزل والالتحاق بالمتظاهرين حين علمت بالواقعة . ولكن والدي قيدني داخل المنزل لمنعي من الخروج ، ففي الوقت الذي يدعي فيه هذا « السرجان » انه رآني مع المتظاهرين ، كنت مشدود الوثاق داخل محل سكناي

استنطاق المتهم رقم (52) احمد بن علي بن بلقاسم

وهو متهم بالعصيان . وقد القي عليه القبض يوم 17 نوفمبر نتيجة شهادات قامت ضده خصوصا شهادة السجين رقم (50) وهو البشير الحماص الذي ذكر انه رآه مارا أمام دكانه وبيده عمود وهو يصرخ في الناس : « كيف ترضون لانفسكم أن تبقوا عاطلين في هذا اليوم والناس يشتغلون ! ». وقد أجاب عن التهمة واقوال الشهود ، بانه لم يحضر الواقعة وبان الشاهد الحماص عدو له يضمر له الشر وبقية الشهود غالطون .

استنطاق المتهم رقم (53) بلقاسم بن احمد بن الحاج الغربي

متهم بالعصيان ، وهو غلام عمره نحو 15 سنة قبض عليه مساء يوم 7 نوفمبر وكان حاملا سكين جزار ، وقد تعـــرف عليه الكوميسار « ماتايى » وشهد بانه رآه ضمن المتظاهرين . وقد أنكر المتهم ما نسب اليه ونسب معرفة الكوميســـار للغلط .

استنطاق المتهم رقم (54) الطيب بن عمار بن ضو

وهو متهم بالعصيان ، وشهد عليه الأعوان والجنود بانه ضبط وهو يحاول خرق السياج العسكري المضروب ، وكان يحمل بيده عمودا . واجاب عن التهمة بانه كان مارا من هناك ولم يكن يعلم أن هناك سياجا عسكريا يمنع تخطيه ، اما العمود فليس الا عصا صغيرة كان معتادا على حملها معه في سائر الاوقات . ويظهر أن الظروف وحدها هـــي التي جعلت من عصاي الصغيرة عمودا

استنطاق المتهم رقم (55) محمد بن احمد الجلاصي

وهو متهم بالعصيان والمشاركة في المظاهرة بشهادة اعـــوان البوليس ، وهو قوي البنية بارز العضلات . وقد اثار باجوبته الساذجة كثيرا من الضحك

في القاعة ، وكان يتحدث في غير اهتمام ولا اكتــراث كانمـــا يتحدث الى اتزام او اشخاص تافهين . وكان من جملة تعليله القبض عليه قوله ! ان اعوانُ البوليس قبضوا عليه لما عاينوا انه توي جدا وظنوا انه (نومرو واحد) في الثورة وعليه فمن العبث القبض على الآخرين الخ .

استنطاق المتهم رقم (56) ابراهيم بن محمد الصلي

متهم بالعصيان والمشاركة في الاضطرابات بشهادة أعوان البوليس وجندي من فرقة الخيالة (الشاسور) ، وقد انكر التهمة ورد على الشهادات بانهم قبضوا عليه وهو بمحل عمله (المقهى) يجمع الفناجين الفارغة ولعله شبه لهم . ثم قال : لو كنت مذنبا لخلصت نفسي من الاعوان بمبلغ من المال . اذ لو دفعت لاطلقوا سبيلي «1» .

استنطاق المتهم رقم (57) سليمان بن أحمد بن جيد

المتهم بالعصيان ومحاولة خرق السياج العسكري بنهج سيدي البشير لدخول المقبرة وبيده عمود . وقد استغرب المتهم ان يصدق مثل هذا الادعاء ؛ اذ كيف يعقل أن يحاول خرق السياج العسكري بعمود وقال : انه مر من هناك بدون قصد شيء فدعاه عون البوليس فذهب اليه ، فالقى عليه القبض دون أن يعرف السبب ولم يكن معه عمود . ولا حتى عود .

استنطاق المتهم رقم (58) أحمد بن سليمان الزواوي

وهو متهم بالعصيان والمشاركة في الاضطراب وبتمــزيق كساء عون بوليس . وقد رد على التهم بانه لم يفعل شيئا من ذلك ، وانه كان ذاهبا لجلب بروبطة (عربة يد) فقبضوا عليه في الطريق .

استنطاق المتهم رقم (59) محمد بن سالم بن الحاج العربي

وهو من الاثرياء ، صناعته صباغ ، متهم بالعصــيان ، وقد توجه اليه

«1» هيهات ان تصغي المحكمة او تهتم بهذه الحجج الدامغة على فساد البوليس الاستعماري وتفشي الرشوة والفساد بين افراده ، وهيهات ان يتحرك في صدور افرادها ضمير العدالة فتدرك ان بوليسا من ذلك النوع لا يمكن ان تكون شهادته سالمة من الغرض والغش والتزوير .

الرئيس قائلا — انتج البحث انك من ذوي اليسار والمروءة ، ومن المخجل ان نرى شابا مثلك حازما ، ثقة ، غير متعصب ، مندمجا في جموع من الأشقياء (؟) فقد شهد اعوان كثيرون أن القاء القبض عليك كان نتيجة محاولتك دخول مقبرة الزلاج بالقوة .

المتهم — لم تصدر مني هذه المحاولة . وان حالي تنبئكم باني لست ممن يرتكبون المحاولة المنسوبة الي ، وان امثالي لا تصدر منهم هذه الأفعال (؟)

استنطاق المتهم رقم (60) رحومة بن مبروك الطرابلسي

وهو متهم بالعصيان ، ووقع القبض عليه جريحا برصاص الجند . وقد ذكر في جوابه : بانه كان سالكا الطريق العام ولم ير الجنود ، ولا فعل شيئا حتى أصابته رصاصة ولا يدري من اي جهة اتته . وهناك قبض عليه الجنود

استنطاق المتهم رقم (61) منصور بن علي بن عبد الله الحنشي

متهم بالعصيان ، صناعته تاجر دجاج، ذكر الرئيس أنه من قدماء جند « التيرايور الفرنسي) عاد من الدار البيضاء حاملا الوسام العسكري . وقد شهد عون البوليس بأنه سمعه يوم الواقعة يتحدث عما سفك من الدماء ، وقد لقيه هذا العون بعد الواقعة بأيام فقبض عليه ، وفتش محل سكناه فعثر تحت سريره على عمود كبير ، وعززت شهادات أخرى شهادة العون وقد أنكر المتهم مشاركته في الحوادث . وقال عن العمود : ان نساء المحل يستعملنه لدق الفلفل وطحنه ، وهؤلاء الشهود متواطئون على الايقاع به في هذه التهمة .

استنطاق المتهم رقم (62) المنوبي بن الحاج العربي

جلسة صباح الاثنين 10 جوان

افتتحت الجلسة باستنطاق المتهم المنوبي بن الحاج العربي وهو غلام عمره 17 سنة متهم بالعصيان وشهد الكوميسار « ماتايي » بانه شاهده يقذف الحجارة على الجنود . وقد رد المتهم بانه لم يحضر الواقعة ، وانه ذهب صباح يومها الى المستشفى لعيادة قريب له ، مريض هناك

استنطاق المتهم رقم (63) محمد بن أحمد

(لم يحضر الجلسة لمرضه) فتحول الرئيس الى :

استنطاق المتهم رقم (64) العربي بن حسن التركي

وهم متهم بالعصيان وعمره 16 عاما ، وكان قد وجد في باب علاوة جريحا برصاصتين اصابتاه بجروح بليغة . وذكر هذا الصبي في جوابه : انه كان مارا في ذلك المكان الذي جاءه متطلعا متفرجا فاصيب بالرصاص .

استنطاق المتهم رقم (65) مخلوف بن محمد بن علي

متهم بالعصيان ، واتهم أولا بقتل ايطالي يدعى « فياني » . ولكن التحقيق اثبت براءته من تهمة القـتل . وبقيت تهمة العصيان التـي أيدتها شهادة الكوميسار « ماتايي » بأنه شاهده مع المتظاهرين . وقد انكر المتهم ما نسب اليـه .

استنطاق المتهم رقم (66) عبد العزيز بن سليمان بن قدور

صناعته حلاق ، متهم بالعصيان ، القي عليه القبض أول مرة ضابط تونسي اثناء هجومه علي ايطالي ، ولكنه تخلص منه وتمكن من الفرار . ثم قبض عليه مرة ثانية ، وجاء في جوابه : انه بريء من هذه التهمة ، وأن الضابط مخطىء في معرفته له ، وانه يعتبر أن عصيان الحكومة عقوق ، واكد انه قضى كامل يوم 7 نوفمبر في شغله .

استنطاق المتهم رقم (67) أحمد بن محمد بن الشيخ

المتهم بالعصيان . وكان القي عليه القبض أواسط شهر نوفمبر — اي بعد الواقعة — من أجل سرقة ، فعرفه شهود اثبتوا حضوره في مظاهرات الزلاج وقد نفى تهمة مشاركته في الواقعة بأنه يجـهل هذه القضية تماما ، وانه قضى كامل يوم 7 نوفمبر صحبة فتاة تدعى جربية .

استنطاق المتهم رقم (68) عمر بن سالم الدويري

متهم بالعصيان ، وقد قبض عليـه بعد الواقعة بأسبـوع بوشاية امراة

أروبية زعمت أنها رأته مع المتظاهرين وقاذفي الأحجار يوم الواقعة . ولما التقت به بعد ذلك عرفته وقد أنكر المتهم هذه التهمة ذاكرا انه ابتعد يوم 7 نوفمبر عن مسارح المعارك حتى لا يقع في شرها .

استنطاق المتهم رقم (69) عبد العزيز بن عبد القادر

متهم بالعصيان ، وذكر الرئيس أن هذا المتهم سيوضع بعد الحكم عليه هنا على ذمة محكمة الجنايات لمحاكمته على جريمة قتل وسرقة خارجة عن قضية الزلاج ، وأن تهمة العصيان التي أوقفته أمام هذه المحكمة كانت بسبب شهادة عون البوليس « مريكتي » الذي عرفه وشهد بمشاركته في الواقعة . وقد أجاب المتهم بقوله : هل أخذ العون صورتي بآلة التصوير حتى عرفني معرفة صحيحة ؟

استنطاق المتهم رقم (70) عبد القادر بن عمر

عمره 20 سنة ، متهم بالعصيان والمشاركة في واقعة الزلاج وواقعة باب السويقة التي حدثت بعد ذلك (سنتعرض لها فيما بعد) . وشهد أحد التجار التونسيين أنه جاء الى دكانه وقال له : أنت تشتغل مع الايطاليين ياكلب ! تعال معي لتدافع عن دينك . واضاف هذا التاجر : انه قابله بعد الواقعة وافتخر أمامه بأعماله في المعركة وضربه الايطاليين . وأنكر المتهم وكذب اقوال الشاهد .

استنطاق المتهم رقم (71) محمد بن محمد قارة

اتهم بالعصيان بسبب شهادة البريقادي « بياتري » الذي أكد انه رآه في مقبرة الزلاج وبيده عمود ، فأنكر المتهم وقال : انه لم يات الى المقبرة ولا يهمه من أمرها شيء ولو كانت على ملكه لباعها بخمسة فرنكات .

استنطاق المتهم رقم (72) محمد بن قدور بن الصياح

متهم بالعصيان . ولا حظ الرئيس أن هذا المتهم سيحال مرة اخرى على محكمة الجنايات بتهمة ارتكابه عدة جرائم قتل في واقعة باب السويقة . وقد شهد عليه الكوميسار « ماتايي » بالمشاركة في الاضطرابات ، فأنكر حضوره في واقعة الزلاج .

ختـــام الاستنطـــاق

وبعد الانتهاء من استنطاق آخــر المتهمين تحدث الرئيس الى المتهمين بواسطة مترجم المحكمة قائلا :

الرئيس — لقد انكر جميعكم التهم الموجهة اليكم . ومع ذلك فان قسما منكم — على الاقل — قد شهد الواقعة وشارك في الاضطرابات والهيجان . ولا يمكن لأحد منكم أن يدعي انه يجهل الاضطرابات التي وقعت بتونس يوم 7 — 8 نوفمبر 1911 فهل لكم أن تدلوا لنا بما تعلمونه عن هذه الحادثة ؟ وهل سمعتم في المقاهي مثلا وفي المعالم الدينية قبل الحادثة أن هذه الاضطرابات ستقع في يوم معين ؟ وهل تعرفون من هو المحرك لهذه الثورة ؟ فاذا كنتم على علم بشيء من ذلك فاذكروه للمحكمة ولا تخشوا شيئا ولا تخافوا أحدا .

فنهض كثير من المتهمين ليقولوا : انهم اتهموا باطلا وعدوانا . ثم نهض المتهم محمد قارة ليقول :

قارة — ان واحدا فقط يجب ان يكون مذنبا وبقية الناس عوقبوا بدون ذنب

الرئيس — من هو هذا المذنب ؟

قارة — أنا أعرفه ! ان المسؤولية يجب ان تحمــل على عاتــق من علق الاعلانات ودعا السكان للذهاب الى المقبرة (يقصد شيخ المدينة) فلقد مضى على الاحتلال الفرنسي للبلاد واحد وثلاثون عــاما ، ولم يحدث قط أدنى اضطراب ، فمسؤولية الاضطرابات — اذن — تحمل على معلقي الاعلانات أولا ، وعلى من لهم مقابر هناك ثانيا .

وهنا أعلن الرئيس تعطيل الجلسة لحظات لتعود للانعقاد من جديد .

ســماع الشهــود

عادت المحكمة للجلوس لتشرع في سماع اقوال الشهود الذين اثبتنا قائمة باسمائهم في أول هذا الفصل .

شهادة الم « اسبيو » كوميسار البوليس

لما بلغني قدوم مهندس دفتر خانة الاملاك العقارية الى مقبرة الزلاج ذهبت الى المكان بأمر من مدير الامن على الساعة السادسة صباحا لحفظ النظام ومنع ازدحام المتفرجين . ولم يكن هناك عند وصولي ما يحمل على وجوب تسليح اعوان البوليس ، وكان بخـــارج باب علاوة عدد كثير من العربات ، والكرطونات (الشريطات ، وهي نوع من عربات الخيل المستطيلة الشكل لا عوارض لها) في انتظار فتح الباب ، وفي الساعة السابعة صباحا تمكنت العربات من الدخول الى المدينة وتركت مكانها فسحة خالية . واذ ذاك اقمت عونين على باب المقبرة وامرتهما بأن لا يسمحا لأحد بدخولــها الا اذا ادلى بموجب لا يقبل التاخيــر . وفـــي الساعة السابعة وعشرين دقيقة وصل المهندسون وابلغوا الموجودين هناك بأنه تقرر الغاء التسجيل . ولكن في خلال ذلك تجمعت خلائق كثيرة لم يكن وقتئذ مسلكهم عدوانيا . وبمساعدة وكيل جمعية الأوقاف استطعت أن ابلغهم قــرار العدول عن تسجيل أرض المقبرة ، فلما سمعوا مني ذلك انصرف كثير منهم ولــم يبق الا جماعات من الطبقة السفلى ؟؟ وبعض المتفرجيــن الأروبيين . وعلـــى الساعة الثامنة وصل شيخ المدينة على عربة واخذ بمساعدة كثير من الأعيان في اقتناع الاهالي بابطال التسجيل وطلب منهم الانصراف مطمئنين . وقد دخل شيخ المدينة المقبرة راكبا عربته ومعه جمع من أتباعه . وكان يلوح على الجماهير السكون الا أن بعض الأهالي كانوا يطوفون بالمقبرة كانهم يريدون أن يتحققوا من عدم وضع علامات التحديد .

وفي ذلك الوقت لاحظ لي المتفقد العام للبوليس بانـــه لا فائدة من حفظ النظام في المقبرة حيث ان المهندسين قد رجعوا . واخبرني بأن المشاجرة مع أعوان البوليس انتقلت الى باب علاوة . وعندئذ القينا القبض على كثيرين امتنعوا من الانصراف . ولكن الحاضرين لم يكونوا مسلحين . وقد تاهب شيخ المدينة للانصراف ؛ فعاد الى المقبرة ليركب عربته . وأمرت انا والمتفقد العام فرقتين من البوليس بالانصراف بحيث لم يبق الا اثنا عشر عونا تحت أمر المتفقد « سولي » لحفظ نظام سير العربات والباقين من الاهالي الكثيرين . وعند ذلك أرسل شيخ المدينة في طلبي فرجعت والتحقت به الى المقبرة مع عدد

من اعوان البوليس ؛ فوجدت الناس في غليان عظيم محدقين بشيخ المدينة . وقد تغير لونه فطلب مني اطلاق سراح « درويش » كان القي عليه القبض قبل ذلك بلحظات لامتناعه من الانصراف فرجعت وتبعني نحو عشرين اهليا يريدون — فيما اظن — أن يتحققوا من تنفيذ اقتراح شيخ المدينة باطلاق سراح الدرويش . ولكنني لما رأيت من الجمهور هذا السلوك التهديدي أمرت صاحب عجلة كان يتفرج هناك بأن يلتحق باعوان البوليس ويطلب منهم الرجوع . وحينئذ سمعت من خلفي الضجيج بالمقبرة ولم أشعر الا وقد ضربني أحدهم من الخلف بعمود ضربة شديدة أوقعت قبعتي على الارض . واصبت بضربة ثانية كسرت عصاي فجريت مسرعا للاتيان بفرقتي البوليس .

جلسة مساء الاثنيــن 10 جوان

استأنف الكوميسار « اسبيو » شهادتــه فقال : جريت مسرعا للاتيان باعوان البوليس . ولما وجدت أن المعركة محتدمة اسرعت الى محطة القطار من طريق السكة الحديدية المارة داخــل باب علاوة لأطلب نجدة عسكرية بالتليفون فلم أتمكن من المخابرة الهاتفية فذهبت الى كوميسارية فندق الفول (الكوميسارية المركزية) «1» حيث وجدت فرقة من البوليس فعدت معها الى المقبرة . وعند وصولي الى مفترق الطرقات أمام المقبرة رايت جموع الأهالي يجمعون الحجارة . وقد ظهر لي — اذ ذاك — أن حارس المقبرة هو الذي أمر بهذه الحركة ، فامطرنا بوابل من الاحجار أصابت احداها وجهي وجرحتني جرحا بليغا ؛ فرجعت الى محطة القطار للحرص على طلب نجدة عسكرية . ولما عدت الى مكان المعركة بلغني كل ما وقع بعدي .

ثم انتقل الكوميسار يسرد ما وقع أمامه بنهج سيدي البشير بين الاهالي وجنود الخيالة .

الرئيس — هل كنت تعلم بابطال عملية التسجيل ؟

الكوميسار — لم أعلم بذلك الا في المقبرة . وعندئذ شرعت في اذاعة الخبر بين الجماهير لينصرفوا .

«1» نهج محمد علي ، وقد اصبحت الآن مركزا لمنظمة الاتحاد العام التونسي للشغل .

الرئيس ــ لماذا منعت الناس من دحول المقبرة ؟

الكوميسار ــ قد أمرت بمنع الاجتماع . ولهذه الغاية امرت بأن لا يترك احد يدخل المقبرة علما مني أن المهندسين سياتون اليها .

الرئيس ــ هل رايت اكواما من الحجارة قرب المقبرة ؟

الكوميسار ــ نعم رايت اكداسا من الحجارة ولكن يلوح لي أنها كانت معدة لاصلاح الطريق وتوجد في نفس المقبرة كميات من حجارة القبور .

الرئيس ــ عندما وقع الهجوم عليكم كم كان عدد الأهالي بالمقبرة ؟

الكوميسار ــ نحو الأربعمائة

الرئيس ــ ولما عدت للمكان كم كان عددهم ؟

الكوميسار ــ عدة آلاف

وبعد أن وقعت مكافحة بعض الشهود ببعض المتهمين لتحرير الشهادات أعرب الرئيس عن شكره للكوميسار « اسبيو » لقيامه بواجبه واتمام المامورية المناطة بعهدته .

شهادة الم ليال مدير الامـــن

المدير ــ عندما بلغتني انباء بتوقع حدوث مظاهرات بمناسبة تسجيل ارض الزلاج كلفت الكوميسار « اسبيو » بمأمورية حفظ الامن (ثم سرد مدير الامن وقع الحادثة بنفس الصورة التي تقدمت في شهادة الكوميسار قبله) ثم ساله الرئيس :

الرئيس ــ متى علمت بابطال التسجيل ؟

المدير ــ صباح اليوم السابق للحوادث (اي 6 نوفمبر) ، ولكني أنبئت بعد الزوال بأن المظاهرة ستقع بصـــورة سلمية . ومع ذلك فقد اتخذت الاحتياطات والاجراءات الكفيلة بحفظ الأمن اذ جمعت جميع أعوان البوليس الموجوديـــن .

الرئيس ــ هل سمعت ــ ابان الاصطدام ــ اطلاق عيارات نارية صادرة من غير الاعوان ؟

المدير — نعم اطلقت عدة عيارات نارية من مسدسات ، من السطوح المجاورة لنهج سيدي البشير

الرئيس — هل لك علم بأسباب هذه الواقعة ؟

المدير — منذ وقوع الحركة التركية الايطالية حدث نوع هيجان في الاهالي التونسيين . وكان طلب تسجيل أرض المقبرة بمثابة الفتيل الذي اشعل غضبهم الكامن . وقد نشر شيخ المدينة اعلانات في الاعلام بمطلب التسجيل . وعند الغاء المطلب امرت بتمزيقها ؟

الرئيس — جالت في الأسواق مطبوعات في الاعتراض على التسجيل فهل تعلم مصدرها ؟

المدير — لا اعلم

الرئيس — هل سمعت بأن جمعية الشبيبة التونسية «1» هي التي دبرت الهيجان ؟

المدير — لقد شاع هذا الخبر اذ ذاك . ولكن الذي أرى أن هذه الجمعية ليس لها يد في هذه الحوادث ، ولم تشارك أبدا في الدعوة اليها

الرئيس — هل امتدت هذه الحركة الى داخل البلاد ؟

المدير — سمعت بوقوع الخوض في هذه المسالة اثر الحادثة بين سكان البادية . ولكن أمن المعمرين الفرنسيين المنفردين في البادية لم يطرأ عليه أدنى تكدير مما لا يترك الشك في أن هذه الفتنة لم تكن مدبرة سابقا .

الرئيس — هل تعرف أحدا من المتهمين الموجودين

المدير — لا

المحامي شابيي — (يتداخل فيسال المدير) في أي وقت أعلم المحركون سكان المدينة بابطال التسجيل ؟

«1» جماعة من الشباب المثقف يناوئون السياسة الاستعمارية منهم المرحومون علي باش حانبة ومحمد باش حانبة والشيخ الثعالبي ورفاقهم وكانت السلطة تعرف ان المرحوم عبد الجليل الزاوش ينتمي لهذه الجماعة حسبما يفهم من اسئلة الرئيس الآتية في شهادته .

شهادة شيخ المدينة



الصادق غيلب

وتقدم السيد الصادق غيلب لاداء شهادته ، وكان المتهمون يصغون له باهتمام فقال :

شيخ المدينة ــ كلفني الم . « بلان » الكاتب العام للدولة التونسية يوم 6 نوفمبر بأن أبلغ السكان بطلان التسجيل فدعوت المحركين وأمرتهم باعلام السكان بقرار الابطال . وفي صباح اليوم الموالي (7 نوفمبر) ذهبت الى مقبرة الزلاج وعند دخولي الى نهج سيدي البشير لاحظت وجود جماهير غفيرة متوجهة الى المقبرة فاعلمتهم بأن عملية التسجيل قد وقع العدول عنها . وفي المقبرة وجدت الكوميسار « اسبيو » وأعوانه فدخلت المقبرة وحينئذ احاط بي عدد كبير من الاهالي فكررت لهم بأن التسجيل قد وقع ابطاله وانه لن يقع ابدا . ولكنهم لم يصدقوني حتى انهم طلبوا مني التعهد بذلك كتابة واطلاق سراح الاشخاص الثلاثة الذين القي القبض عليهم قبل قليل ومن بينهم احد الدراويش وعندما رأى الكوميسار الناس محيطين بي خف لحمايتي مع أعوانه فرغبت منه وقتئذ اطلاق سبيل المساجين . ثم سمعت بأن الجماهير شرعت في قذف الاعوان بالحجارة ولكني لم اتراجع وانما ذهبت الى عربتي فركبتها وقصدت الكتابة العامة لاعلام الم . « بلان » بما وقع فلم اجده فعدت الى المقبرة فلقيت الم . « كورتلان » كاهية البلدية فركبت معه العربة وعبرنا نهج سيدي البشير حيث وجدنا الم . « ليال » ورؤساء آخرين من مختلف المصالح فسرت في مقدمتهم لتفريق الجموع وتهدئة الناس فعثرنا في الطريق

على تونسي في حالة احتضار . وفي نهج مرناق وجدنا جثة ايطالي . ولمنع الهيجان امرت بنقل الجثتين على عربات جمعية الصليب الأخضر . وفي المساء اخذت أطوف المدينة لتهدئة الافكار .

الرئيس — كيف وصل الى علمك طلب التسجيل المقدم من طرف البلدية ؟

شيخ المدينة — علمت ذلك من الجريدة الرسمية

الرئيس — الم تعارض هذا المطلب الذي لم يعرض عليك وانت رئيس البلدية ؟

شيخ المدينة — نعم ، ولكن الم . « فنسان » ذكر لي أن بلدية سوسة كانت سجلت مقبرة واكتسبت القضية في المجلس المختلط

الرئيس — ليس هناك أدنى علاقة بين القضيتين . وهل راجعتم الم . « كورتلان » كاهية البلدية والكاتب العام للدولة التونسية والمقيم العام في هذا الامر ، واعترضتم عليه ؟

شيخ المدينة — ليس هناك من شك ان الكاتب العام كان على علم منه فان الم . « فنسان » لا يقدم عليه بدون اعلام الحكومة

الرئيس — ذلك ممكن ، ولكن هل سعيت لدى الأشخاص الذين ذكرتهم لك وطلبت منهم سحب مطلب التسجيل ؟

شيخ المدينة — في يوم 2 نوفمبر طلبت من المجلس البلدي الغاء التسجيل . وافقني على ذلك جميع الأعضاء التونسيين . وفي اليوم الموالي نقلت الجرائد ذلك بصورة مخالفة للواقع ، ولم تذكر أن مطلب التسجيل قد وقع العدول عنه ، ونقلت جريدة الزهرة تفاصيل الجلسة على ذلك المعنى

الرئيس — هل امرت بتعليق اعلانات ؟

— شيخ المدينة — نعم ، عملت ذلك حسب القانون فكلما اتصل باعلام في التحديد يلزمني نشره في مكان التسجيل

الرئيس — هل تامر دائما بنشر جميع الاعلانات المتعلقة بمطالب التسجيل ؟
شيخ المدينة — نعم ، في جميع المطالب أعلق الاعلانات ، واعلم محركي الحارات .

الرئيس — في الواقع ان هذه الاعمال لا تقع دائما ، ان الاعوان يقتصرون غالبا على تعليقها بادارتكم ومع ذلك فان نشر الاعلانات غير واجب قانونا وانما الاعلام يقع بالنداء في الاسواق . وعليه فان الطريقة المتبعة في هذا الامر لم تكن دائما بصفة مدققة ، وانا لا اشك لحظة في قول سيادتك . ولكني اعتقد أن تعليماتك لم يعمل بمقتضاها دائما بكيفية مضبوطة .

لقد وقعت اعتراضات كثيرة وانتشرت في المدينة أوراق مطبوعة فهل لك علم بهذه الاعتراضات والاوراق وبمصدرها ؟

شيخ المدينة — كل ما أعلمه ان أصحاب الحق عارضوا في التسجيل ، وأن مئات من الاعتراضات وجهت الى المجلس المختلط .

الرئيس — كان هناك بعض غليان فهل كنت تعتقد أنه يصير مهددا بالخطر ؟

شيخ المدينة — بل كنت أتحقق من أن ذلك لن يقع

الرئيس — لقد كان من حسن التبصر اعلام الكاتب العام بذلك الهيجان .

شيخ المدينة — في يوم 6 نوفمبر أعلمني الم . « فلوري » بأن مظاهرة ستقع . وكنت اجهل ذلك ، على أن الحكومة أعلمها مدير المحافظة الذي بلغه خبرها من أعوانه .

الرئيس — ان تأثر السكان من مطلب التسجيل وغليانهم كان في غير محله فهل تستطيع أن تبين لنا الأسباب الحقيقية في هذه الفتنة وتعرفنا بالمدبرين لها والمسؤولين عنها ؟

شيخ المدينة — لا علم لي بالاسباب ولا بالمسبب . ولو كان لي علم بذلك لأخبرت الحكومة

الرئيس — هل تستطيع أن تبين لنا واحدا من المشاركين في الاضطراب بين هؤلاء المتهمين وقد حضرت بنفسك الى المقبرة ؟ انظر اليهم هل تعرف منهم احدا ؟

شيخ المدينة — (يمر أمام صفوف المتهمين) : لا اتذكر اني رايت منهم احدا في يوم الاضطراب . اما المعرفة الشخصية فاعرف منهم اثنين . ولكني لم ارهما يوم الواقعة مع المتظاهرين .

شهادة الم كورتلان الكاهية المفوض لبلدية العاصمة

جلسة صباح الثلاثاء (11) جوان

افتتحت بالاستماع الى شهادة الم . « كورتلان »

كورتلان — اثر انتصابي كاهية بالمجلس البلدي عرض علي ملف يتعلق بارض مقبرة الزلاج التي كانت دائما مطمح انظار الطامعين . وحيث لم ار مانعا من اجابة رغبة مصلحة الاشغال بالبلدية في تسجيل ارض المقبرة لمنع الطامعين فيها والمغيرين عليها امضيت المطلب بدون تردد . وبعد مدة قصيرة بلغني وقوع اعتراضات كثيرة على المطلب فطلبت من الم . « فنسان » مهندس اشغال البلد بالبلدية بيانات في هذا الشأن فوضح لي الاغارات المتوالية على ارض المقبرة وأن من اللازم جعل حد لها بتسجيل المقبرة .

وفي يوم اجتماع المجلس البلدي بتاريخ 2 نوفمبر اثار السيد عبد الجليل الزاوش مسألة التسجيل ، والقى عدة أسئلة اجابه عنها الم . « فنسان » وازاء معارضة السكان في التسجيل قرر المجلس العدول عنه غير أن الم . « مورنيو » المهندس بمصلحة قيس الاراضي لما استشير في هذه القضية يوم 3 نوفمبر اجاب بأنه ينبغي — قبل ابطال الاعمال التي بدئت — انتظار قرار المجلس المختلط . وكان الوقت ضيقـا بالنسبة لليوم المحدد للتحديد وهو يوم 7 نوفمبر ، والمدة الفاصلة بين 3 و 7 نوفمبر لا تسمح باجتماع المجلس المختلط واستصدار قرار منه بابطال التسجيل . ولذلك تقرر أن يذهب موظف من الادارة البلدية في اليوم المعين للتحديد الى عين المكان ويعلن باسم البلدية رسميا العدول عن عملية التسجيل . وهكذا وقع . ورغم ذلك وقعت الواقعة . ان الحوادث التي وقعت لم يكن احد ينتظرها .

وفي يوم 7 نوفمبر ، كنت بالحي الاروبي حين بلغني نبأ الهيجان بالمقبرة فتحولت مسرعا الى مكان الاضطراب ، وشاهدت بعض المشاجرات بنهج سيدي البشير ، وكنت محاطا بالجماهير من كل جانب . ولكني لم احضر اية حادثة مباشرة حتى اتمكن من مشاهدة القائمين بها . ولذلك فلا يمكنني أن اعرف احدا من المتهمين

ان مقبرة الزلاج كانت — منذ مدة طويلة — الشغل الشاغل للادارة البلدية من حيث اصلاح جدران اسوارها ، واحداث الطرقات بها ، وايقاف الاغارات على ارضها بمصلحة السكان • ولم يصدر من البلدية قط ما يمس بقداسة الأموات ولا بالشعائر الاسلامية الخاصة بالمقبرة •

الرئيس — من المعلوم ان مقاصد الادارة البلدية ونيتها كانت حسنة ، وحقكم في قضية التسجيل يمكن معارضته غير أن المجلس المختلط قادر على فصل كل خلاف وهيجان الأهالي كان بدون موجب •

كورتلان — لم يكن ما وقع من الهيجان في الحسبان

الرئيس — كيف اقدمت مصلحة أشغال البلد على هذا الامر ، ولم تستشر رئيس البلدية

كورتلان — ان مطلب التسجيل لا يستوجب على وجه العموم مفاوضة المجلس البلدي فهو وسيلة ادارية من حيث الحقوق ، ومصلحة أشغال البلد تفعل ذلك حسب عادتها •

الرئيس — هل اخبرك رئيس البلدية بالتاثير الذي أحدثه هذا المطلب ؟

كورتلان — لم تقع بيني وبين السيد الصادق غيلب ادنى مذاكرة في هذا الشان • ومن الصعب أن يتوقع الانسان — بعد انقضاء ثلاثين عاما على انتصاب الحماية — ان عملية ادارية جعلت لصيانة حقوق الاهالي خاصة تتسبب في ثورة

وهذا المطلب قدم باسم السكان المسلمين • وكان مجرد اقتراح الاعضاء البلديين ابطال التسجيل كافيا للادارة البلدية لتعدل عن هذه العملية بدون تردد

المحامي سيرو (يتداخل ويسأل الشاهد) هل لك علم بأن الطريق التي كان يراد احداثها للترام تغيرت بعد حدوث الفتنة ؟

كورتلان — لم أسمع قط بأمر هذه الطريق

الرئيس — ومع ذلك فان الانتزاع للمصلحة العامة يمكن اجراؤه على المقابر بدون احتياج للتسجيل

كورتلان — ان انتزاع الأراضي مما يعرض دائما على المجلس البلدي

شهادة الم مورينو رئيس مهندسي مصلحة قيس الاراضي

مورنيو ـ اطلعت ادارتي في الجريدة الرسمية على مطلب تسجيل مقبرة الزلاج • وبمقتضى القانون وقع اعلام العموم بتاريخ التحديد • ثم انه ـ بسبب الاشاعات العدوانية المتواترة واعتراضات السكان الكثيرة ـ تقرر ان المهندس الذي سيتوجه الى المكان يجب عليه ان يرجع عند حدوث أول سبب • وقبل تاريخ التحديد بيومين سالتنا الادارة البلدية عن الموجبات القانونية التي يجب القيام بها في ابطال التسجيل ، فاجبناها بانه ينبغي اعلام المجلس المختلط ، غير أن الوقت كان قد ضاق عن نشر ذلك في الجريدة الرسمية وقد وقع استدعاء المستحقين فلزم حينئذ ان يتوجه مهندس الى عين المكان ليبين للناس ـ على الاقل ـ أن التسجيل قد ابطل والمجلس البلدي استرجع مطلبه •

ولما ذهب المهندس الى المكان تعجب مما رآه من كثرة أعوان البوليس وغياب رجال الحكومة التونسية المسلمين بحيث ان المهندس وجد نفسه وحده يواجه اعلام الحاضرين بالعدول عن التسجيل ، فلم يصدق الاهالي هذا الخبر • وظنوا ان التحديد وقع وان العلامات وضعت بالليل •

الرئيس ـ ذكر رئيس المجلس البلدي بأن الاعلانات التي نشرت عن تسجين المقبرة يعمل مثلها في جميع مطالب التسجيل • والظاهر ان الأوامر التي يصدرها في هذا الشان ، ولئن نفذت في قضية الزلاج ، فانها لم تنفذ دائما بكيفية مضبوطة كهذه في عمليات التسجيل الاخرى •

مورنيو ـ حضرت تحديدات كثيرة ولم ار قط اعلانات منتشرة كهذه • ولم ار ـ على الخصوص ـ اعلانا معلقا على الاملاك التي يراد تسجيلها . ولذلك تعجبت اذ رايتها معلقة على جدران اسوار المقبرة • ومن المؤسف أن تتفق هذه الاعلانات غير الاعتيادية مع اعتراضات كثيرة . ومجموع ذلك اثار هيجان السكان •

الرئيس ـ هل كان المهندس يحمل آلاته يوم 7 نوفمبر ؟

مورنيو ـ لم يكن معه ادنى آلة • بل ان كثيرا من الاعيان شكروه عندما اعلن عدول الادارة البلدية عن التسجيل •

شهادة القبطان بونميزون قائد الجندرمة بدائرة العاصمة

القبطان ــ على الساعة الثامنة والنصف تقريبا من صباح يوم 7 نوفمبر أعلمت بحدوث اضطرابات لا أعلم اهميتها ، فتوجهت لمكان الاضطراب في الحال . ولما وصلت الى سياج السكة الحديدية وجدت جنود « الزواف » وشاهدت هناك جثة البريقادي « فرانكي » مطروحة بحديقة حارس السياج، فتقدمت نحو جماهير الأوباش (كذا) المتهيجة نفسحوا لي الطريق وأمرتهم بالتفرق ، فامتثلوا احتراما لملابسي العسكرية ومقامي (كذا) وفجاة حدثت حركة ضد دار قيل لي انه اختفى بها ايطالي كان اطلق الرصاص على جموع الاهالي ، فنصحت الأهالي بملازمـــة جانب السكـــون ، واقمت حرسا من الجندرمة وأعوان البوليس على الدار المـــذكورة . ثـــم استاذنت من وكيل الجمهورية الذي كان موجودا على مسافة قريبة مـــني في القاء القبض على الايطالي . ولكن في تلك اللحظة نفسها حدثت واقعة جديدة فاسرعت اليها صحبة اثنين من أعوان الجندرمة على الخيول ، فرايت جثة رجل ايطالي يضطهده الأهالي فخلصته من ايديهم وأمرت بوضعه على عربة وسلم لي تونسي مسدسا قال : انه مسدس الجريـــح الايطالي ، فسلمت المسدس بدوري الى شخص اظنه الم . « ليال » وفي ذلك الحين تفاقم الاضطراب واحتدمت المعركة ، وأطلقت العيارات الناريـــة من المسدسات من جميع الجهات . وبعد حصة شاهدت جناية أخرى على ايطالي قتله الاهالي بمرأى مني فابعدت الصائلين ، وتمكنت من القاء القبض على أحدهم بواسطة أعوان الجندرمة الذين اقتفوا اثره الى شارع باب الجديد .

ثم اني اخذت في تشتيت الجماهير المحتشدة بتلـــك الجهة باعانة خيالة « الشاسور » وقبضت على ايطالي اخبرني الأهالي انه قتـــل واحدا منهم بمسدس بنهج سيدي البشير .

وبعد الزوال كان جنود « الشاسور » قادميـــن بمساجين من المركاض فساعدتهم بدفع المتظاهرين عنهم كـــما فرقت المتظـــاهرين المتجمعين بباب الحدادين بواسطة جنود « الشاسور » الذين كنت في مقدمتهم ، وهناك القيت القبض على أحد الاهالي رمى الجنود بالحجارة

الرئيس ـــ هل يمكنك معرفة الشخص الذي قبضت عليه ؟

القبطان ـــ (يتقدم نحو رقم (8) من المتهمين وهو محمد بن علي الشاذلي ويقول : دون تردد (هذا هو) !

المحامي ستالا ـــ (يتداخل ويسال الشاهد ـــ ايمكن للشاهد أن ينبئنا عن قتل الايطالي « موتشيو » هل وقع بدكان الفطائري أم بالشارع ؟

القبطان ـــ رايت جثته بالشارع

المحامي دستري (يسال الشاهد) ما راي الشاهد في انقلاب هذه الفتنة ضد الايطاليين ؟

القبطان ـــ في رايي أن هذه الحركة كانت محض عداء للايطاليين . ويمكن حدوث هذا العداء من أشياء عديدة منها اخبار الحرب الطرابلسية والانتقام من الشخص الذي أطلق المسدس وظن انه ايطالي «1» وسلوك الايطاليين انفسهم حيث انهم ضاع رشدهم فصاروا يطلقون العيارات النارية من أعلى سطوحهم .

الرئيس ـــ يشكر الشاهد ويرفع جلسة الصباح

شهادة الم ماتايي كوميسار البوليس

جلسة مساء الثلاثاء (11) جوان

افتتحت بشهادة الم . « ماتايي » كوميسار البوليس الذي قال بعد ما سرد كيفية بلوغه نبأ الاضطراب :

ماتايي ـــ لما اقتربت من المقبرة قوبلت بوابل من الحجارة من طرف المتظاهرين ، فرجعت لاعلام الم . « بلان » كاتب الدولة التونسية العام . وفي الطريق لقيني السيد عبد الجليل الزاوش فرجعت معه الى نهج سيدي البشير ، وهناك حضرت المشاجرات التي ذكرها الشهود السابقون . وحوالي الزوال تراءى لي أن الهدوء قد عاد الى نصابه . ووقع اعلامي بالاشخاص الذين تم ايقافهم فحررت تقارير في هذا الشان

«1» يحاول الشاهد ان يجعل المسالة مجرد ظن وهي حقيقة فالايطالي الذي اطلق النار وقتل تونسيا تمكن منه المتظاهرون وقتلوه فلم يبق مجال للظن هنا .

الرئيس — ماذا علمت عن اسباب نشوب هذه الثورة ؟

ماتايي — ارى انه لم تكن هناك حركة مدبرة ، وان هذه الفتنة نشات عن سوء تفاهم يوجب الاسف

الرئيس — هل علمت بأن مظاهرة ستقع ؟

ماتايي — كنت اجهل ذلك

الرئيس — ارغب منك أن تتأمل تأملا شافيا في المتهمين الموجودين وان تعين الذين تتعرف عليهم

ماتايي — يتحول الى المتهمين ويشير الى :

محمد بن عبد القادر البكوش — احمد بن علي بن نصر السبعي — عبد الله بن محمد والي — الحاج محمد التواتي — علي بن مسعود القرماني — الحبيب بن محمد الخمار — محمد بن الحاج عبد الله الغربي — احمد بن علي بن بلقاسم — المنوبي بن علي — بلقاسم ابن احمد بن الحاج العربي — فرج بن خير السوداني — رحومة بن مبروك الطرابلسي — محرز بن البشير — مخلوف بن عمر بن علي — ميلود بن علي ين صالح — عمر بن بلقاسم الدويري — مبارك بن مبروك العايش — عبد القادر بن عمر الشتيوي — جمعة ابن عمران الجربي — محمد بن محمد قارة — محمد بن الحاج علي الشريف — محمد بن قدور بن الصياح

ثم قال ! انه عرف جميع هؤلاء وقد رآهم بين المتظاهرين يوم الواقعة .

المتهم محمد بن عبد القادر البكوش

(يستاذن في سؤال الشاهد ويقول) ماذا كنت لابسا يوم الواقعة ؟ وكيف عرفتني ؟ وفي أي جهة كنت لما رايتني ؟

ماتايي — أنا على يقين من اني رايتك

ثم توالى بقية المتهمين الذين تعرف عليهم يمطرون الشاهد باسئلة محرجة . وهو يجيب بنفس الجوا بتقريبا ، وقد جابهه احد المتهمين في لهجة ساخرة بقوله :

ــ يظهر ان بصرك حادا جدا فترى الأشياء عن بعد وتتذكر كل ما تراه حتى انك استطعت التعرف على أكثر المتهمين

وقال متهم آخر للمجلس :

ان هذا الكوميسار عندما وقفت أمامه اثر القبض علي صار يبصق في وجهي ويضربني من الساعة السادسة صباحا الى الساعة السابعة مساء .

وقال متهم آخر في لهجة ساخرة أيضا :

ــ ان السيد الكوميسار يتعرف على الناس بالجملة كانما يقوم بعملية اخراج الشعير من المطمورة . !

شهادة السيد عبد الجليل الزاوش العضو البلدي (1)



عبد الجليل الزاوش

الزاوش ــ بعد نشر اعلان التسجيل تواتـرت الاشاعات وكثرت الاقاويل بين السكان ، وقد ظنوا أن هذا التسجيل يراد من ورائه احداث خط لسكة الترام داخل المقبرة ، وتحويل هذه المقبرة الى حديقة عمومية وغير ذلك من الظنون التي لا أساس لها . وقد أتانيَ كثير من أعيان المسلمين واقترحوا علي الاعتراض على مشروع المجلس

«1» **عبد الجليل الزاوش**

ولد بتونس سنة 1873 ، وانخرط في سلك مدرسة « سان شارل » « الليسي كاونو الان » . وبعد ان انهى تعلمه الابتدائي والثانوي ، التحق بفرنسا فحصل على شهادة اللسانس في الحقوق ، ورجع الى تونس فباشر التمرين على المحاماة ، بل كان متعلقا بالتنظيم الاقتصادي ، وكان مهتما بالتفكير في الاسباب التي ادت الى احتلال بلاده ونزع استقلالها والى الاسباب التي تمكن هذه البلاد من استرجاع استقلالها المفقود ، فكان يقول : ان الواجب يحدونا الى الاكثار من المؤسسات الاقتصادية والثقافية الوطنية وان استقلالنا يمكن استرجاعه في اليوم الذي توجد في البلاد مئات من المؤسسات والمصانع والمعامل ، وآلاف من الاطباء والمهندسين والاساتذة .

البلدي ولما اجتمع المجلس البلدي يوم 2 نوفمبر الماضي تناقش الاعضاء في هذه القضية وقرروا بعد النقاش ابطال التسجيل بطلب مني • واثر الاجتماع

وهذا التفكير دعاه الى ترك المحاماة ، وتاسيس تعاضدية « السعادة » من التجار ، والى الاشتراك في راس مال معمل السميد بشركة الايطالي « راميلا » •

وكان يشرف على ادارة هذا المصنع الى جانب اشتراكه في تحرير جريدة « التونسي » التي اصدرها باللسان الفرنسي زميله المرحوم علي باش حانبة •

وحوالي 1910 عين عضوا بالمجلس البلدي للعاصمة ، وعضوا في اللجنة الاستشارية (التي كانت تستشار في ميزانية البلاد ، واغلب اعضائها من الفرنسيين) • وفي هذه اللجنة شبت الخصومة بينه وبين « دي كرنيار » رئيس المعمرين الفرنسيين وصاحب جريدة (Le Colon) « المعمر » لسان حال المعمرين الذي كتب عنه يقول « جميع العرب سراق ، وعبد الجليل الزاوش عربي ، اذن فهو سارق !) ففتح ضده قضية عدلية واستجلب فيها السيد الزاوش محاميا من فرنسا ، ولكن هذا المحامي وجد القضاء الفرنسي بتونس تحت ضغط المعمرين والسلط الفرنسية فلم يستطع ان يفعل شيئا ، وحكم في القضية ضد الزاوش ونصحه محاميه باستئنافها لدى محاكم الجزائر البعيدة عن تاثير « دي كرنيار » والاقامة العامة • وفي الجزائر حكم بفرنك غرامة على « دي كرنيار » ونشر الحكم في الصحافة المحلية • واستغرب الناس وجود كلمة «السيد» مع اسم الزاوش في نشر الحكم ، وفقدانها من اسم (دي كرنيار » ، ولكن تبين بعد ذلك ان المحكمة اغفلت كلمة « السيد » عند ذكر « دي كرنيار » عمدا ، وتبعا للتقاليد القضائية التي لا تسمح بوضع هذه الكلمة امام اسم رجل محكوم عليه سابقا وتبين ان « دي كرنيار » كان من اهل السوابق وكان حوكم في مرسيليا — قبل حلوله بتونس — بثلاثة اشهر سجنا ، وادركوا ان اكثر هؤلاء المتجبرين الواردين من وراء البحر على بلادنا ليبتزوا خيراتها تحت حماية حكومتهم ، انما هم من النفايات وذوي السوابق •

ومن أغرب الصدف أن تعمد البلدية في عهد الاستعمار الى نصب تمثال لدي كرنيار في احدى حدائق العاصمة ، وان يتولى نزع ذلك التمثال — في عهد الاستقلال — رئيس البلدية السيد احمد الزاوش نجل السيد عبد الجليل الزاوش ويامر بحفظه في البلدية ، ويطلب منه الم «بارون» فتصل فرنسا تسليم التمثال للسفارة الفرنسية ، فيجيبه السيد أحمد الزاوش بأنه لا يستطيع تسليمه ، وان البلدية ستحتفظ به الى ان يتم تكوين متحف الاستعمار الفرنسي ، ويكون تمثال « دي كرنيار » من جملة آثاره

وكان للسيد عبد الجليل الزاوش مواقف مشرفة في اعانة المجاهدين الطرابلسيين ، وفي واقعة الزلاج هذه ، وجاءت الحرب العالمية الاولى فخفتت الحركات الوطنية وتوقفت

وعلى اثر وفاة المرحوم البشير صفر عامل سوسة — في ذلك العهد — سمي — السيد عبد الجليل الزاوش في مكانه في مارس 1917 ، وفي ماي 1934 نقل الى العاصمة شيخا لمدينتها ، وبعد سنة ونصف أي في نوفمبر 1935 سمي وزير القلم والاستشارة • وعلى اثر وفاة السيد سالم الصنادلي وزير العدلية سنة 1936 سمي الزاوش وزيرا للعدلية حيث بقي الى شهر جانفي 1943 فقدم استقالته على اثر رغبة المرحوم المنصف باي في تشكيل وزارة جديدة ائتلافية تضم بعض العناصر الوطنية

وتوفي السيد عبد الجليل بمنزله في العاصمة في شهر جانفي 1947 في الرابع والسبعين من عمره رحمه الله رحمة واسعة

* ولده السيد احمد الزاوش — الذي كان سابقا موظفا في سلك العمال وشغل في عهد الإستقلال — منصب شيخ مدينة تونس

نشرت جريدة « الدبيش » تفاصيل النقاش في الجلسة ولم تذكر عدول المجلس عن التسجيل . ونقلت جريدة « الزهرة » ما نشرته « الدبيش » حرفيا . وعند اطلاعي على المنشور حررت الى « الدبيش » كتابة أوضحت فيها قرارات المجلس (التي اهملتها الجريدة عمدا أو بايعاز الاعضاء الفرنسيين)

وفي يوم 7 نوفمبر بلغني خبر الفتنة التي اندلعت بباب علاوة فقصدت المكان فلقيت في الطريق الم . « بلاني » الكاتب العام للدولة التونسية فأعلمني بأنه في مساء الامس (6 نوفمبر) طلب من شيخ المدينة اعلام السكان ببطلان التسجيل . ودخلت الشوارع المضطربة ابان اشتداد المعركة فتسابق الي الناس من المقبرة متسائلين عن قضية التسجيل وطالبين ابطاله رسميا فأجبتهم بان التسجيل قد وقع ابطاله فعلا . ثم حاولت تهدئة الافكار المتهيجة اجتنابا لما عسى ان يطرأ من المصادمات مع الجيش . ولكن في تلك اللحظة قذف جنود « الزواف » بالحجارة فاطلقوا النار .

الرئيس — لقد سنحت لي الفرصة بأن أقابل بين سلوككم الشخصي وبين سلوك السكان المسلمين . وأنا أصارحكم بأنكم قد قمتم بالواجب في الجهر بالقول ولكنكم خير من يقص علينا ما قد جرى بين السكان المسلمين .

الزاوش — الواقع أن الافكار كانت متهيجة من أخبار الحرب الطرابلسية . ولكن — مع ذلك — لم تكن هذه الاخبار لتثير فتنة ، فالسبب الحقيقي في هذه الفتنة هو حدوث سوء تفاهم في المقبرة واتخاذ بعض وسائل في غير محلها ، من ذلك غلق أبواب المقبرة الذي اتخذه بعض الناس ركيزة لسوء الظن . ويضاف الى ذلك اعتقاد الفكر العام أن الادارة البلدية ستستولى على المقبرة .

الرئيس — الم يكن في اعلام السكان المسلمين بواسطة الاعلانات عن مقاصد الادارة نوع حماقة ؟

الزاوش — حقيقة ان الاستدعاءات المعلقة على الجدران والداعية الى اجتماع عدة آلاف في يوم واحد ومكان واحد مما يتسبب في أمور خطيرة جدا

الرئيس — هل أنتم على علم من الغليان الذي انتشر في المدينة ؟ وهل سمعتم أنه مدبر من جمعية او من بعض أشخاص ؟

الرئيس — يجب أن اقول لكم بصراحة : انه في خلال الاستنطاق الواقع في هذه القضية الشائكة اتهمك الم . « دي كرنيار » بانك المدبر الحقيقي لهذه الاضطرابات والمسؤول عنها

الزاوش — الم . « دي كرنيار » خصم سياسي ادرك تماما القصد من اتهامه لي ولكن هذا الاتهام تنقصه الحجة . وقد كنت طلبـت اجراء بحث عدلي في الموضوع .

الرئيس — قد أجرى هذا البحث . وانا اعلمك بنتيجته وهي أن الم . « دي كرنيار » قد بين عدة وقائع ومنها ان أهليين بميناء تونس قد قبضوا خمسة فرنكات ليغروا الحمالين بالمشاركة في الفتنة . وقد اثبت التحقيق عدم صحة هذا الادعـاء

الزاوش — اطلب ايصال التحقيق الى غايته لاجلاء الحقيقة واظهارها تمامـا

الرئيس — ومنها أن معمرا فرنسيا قد مات الآن كان سمع من احد عملته الذي كان بتونس — ايام الفتنة — بأن مسلمين لابسين ثيابا حسنة تحدثوا أمامه بأن السيد عبد الجليل الزاوش هو الذي دعا المسلمين للذهاب بالليل الى المقبرة ،وانك انت نفسك كنت معهم هناك وبيدك عصا بيضاء اشرت بها للهجوم

ومنها : أن اهليا آخر ذكر لمخدومه الساكن بباجة بانهم ينتظرون ورود رسالة منك للنزول الى السهل (؟)

ومنها أن معمرا بالمرناقية سمع الناس يقولون بأنـك المتسبب الوحيد في الثورة وانه وقع تدبير مؤامرة لقتل سمو الباي والمراقب المدني وشيخ المدينة وعامل أحواز الحاضرة

وذكر آخر ان السيد عبد الجليل الزاوش يريد تجهيز باخرتين حربيتين مشحونتين بالجيوش التركية لقتل النصارى .

وقد اشاع الاهالي تهما كثيرة من هذا القبيل . ولكن استحال تحقيق أية واحدة منها ، وما وقع تحريره منها كان مما لا يعتد به وليس له معنى فهذا ـ ايها السيد ـ ماانتجه البحث في هذه التهم

واخيرا ان الم . « دي كرنيار » أخبر عن حركة ذهاب واياب وقعت ليلة السابع من نوفمبر لم يتوصل التحقيق فيها الى نتيجة

وسال الرئيس السيد الزاوش عن حركة جمع أموال بالنادي التونسي حضرها واشترك فيها بعض الاروبيين فاجاب :

الزاوش ـ لم يدخل النادي التونسي لا الآن ولا في الماضي أجنبي واحد . وقد فتح فيه اكتتاب لاعانة جمعية الهلال الاحمر باذن من الحكومة . وفيما عدا هذا لم يحدث شيء بالنادي فيه شبهة أو ريب

الرئيس ـ زعموا أنك صرفت عملة من معملك «1» ليشاركوا في الفتنة غير انه تبين من البحث عدم صحة هذه الرواية . وعليه فلم يبق الا ان اشكرك عن البيانات التي أدليت بها الينا . وقبل انصرافك ارجوك أن تنظر الى المتهمين وتبين لنا اذا عرفت احدهم ممن تتذكر رؤيتهم في الفتنة

الزاوش ـ (يتأمل المتهمين) ويجيب ـ لا أعرف منهم أحدا

بقيـــة الشهـــادات

أستمر الاستماع الى الشهود ومكافحتهم مع المتهمين كامل الايام الموالية بحيث لم تنته المحكمة من قائمة الشهود الطويلة إلا مساء السبت 22 جوان

ونظرا الى أن غالب الشهادات لا تكاد تختلف عـــن بعضها ، مع الطول الذي لا فائدة من ورائه فقد اقتصرنا على ذكر اهمهـــا مختصرا بقدر الامكان فيمـــا يلـــي :

«1» معمل السميد الذي كان يمتلك نصفه بشركة « راميلا »

شهادة الايطالي كامراته نوننتشيو الصفائحي بنهج بقيرة

كامراته — شاهدت يوم الفتنة جنود الخيالة يقومون بتفريق الأهالي • وكنت في ذلك الحين راكبا عربة ، فوضعتها في فنـــدق وذهبت الى داري فصعدت على السطح للتفرج فشاهدت من هناك صبيانا أمام دكان العطار سالم بن مسعود (احد المتهمين) وهو (اي العطار) يوزع عليهم العصي ، ورأى هؤلاء الصبيان الايطالي « تليافيكو » فانقضوا عليه يضربونه بالعصي وكان بالقرب منهم جمع من الأهالي فالتحق بالصبيان رجل طاعن في السن وصاح بقوله : انا الذي اقضي عليه . واخـــرج سيفا من غمده وطعن به « تليافيكو » •

الرئيس — ان الايطالي « كساره » شهد بما يخالف شهادتك

كامراته — ان كساره لا يقدر أن يرى شيئا من المكان الذي كان فيه

الرئيس — هل تستطيع أن تعرف الرجل المسن الذي طعن القتيل

كامراته — (يستعرض المتهمين فلم يعرف احدا ، وكان المتهم العمري علي ابن محمد نائما — وهو رجل مسن — فايقظوه واجلسوه على كرسي فحدق فيه الشاهد ولم يعرفه)

الرئيس — (مشيرا الى العمري) اليس هو هذا ؟ «1»

كامراته — نعم هو ! اقسم على ذلك بدمي

الرئيس — (ينادي على الشاهد كساره ويسأله) مـــاذا تقول في كلام كامراتـــه ؟

كساره — اني لم ابارح المكان الذي شاهدت منه قتل الايطالي « تليافيكو » واؤكد لكم أن الرجل المسن الذي طعن القتيل ليس هو العمري الموجود امامي

شهادة الايطالي زمبيتو جيوزابي الساكن بنهج بقيرة

زمبيتو — في يوم الحادثة حصنت ابواب داري بنهج بقيرة ، وصعدت فوقها لاشاهد الصبيان يضربون « تليافيكو » بالعصـــي • ثم التحق بهم

«1» هكذا تكون العدالة ! وهكذا تكون الاجراءات العدلية السليمة !!! ويظهر ان الشاهد قد تنبه بسؤال الرئيس الى وجوب مراعاة الظروف فعرف المتهم واقسم على ذلك بدمه اكراما للمحكمة ورئيسها •

حضر من شهود النفي في قضية هذا الفلاح عشرة . وقد تقدم أن شاهدي الأثبات هما عونان أهليان من اعوان البوليس شهدا برؤيتــه مع المتظاهرين واصرا على شهادتيهما من بين شهود النفي :

العدل محمد الزمرلي ـــ الذي ذكر انه اجتمع بالمتهم على الساعة التاسعة من صباح يوم 7 نوفمبر وقد زاره من أجل رسوم تخصه كان بصدد احضارها لــــــه

والعروسي بوهاشم ـــ الذي ذكر بانه قابل المتهم بكافي ريـــش (مهقى الاغنياء) في يوم الحادثة ما بين السابعة والنصف والثامنة صباحا

ومحمد الجنادي ـــ الذي شهد بانه كان جالسا مع المتهم بالمقهى المذكور من السابعة والنصف الى التاسعة من صباح اليوم المذكور

ومحمود بن علي المؤدب ـــ الذي ذكر انه من عادة المتهم أن ينام معه في المدرسة ، وقد قضي ليلة 7 نوفمبر معه . ثم خرجـــا من المدرسة حوالي الساعة الخامسة صباحا ، وقصدا سوق العطارين حيث شربا القهوة هناك ثم تحولا الى مقهى الاغنياء وهناك رأيا كثيرا من الناس (وذكر اسماءهم) ومن القهوة ذهبا الى مكتب العدل محمد الزمرلي حوالي الساعة التاسعة ومنه الى دكان اسرائيلي من حرفاء المتهم .

وعيد القادر بن صالح شلوف ـــ الذي شهد بما يؤيد الشهادات السابقة

والم . ايميل دماي المراقب بادارة الاداءات المختلفة الذي شهد بانه راى المتهم في المقهى على الساعة الثامنة ،وانه من المستحيل ان يكون المتهم موجودا بالمقبرة في الوقت المذكور

العونان ـــ (يتمسكان بشهادتهما ويصران عليها)

الرئيس ـــ لا اشك ان المتهم قدم الى تونس لقضاء مآربه الخاصة مع عدل ومقرضي مال • ومن المستبعد أن يكون قد حضر في معركة الزلاج • وفضلا عن ذلك فان المتهم من الذين لا يفارقون غالبا جهة سكناهم •

ثم التفت الرئيس الى المتـــهم وقال : بماذا تفسر اصـــرار العونين على شهادتهما ؟

المتهم ـــ لا افسره الا بالخطأ والغلط في معرفة شخصي •

مرافعـــة المـــدعى العمـــومى

جلسة صباح الاثنين (24) جوان

كانت القاعة يومئذ غاصة بالمتفرجين المرخص لهم في الحضور بجلسات المحكمة • وعند افتتاح الجلسة نهض المدعي العمومي الم • « رفردان » ليلقي مرافعته فقال !

ايها الســـادة

في صباح يوم 7 نوفمبر المنصرم وفيما بين الساعة الخامسة والنصف والسادسة قدمت قوات من البوليس الى باب علاوة واصطفت بين باب المدينة والمقبرة ، فلماذا ياترى حضرت هذه القوة غيـــر المعتادة بحارة كانت على هيئتها الاعتيادية ؟

يقولون انهم خشوا حدوث اضطرابات بتونس هذه المدينة التي هي بحسب الظاهر اهدأ واهدأ بلاد افريقيا الشمالية

اضطرابات من شعب هادىء يمشي الفرد منه الهوينى في الحارات الاهلية بحذاء يجره جرا وخلف اذنه مشموم (1) ان ذلك — فيما يظهر — لا يعقل صدوره من شعب بهذه الصورة لم يخلق للنزال . ولكن الزمان قد تطور وحصلت بتونس حركة في العقول وتغيرت الاحوال وما تونس سنة 1911 بتونس التي وجدها الفرنسيون حين قدومهم ، قال كاتب عربي « ان الاسلام سلسلة فمن مس حلقة منها مس السلسلة كلها » وقد اهتزت هذه السلسلة عند مسها . واهتزازها بالاستانة هو مما لا يعتد به ولكن مع ذلك تولدت حركات في عقول التونسيين ثم حدثت الحرب الطليانية — التركية فكان شأن السلسلة في هذه المرة الاهتزاز دائما بشدة وهيجان ولم تبق مجرد أحلام بل هي الحقيقة بعينها حيث أريد أخذ ولاية من الاسلام وهي ولاية قريبة من ولاية اخوان في الاسلام فحصل بسبب ذلك تاثير عظيم ظهر اثره في فصول نشرت بالجرائد واعلانات معلقة بالجدران ومنشورات في اثارة الشعب على الطليان ومقاطعتهم . وقد رأيناهم يترجمونها أمام الدكاكين وادارات الجرائد حيث تقع كل يوم مشاجرات ومظاهرات عدوانية ضد الطليان .

ثم تكلم المدعي العمومي عن مقبرة الزلاج وشراء رجل صالح قيرواني قدم الى تونس لها من مالكها اليهودي وتخصيصها لدفن اموات المسلمين لانه عظم عليه اذ راى رجلا اشترى قبرا لابنه بثمن نباهظ . ثم تخلص للتسجيل فقـــال :

ان ادارة اشغال البلد قصدت به صيانة حقوق الأهالي في المقبرة وحفظها من غارات أرباب مقاطع الحجر . والدليل على ذلك انها صرحت في مطلب التسجيل بان المقبرة تبقى لدفن أموات المسلمين ولا تشغل بغير الدفن . ولكن الادارة البلدية — مع ذلك — قد اخطات شديدا في عدم اعلام رئيسها فقد كان في الامكان اقناعه بالفوائد العائدة على الأهالي من التسجيل الذي اقتضاه الحال . وكان في امكان الرئيس أن يقنع هو ايضا ابناء جلدته بتلك الفوائد . واذا عارض في ذلك فيلزم في هذه القضية بيان المسؤولية بايضاح . ومن جهة أخرى فان السيد الصادق غيلب ملوم حيث انه سمع بأمر التسجيل

(1) زهرة ورد او باقة صغيرة من زهور الياسمين يرشقها بعض أبناء الاحياء الشعبية فوق آذانهـم .

من أقوال الناس فقط بطريقة غير رسمية ولم يسع لمنعه . واذا لم يحصل على مرغوبه فيبقى له ملجئان يقصدهما وهما : الحكومة والسفارة العامة ولكنه قام بعكس ذلك فكانه كان في هذه المسالة مدفوعا بعامل التحذر من فرانسا ، وقد ركن الى المسلمين واعتمد عليهم وبواسطة اعلان قانوني ولكنه محقق الفعل وغير معتاد دعا هؤلاء المسلمين للتظاهر يوم سابع نوفمبر بالمقبرة واثر على السكان الذين كانوا في عراك مع الادارة على مضادة منافعهم بسوء تبصر فاحش فحدث من ذلك هيجان تكونت منه الفتنة . ولنا على ذلك شهادة مهمة . وهي قول المتهم محمد بن محمد قارة عدد (71) حل دفاعه عن نفسه وعن شركائه المتهمين : لمَاذا نقع في يد المحكمة الفرنسية والحال اننا دعينا الى الزلاج . وما لم يفعله الرئيس قام به عضو بلدي وذلك أن السيد عبد الجليل الزاوش العضو بالمجلس البلـدي عرض في اجتماع المجلس يوم 2 نوفمبر مطلبا في ترك تسجيل المقبرة فوافق المجلس على ذلك وزالت اسباب النزاع . غير أن المصائب ابت الا ان تكون في ذلك الوقت فاتحة سوء تفاهم وحركات باطلةوخطأ » .

ثم قال المدعي العمومي :

« لماذا لم يطلب من الجرائد نشر ملخص جلسة المجلس البلدي ؛ وانه على يقين من ان جميعها بدون استثناء كان ينشر ما ياتيه من الادارة البلدية . غير أن الادارة المذكورة لم تفعل شيئا في هذا الشان » .

ثم بعد الكلام في مسالة التسجيل وانتقاد عدم اعلان بطلانه يوم 2 نوفمبر بل ويوم 4 نوفمبر بواسطة المحركين وانـه كان من الواجب على الادارة البلدية ان تعلم رئيسها بهذا الامر ليعلن ذلك للسكان ، تخلص المدعي العمومي لذكر تفاصيل قدوم البوليس يوم الفتنة الى الزلاج وقدوم اعوان ادارة دفتر خانة الاملاك العقارية ودخول شيخ المدينة المقبرة واضطرام نيران الفتنة ومذابح نهج سيدي البشير ثم قال :

« وقد قيل ان طليانيا كان على سطح الدار عدد 103 بنهج سيدي البشير قتل اهليا برصاصة من مسدسه والحال أن الرصاصة التي أصيب بها من

بنادق العساكر (1) لكن حيث اعتقد الاهالي ذلك فلا مشاحة فيما اعتقدوه . وبقي علينا ان نحقق ما اذا كان هذا الاعتقاد سببا في مذابح الطليان ؟ فان جميع المتهمين قد بينوا ـــ في اثناء الجدال ـــ ما من شأنه أن يسند الوقائع الى غير ذلك . غير ان ذلك ـــ وان كان نافعا لهم ـــ لكنه قابل للمعارضة لان هناك قتلى وجرحى من أعوان البوليس وهل ان العيار الناري الذي اثار العدوان على الطليان كان وقتئذ موجودا ؟ » .

ثم اشار المدعي العمومي الى ما كان عليه الفكر الاهلي يوم 7 نوفمبر نحو الاوروبيين فقال :

« ان الم . « بيش لاتور » ذكر انهم انذروه بقتل جميع الاوروبيين ، وأن شهودا كثيرين آخرين ذكروا وقائع هذا المعنى وان مدام « اتوري » سمعت مرارا متعددة انهم سيقتلون النصارى . وبالجملة فان عيار المسدس لم ينطلق حينما وقع الهجوم على « بنشيو » بالتراموای وترك فيه صريعا كالميت وغيره كثيرون ممن وقعت الجناية عليهم قبل انطلاق العيار الناري المذكور (2) وعليه فقد وقع التمادي في قتل الطليان وكان قتل بعض فرنسويين على اثر الحوادث الاولى وظهر ان جميع الجناة شاركوا في ارتكاب أعمال العصيان الاولـــــى .

ان شأن الحيوانات الضارية ان تنشط بطعم الدم . ونحن أمام حيوانات من هذا النوع .

وبعد أن عدد المدعي العمومي أدوار الفتنة والجهات التي وقعت بها المذابح ذكر القضية من الوجهة القانونية فقال :

« انها اعتداء على الأمن العام ، وعصيان ضد الاشخاص ، وقتل . أما العصيان فانكم تعلمونه وهو كل مباداة بالشر ضـــد أعوان الحكومة وتبلغ الجناية فيها اقصاها اذ كان الجمع الذي ارتكبها مؤلفا من أكثر من عشرين

«1» لقد مر سابقا ان هذا غير صحيح وان الايطالي هو الذي اطلق المسدس فقتل تونسيا وان المتظاهرين قتلوا الايطالي .

«2» بل ان الاعتداء على الترام وقع بعد حادث اطلاق الرصاص من طرف الايطالي .

ان جناب الرئيس قد بحث لدى الاستنطاق في هذه القضية ونظري فيها مطابق لنظره . وليست هناك ثورة او فتنة . ولو كان الامر كذلك فانا على يقين من انه كانت تتخذ وسائل حازمة ولكان المذنبون عوقبوا منذ زمن طويل ؛ وانما هناك عصيان . غير أنه عصيان له اهمية كبرى فهو جمع مسلح هجم على بوليس المدينة ، ذلك البوليس الذي استوجب اعتبارنا والذي اصبحنا بواسطته في أمن يضاهي أمن مدن الاقطار الاوربية . وهؤلاء المتجمهرون انفسهم قد سطوا على العساكر ولم يرهبـوا من مد أيديهم الـى الجيش الفرنسي حتى احوجوه (وهو الذي اتى لحمايتهم من الاجنبي) الى استعمال السلاح ضدهم . وقد أتوا بذلك عملا من الخطورة بمكان .

تالف هذا الجمهور من مئات وآلاف من العصاة . وها هنا سبعون نفرا كلهم برآء ليس منهم واحد اقر بعمل حركة ما ، وعندما يقوم الآن المحامون للدفاع عنهم يصير المدعي العمومي بمهارتـهم وكثرتهم هو المذنب لابقائه موكليهم البرآء في السجن المضيق مدة خمسة اشهر » .

ثم قال المدعي العمومي :

« اني ـ باعتبار شهادات التهم ـ أول من يطلب من المحكمة الصرامة . على أن غالب الشهود في هذه القضية من أعوان بوليس مستخدمين منذ مدة طويلة وعائشين في وسط هؤلاء السكان الجناة الذين منهم أكثر المتهمين . واذا وجدتم على وجه الصدفة واحدا مستـور الحال ابحثوا عنه تجدوا المتعصب الذي ينبئكم عن سيرته » .

ثم اخد المدعي العمومي يبحث في الوقائع وبين ما ارتكبه كل متهم ومقدار مسؤوليته باطناب مما لا يخرج عما تعرض له قرار الاتهام .

وبعد أن اتى على جميع التفاصيل ذكر صنيع فرنسا بهذه البلاد وما قامت به من الاعمال لرفع شأنها وشان الشعب التونسي . واشار الى ما كانت

عليه تونس قبل الاحتلال من ضيق الحال واهمال التجارة ونقدان الصنائع ورداءة الفلاحة وسوء خدمة الارض (1) ثم قال :

« نفي زمن هذه الفاقة تداخلنا في تونس وسترنا فاقتها بعباءة وهذه العباءة هي الراية المثلثة الالوان (كذا) وقد سعدت المملكة التونسية وصارت انفس جوهرة في تاج مستعمراتنا التي تفتخر بها فرنسا فاعلة الخير «كذا»

وبعد أن ذكر احترام فرنسا لعقائد الاهالـــي وتمسكها بالمحافظة عليها محافظة كلية ومن ذلك مقبرة الزلاج تعرض لمسالة التسجيل فقال :

« ان الادارة البلدية أرادت به صيانة حقوق الأهالي من مطامع الغير ، وعند ذلك اعترض اعضاء المجلس البلدي على ذلك وقالوا : ان المسلمين وحدهم هم الذين لهم حق الاشتغال بهذه المسالة فاجيبت رغبتهم في الحين وتقرر ابطال التسجيـــل .

ولقائل أن يقول : كان يجب اعلام المستحقين بهذا القرار . نعم ! ذلك صحيح . وقد ذكرت أسفي لما وقع من التواني في هذا الشأن . ولكن كان على الشعب حيث هضمت حقوقه أن يرفع أمره الى من له النظر ، الى المجلس المختلط . وربما كان في استطاعة ادارة الاوقاف أن تتولـــى مباشرة هذه القضية وتعرضها على هـــذا المجلس المؤلف مـــن عنصرين . الم يكن في استطاعتهم أن يخاطبوا اعضاءه المسلمين الذين هم من نخبة العلماء ومن الرجال المستقيمين الذين كانوا يطمنون خواطرهم وعلى فرض أنهم لم يجدوا منهم ترضية فما كان من حقهم أن يتهافتوا على احداث فتنة . واذا طرق بالهم الشك في النتيجة كان عليهم أن يعتبروا أن فرنسا عملت ليس لفائدتها فقط ، بل ولفائدة المسلمين» .

ثم ذكر المدعي العمومي اعلان بطلان التسجيل بالمقبرة عند حضور وكيل الجمعية وشيخ المدينة ومهندس ادارة قيس الاراضي ومن معه من موظفي الادارة المذكورة وقال :

« وتلقاء التصريح علنا بترك التسجيل غير الجمهور دعواهم وطلبوا اطلاق

«1» لغة المستعمرين في كل زمان ومكان .

« ان القرآن لم يأمر بما فعله المسلمون . بل انه أمـــر في آيات كثيرة باحترام الديانات والعقائد فكيف أحدث المسلمون مـ عهذه الافكار الواسعة فكرا ضيقا بهذا المقدار ؟ »

ولما فرغ المدعي العمومي من مرافعته الطويلة قال لهيئة المحكمة :

« أنتم تعلمون السلطة التي خولها لكم القانون والعقوبات التي تحكمون بها فعقوبة العصيان الاشغال الشاقة ، وعقوبـــة محاولة القتل الاشغال الشاقة المؤبدة وعقوبة القتل الاعدام .

واذا طلبت منكم الشدة فانا لا أطلب منكم ابطال التخفيف والتماس الاعذار ولكن يجب أن يكون العقاب الذي تحكم به المحكمة مطهرا للبلاد من جميع الذين ارتكبوا الجرائم » .

ثم ذكر المدعي العمومي اسماء بعض المتهمين الذين يستحقون العقوبات المشار اليها وانتهى من مرافعته مساء الاثنين 24 جوان .

مرافعـــات الدفـــاع

جلسة صباح الثلاثاء (25) جوان

افتتحت بمرافعات الدفاع من طرف المحامين الذين كنا أشرنا أنهم معينون من طرف المحكمة للدفاع عن المتهمين ، وانه لا يوجد من بينهم تونسي واحد . وقد بذل اكثرهم جهودا مشكورة في دفاعهـــم ومناقشاتهم لاقوال الادعاء العمومي والشهود ، وقد دامت هذه المرافعات أربعة أيام كاملة 25 — 26 — 27 28 جوان وانتهت مساء الجمعة 28 جوان .

وهذه اسماء المحامين :

1 — قنقل
2 — داسكوناقير
3 — بنعطار
4 — دستري
5 — بودواي
6 — ماشويتز
7 — بشموط
8 — بسات
9 — نطاف
10 — سيرو
11 — ستالا بورديون

وقد اختصرت صحافة ذلك العهد هذه المرافعات وسنقتصر على اثبات مقتطفات من احداها حتى يتبين القارىء الطريقة التي اتبعها المحامون في دفاعهم

مرافعة المحامي بنعطار

وهو محام اسرائيلي تولى الدفاع عن المتهمين :

— مصطفى بن محمد بن الطيب



المحامون

— حسن بن بلقاسم بن علي

— عمر بن بلقاسم بن سالم الدويري

فبدا بتحية الموتى في واقعة الزلاج . ثم تحول الى الدفاع عن منوبيه فقال من جملة دفاعه :

« انكم اتهمتم كثيرا شيخ المدينة لأنه يجهل ما وقع بادارته والحال ان الادارة البلدية يشرف على شؤونها الكواهي ، لأن الرؤساء يفوضون امر الادارة اليهم . وعليه فان شيخ المدينة لا يستطيع أن يعلم السكان المسلمين بالرجوع في قضية التسجيل قبل الوقت الذي أعلمهم اذ لم يقع اعلامه قبل ذلك . ان الحوادث التي وقعت كان سببها غلطات واستخفافا وسوء تفاهم وجهلا مطبقا بأخلاق وعوائد السكان وعلى الخصوص بمسالة الاموات وما يجب لهم من الاحترام ومن تركهم مطمئنين في مراقدهم التي هم بها نائمون » .

ثم قال :

« تقولون ان نيتكم حسنة ! واستظهر الم . « فنسان » مدير أشغال البلد بحجة واهية لا علاقة لها بالموضوع والواقع مستشهدا بتسجيل مقبرة سوسة بدون أن يلتفت الى أن التطبيق المطلق قد ينقلب في بعض الاحيان ظلما فادحا»

ثم قال :

« لقد القي القبض على كثيرين يقال : ان عددهم تجاوز الثمانمائة ، فلماذا احيل القسم الأوفر من المتهمين على محكمة الدريبة (المحكمة الابتدائية التونسية) وأحيل الذين نراهم اليوم أمامنا على المحكمة الجنائية الفرنسية وأعطوا هذا الشرف العظيم المحزن ؟

ثم أخذ في الدفاع عن منوبيه فقال :

« ان مصطفى بن الطيب وحسن بن بلقاسم وقع القبض عليهما اثر مفاجاة عون البوليس لهما وهما يتحدثان وسمعهما من شق الباب يتفاخران بالمشاركة في الفتنة مشاركة دموية ، فكيف فهم هذا العون كلامهما وهما يتحدثان بلغة غدامس ؟ اذ من المعروف ان الغدامسيين لا يتحدثون فيما بينهم الا بلغتهم البربرية

وقد ظن عونان آخران انهما عرفا المتهمين ولكن المحكمة لا يمكنها ان تعول على مثل هذه الشهادات . وفيما عدا ذلك فان مصطفى بن الطيب وحسن بن بلقاسم قد اثبتا بشهادات كثيرة مغيبهما عن مكان الاضطراب ولذلك فاني اتحقق ان المحكمة ستحكم ببراءتهما .

اما عمر بن بلقاسم فقد شهدت عليه امراة ايطالية . وهذه المراة ذكرت امام المحكمة انها لا تستطيع معرفة المتهم وبذلك تسقط شهادتها فلم تبق ضده الا شهادة الكوميسار « ماتايي » غير ان هذا الكوميسار لم يستطع بيان ما ارتكبه المتهم وعليه فلا يعمل بشهادته في الاثبات » .

ثم ختم مرافعته مخاطبا هيئة المحكمة :

« ان المتهمين ينتظرون منكم الصفح عنهم . وا نالسكان المسلمين يتطلبون العدالة الفرنسية ويقدرون العدل الفرنسي وهم يطلقون فيما بينهم على هذه البناية اسم « دار الحق » واذا كان الأمر كما قاله أحد مفسري القرآن واشار اليه جناب المدعي العمومي في مرافعته ، وهو ان الدين لا يؤسس على البغضاء فلنتذكر انه لا يمكن ايضا أن توسس مستعمرة (كذا) على البغضاء ! »

المفاوضة

افتتحت الجلسة الأخيرة للمحكمة في هذه القضية يوم السبت 29 جوان على الساعة السابعة صباحا .

وسال الرئيس المتهمين اذا كان لديهم ما يلاحظون وما يطلبون فأجابوا بانهم يفوضون أمرهم الى عدالة المحكمة .

وعلى الساعة الثامنة صباحا اختلت المحكمة للتفاوض . وطال هذا التفاوض طولا ظهرت آثاره على اقارب المتهمين الذين صاروا يتململون من الانتظار وتخفق افئدتهم خوفا على مصير اقربائهم في كلمة من رئيس المحكمة المختفي مع اعضاده على بعد خطوات منهم وراء الجدران السميكة . واستمر التفاوض ، واستمر الانتظار الممل ، وجاء منتصف النهار ومضى ، وزحف المساء في بطء وتثاقل ، وقدم الليل بجحافله الثقيلة على العاصمة الحيرى

القلقة . ومضى الهزيع الاول منه والناس ينتظرون . ودقت الساعات معلنة انتصاف الليل والمحكمة لا تزال في مناقشاتها السرية .

وحوالي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل اي بعد سبع عشرة ساعة ونصف طويلة ثقيلة جاء الفرج واعلن عن انتصاب المحكمة من جديد .

التصـريح بالحـكم

رجعت هيئة المحكمة الى مقاعدها . وشرع الرئيس في تلاوة نص الحكم :

« بعد سماع تقارير وكيل الدولة ودفاع المحاميـن عن المتهمين والمتهمين انفسهم الذين كانوا آخر المتكلمين في القضية ، وبعد المفاوضة في ذلك طبق القانون حكمت المحكمة الجنائية بما ياتي

اولا — فيما يخص المتهمين عدد 4 و 7 و 9 و 10 و18 و19 و20 و21 و24 و25 و28 و29 و30 و31 و32 و33 و36 و41 و43 و50 و51 و55 و59 و61 و67 و68 و69 و70 و71 و72 و5 و13 و44 و53 .

حيث ان الظروف التي عرف فيها الشهود المتهمين المذكورين أعلاه وشهدوا بأنهم شاركوا في الاعمال المنسوب لهم ارتكابها لا تنفي كـل خطأ عن أولئك الشهـود

وحيث ان المتهمين المذكورين أعلاه تحت اعداد 31 و32 و33 و36 اثبتوا تهمتهم ثبوتا كافيـا .

فقد برات المحكمة ساحتهم من التهمة الموجهة عليهم واطلقت سبيلهم بدون ان تحملهم المصاريف وهم :

عمر بن عمر بن التومي — والحاج محمد بن علي بن محمود — وميلود بن علي ابن صالح — ورابح بن محمد بن علي .

ثانيا — فيما يخص المتهمين عدد 38 وعدد 53 حيث ان جناية العصيان في اجتماع يتالف من اكثر من عشرين شخصا مسلحين لم تثبت عليهما ثبوتا كافيا

وحيث انه ثبت عليهما فقط انهما استعصيا وتعديا بدون سلاح يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس على اعوان القوة العامة العاملين لتنفيذ القوانين .

ولكن حيث اتضح من الشهادات والحجج أن سنهما دون الثماني عشرة سنة وانهما لم يفعلا بتمييز كما ثبت من البيانات التـي وقع الادلاء بها أثناء المرافعة فقد برات المحكمة ساحتهما وقررت تسليمهما الى اوليائهما وهما :

صالح بن علي الجلاصي — وبلقاسم بن احمد بن الحاج العربي

ثالثا — فيما يخص المتهم عدد 10 —

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا أنه تعمد قتل « موتشيو » وسرقة متاعه ومحاولة قتل عون البوليس « موجني » والمدعو « جاك فيكتور » .

وفيما يخص المتهم عدد 6

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا أنه ارتكب جناية عصيان وتعمد قتل البريقادي « فرانكي » وسرقة متاع « دي بارتولو » .

وفيما يخص المتهم عدد 8

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا أنه ارتكب سرقة متاع « موتشيو » ومحاولة قتل عون البوليس « سينغ »

وفيما يخص المتهم عدد 14

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا انه ارتكب جناية حمل السلاح الخفي بدون رخصة

وفيما يخص المتهم عدد 16

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا أنه ارتكب محاولة قتل البريقادي « بياتري »

وفيما يخص المتهم عدد 22

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا انه ارتكب محاولة قتل المدعو « بونتزيو »

وفيما يخص المتهم عدد 33

حيث لم يثبت ثبوتا كافـيا انه ارتكب محـاولة قتـل « تورتوريتشي » و « كرابانزانو » و « دي فيليبو » و « كيريشي »

وفيما يخص المتهم عدد 37

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا ارتكابه جناية حمل السلاح الخطر خفية وبدون رخصـة .

وفيما يخص المتهم عدد 15

حيث لم يثبت ثبوتا كافيا أن جناية محاولة قتل الكومندان « قينيان » قائد الجندرمة سبقت أو قارنت أو اعقبت جناية محاولة قتل البريقادي « بياتري »

وفيما يخص المتهم عدد 8

حيث لم يتبين بيانا كافيا أن محاولة قتل « بياتري » سبقت او قارنت او أعقبت جناية قتل المدعو « موتشيو ».

وفيما يخص المتهمين عدد 37 و 65

حيث لم يتبين بيانا كافيا ارتكابهما العصيان في اجتماع مسلح.

وفيما يخص المتهمين عدد 52 و 58 و 67

حيث لم يتبين بيانا كافيا أنهم ارتكبوا عصيانا في اجتماع.

فقد رفعت المحكمة عنهم التهم المبينة اعلاه

خامسا — لكن حيث ان المتهمين المذكورين تحت الاعداد الآتية ارتكبوا ماياتي

اولا الاعداد 1 و2 و3 و8 و11 و12 و14 و15 و16 و17 و22 و23 و26 و27 و34 و35 و39 و40 و43 و45 و46 و47 و48 و49 و54 و56 و60 و64 و66.

اعتدوا يوم 7 نوفمبر بتونس على أعوان القوة العامة العاملين لتنفيذ القوانين مع كون المقاومين يتجاوزون العشرين شخصا وكون الاجتماع كان مؤلفا من اكثر من عشرين شخصا حاملين لأسلحة ظاهرة

ثانيا — المتهمان عدد 37 و عدد 65 استعصيا واعتديا يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس على أعوان البوليس العاملين لتنفيذ القوانين

ثالثا — المتهمون عدد 57 و 58 و 62 استعصوا واعتدوا يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس علىأعوان القوة العامة العاملين لتنفيذ القوانين مع كونهم كانوا حاملين لأسلحة ظاهرة

رابعا — المتهم عدد 27 حاول يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل عون البوليس « موجني » بينما كان يباشر وظيفته او بمناسبة القيام بها على ان هذه

المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل او لم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادته .

خامسا — المتهمون عدد 1 و 3 و 2 تعمدوا يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل عون القوة العامة « فرانكي » أثناء مباشرة وظيفته او بمناسبة القيام بها مع كون تعمد القتل قارن أو أعقب جناية العصيان المبينة بالفقرة الأولى أعلاه .

سادسا — المتهم عدد1 حاول يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس اختلاس ساعة « جاك فكتور » وسلسلتها على ان هذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل ولم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادته مع كونها وقعت باعتناء شديد .

سابعا — المتهم عدد 17 تعمد يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس محاولة قتل عون القوة العامة « دوران » أثناء مباشرة وظيفته أو بمناسبة القيام بها على أن هذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل ولم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادته مع كونها سبقت او قارنت أو أعقبت العصيان المبين بالفقرة الأولى أعلاه .

ثامنا — المتهمان عدد 11 ، وعدد 12 حاولا يوم 7 نوفمبر بتونس قتل عون القوة العامة « سولي » اثناء مباشرة وظيفته أو بمناسبة القيام بها على أن هذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل او لم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادتهما مع كونها سبقت أو قارنت أو أعقبت جناية العصيان المقررة بالفقرة الاولى أعلاه .

تاسعا — المتهمون عدد 11 وعدد 1 وعدد 2 حاولوا يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل عون القوة العامة « فوانتي » اثناء مباشرة وظيفته او بمناسبة القيام بها على ان هذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل او لم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادتهم مع كونها سبقت أو قارنت أو أعقبت جناية العصيان المقررة بالفقرة الاولى أعلاه .

وفيما يخص محمد بن الحاج عبد الله الغربي عدد 11 سبقت تلك المحاولة او قارنت او أعقبت محاولة قتل عون القوة العامة « سولي .

وفيما يخص الشاذلي بن عمر القطاري عدد1 والمنوبي بن علي الجرجار عدد 2 سبقت أو قارنت أو اعقبت جناية قتل البريقادي « فرانكي » .

عاشرا — المتهم عدد 8 تعمد يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل المدعو « موتشيو » مع كون القتل سبق أو قارن او اعقب جناية العصيان المبينة بالفقرة الاولى اعلاه .

احد عشر — المتهمان عدد 8 و 15 حاولا يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل عون القوة العامة « بياتري » اثناء مباشرة وظيفته او بمناسبة القيام بها على أن هذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل أو لم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادتهما مع كونها سبقت أو قارنت أو أعقبت جناية العصيان المقررة بالفقرة الاولى اعلاه .

ثاني عشر — المتهم عدد 8 تعمد يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس الاعتداء على عون من القوة العامة اثناء مباشرة وظيفته أو بمناسبة القيام بها .

ثالث عشر — المتهم عدد 14 حاول يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل المدعو « كروانة » على أن هذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل او لم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادته مع كونها سبقت او قاربت او اعقبت جناية العصيان المبينة بالفقرة الاولى اعلاه .

رابع عشر — المتهم عدد 15 حاول يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل كومندان الجندرمة « قينيان » اثناء مباشرة وظيفته أو بمناسبة القيام بها على ا نهذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل أو لم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادته مع كونها سبقت أو قاربت أو اعقبت جناية العصيان المقررة بالفقرة الاولى اعلاه .

خامس عشر — المتهم عدد 6 تعمد يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل المدعو « بارتولو فرنتشيسكو »

سادس عشر — المتهم عدد 6 تعمد يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل المدعو « برايار » مع كون القتل سبق او قارن أو اعقب جناية قتل المدعو « دي بارتلو » المقرر بالفقرة الخامسة عشرة اعلاه .

سابع عشر — المتهم عدد 26 حاول يوم 7 نوفمبر 1911 بتونس قتل المدعو

« مارتينيكو » على ان هذه المحاولة التي وقع الشروع فيها لم تتعطل او لم يحل دون اجرائها سوى ظروف خارجة عن ارادته مع كونها سبقت او قارنت او اعقبت جناية العصيان المقررة بالفقرة الاولى أعلاه .

وحيث ان سن المتهمين عدد 3 و 37 و 43 و 62 و 64 — غير محقق واتضح من ادوار المرافعة ان سن المذكورين يتجاوز السادسة عشرة سنة وأنه وان فرض ان سنهم دون الثامنة عشرة سنة فان الظروف التي ارتكبوا فيها الجنايات المتهمين بها تدل على انهم فعلوا بتمييز حقيقة .

وحيث يوجد بين المتهمين بالعصيان من لا وظيفة ولا خدمة لهم في العصابة التي انضموا اليها ولم يلق القبض عليهم بمكان العصيان ولكن لا يمكن مع ذلك اسعافهم بمقتضيات المادتين 213 و 100 من القانون الجنائي .

وحيث تقرر وثبت في الحقيقة من الشهادات التي تلقيت ان هؤلاء الاشخاص لم ينسحبوا باختيارهم لأول تنبيه صدر لهم من القوة العامة ، وحيث ان تعذر القاء القبض عليهم اما لكونهم تغلبوا بالقوة على المجهودات التي بذلها أعوان البوليس لاعادة النظام أو لكونهم فروا عندما رجعت السلطة للقوة العامة في الطريق وحيث ان مواد القانون المشار اليها تقتضي وجود عصابات أو جموع منظمة من أجل ارتكاب جناية أو جنحة .

وحيث ان جماعات المستعصين يوم 7 نوفمبر 1911 لم تكن لها هذه الصفة البتة وحيث ان حجج ثبوت التهمة على المذكورين ظهرت للعيان من الشهادات التي وقع تلقيها والظروف التي وضحت أثناء المرافعة .

وحيث ان أنفارا كثيرين من الأهالي المسلمين اجتمعوا بجهات مقبرة الزلاج يوم 7 نوفمبر 1911 منذ الساعة السابعة صباحا بدعوى معارضة مطلب قدمته الادارة البلدية لتسجيل تلك المقبرة باسمها وهو مطلب رجعت فيه ولم يكن المراد في ذلك اليوم مباشرة التحديد كما اعتقده المتظاهرون بل تلقى أعوان ادارة قيس الاراضي قرار الغاء مطلب التسجيل بصفة رسمية .

وحيث ان كوميسار البوليس « اسبيو » الذي كان كلف ليلة الواقعة بحفظ النظام لتوقع المظاهرة منع قبل كل شيء الاهالي المتجمعين من الدخول الى

المقبرة وحيث تسبب عن ذلك ارتكاب أعمال عصيان واعتداء منفرد من المتهمين عدد 65 و 58 و 57 و 37 على أعوان البوليس الذين كان يبلغ عددهم مائة وعشرين تقريباتحت قيادة متفقدي البوليس « سولي » و « دوران » و « كورني » وكانوا مكلفين بمنع المتظاهرين من الدخول الى المقبرة وحيث ان المتهم عدد 8 ضرب في ذلك الوقت عون البوليس « سينغ » برجله ضربة وصلت الى اعضاء التناسل وحيث تبين على المتهمين المذكورين ارتكاب تلك الأعمال بالشهادات المدققة والمطابقة لبعضها بعضا وهي شهادات اعوان البوليس وخصوصا « الشاذلي مملوك » و « مارتيني » و « فرجي » و «سينغ» وحيث اتضح من تلك الشهادات ايضا ان سليمان بن احمد واحمد بن سليمان كانا حاملين للسلاح .

ثم تعرضت حيثيات الحكم لقدوم اعوان ادارة قيس الاراضي الى المقبرة بدون آلات ولا معاونين وتلقيهم ابطال مطلب التسجيل من نائب الادارة البلدية ثم فتح المقبرة بعد ذلك للناس وانسحاب فرق البوليس التي لم يبق منها بالمكان سوى متفقد البوليس سولي واثني عشر عونا ، حيث لم يبق ادنى سبب للهيجان فيما يظهر ثم تقدم شيخ المدينة الى المقبرة واحاطت به جموع الأهالي طالبين منه بالحاح كفالة بالكتابة في عدول المجلس البلدي عن التسجيل مع اطلاق سبيل الأنفار الذين القي القبض عليهم قبل ذلك وقد ذكر الحكيم أن كوميسار البوليس « اسبيو » رمي بالحجارة وضرب بالعصي بعد تخليصه شيخ المدينة ، وانه اضطر بسبب ذلك للانسحاب من المكان ثم بين جميع جنايات القتل ومحاولات القتل والسرقات والاعتداءات التي وقعت بجوار المقبرة وبنهج سيدي البشير ونهج بقيرة وباب الجديد مع ذكر أسماء المعتدين والذوات الذين وقعت عليهم تلك الجنايات وكيفية وقوعها وشهادة الشهود الى أن قال :

« حيث ان المتهمين المذكورين القي القبض عليهم من أجل تلك الجنايات اما بمكان القلاقل او بعد مدة ، وحيث انه لا يمكن أن يقوم أدنى ريب في ثبوت التهمة الموجهة عليهم تجاه الشهادات الصريحة المطابقة لبعضها بعضا وهي شهادات وضحت الاعمال التي أتاها كل متهم بارشادات من المستحيل الاسترابة في دقتها أو صحتها .

وحيث ان دعوى بعض المتهمين عدم حضور القلاقل لم تثبت أو ظهر بطلانها
وحيث ان الاعمال التي ارتكبوها تتكون منها الجنايات والجنح المشتركة المنصوص عليها بالمواد 3 ؛ 209 ، 310 ، 313 ، 314 ، 238 ، 230 ، 233 ، 295 ، 304 (الفقرتين الاولى والثالثة) و 379 و 382 من القانون الجنائي .
وحيث ان للجنايات المتعددة التي شارك فيها المتهمون خطارة خاصة بالنظر لمجموعهـا .

وحيث ان هذه الجنايات ــ وان كانت في الحقيقة منسوبة لجمع قليل من الفلتاء والاوباش والمحكوم عليهم سابقا ولا تلقي في الذهن الارتياب في اخلاص الامة الاسلامية التي اظهرت ولاءها واثبتت اخلاصها بحـجج قطعية اثناء القلاقل نفسها لكن قد تبين من تكاثرها وشدة بغض الأجانب والعناد والقساوة التي اظهرها مرتكبوها . كما اتضح ايضا من مجرد التغلب على السلطة والقوة الفرنسية المسلحة ومن قتل او جـرح اعوانها جروحا بليـغة اثناء قيامهم بواجبهم ــ ان تلك الجنايات كانت اشد اعتداء وقع على الامن العام بالمملكة التونسية منذ نصب الحماية .

وحيث ربما كان من الممكن ان مثل تلك الاعتداءات لا تقع لو لم يصادف مطلب التسجيل الذي قدم باسم الادارة البلدية حالة تهيج ناشئة في السكان المسلمين عن الحوادث الخارجة .

وحيث كان من الجائز من جهة اخرى أن لا يكون قد وقع تقديم مطلب التسجيل وإن لا يكون الهيجان قد وجد فرصة للظهور لو استشاروا نواب السكان المسلمين في مناسبة وصحة التسجيل .

وحيث يمكن بلا شك ملاحظة ان نشر مطلب التسجيل بموجب اذن شيخ المدينة واذاعة التحديد بواسطة اعلانات علقت بالمقبرة والاماكن التي يفرهد اليها الناس اعني بصورة غير معتادة ولم يقتضها القانون العقاري كان من شأنهما ان يحمل سواد السكان على الشروح الباطلة والقاء الفزع في القلوب بـلا مـوجب .

وحيث يلوح من جهة اخرى انه كان في الامكان ازالة بعض ذلك الفزع وتكذيب تلك الشروح فعلا لو نشر بمثل تلك السرعة تقرير مفاوضات المجلس البلدي الذي قرر في يوم 2 نوفمبر ابطال مطلب التسجيل احتراما لعواطف المسلمين الدينية بلا شك .

وحيث ان اغتياظ ذوي المقاصد السيئة الذين أتوا الى مقبرة الزلاج يوم 7 نوفمبر ما كان يجد سببا للظهور لو بقي باب المقبرة مفتوحا للعموم ولو تمكن الناس بدل الانفعال الذي حصل لهم خلف صفوف اعوان البوليس من التجول بين المقابر والوقوف بأنفسهم على عدم وجود أدنى علامة تسجيل حتى يتحققوا بذلك بطلان مخاوفهم .

لكن حيث ا نهذه الظروف المتعددة التي مهدت السبل لحوادث 7 نوفمبر لا يمكن ان تسمح في حالة من الحالات وبكيفية عمومية بمنح التخفيف لمرتكبي تلك الجنايات .

ثم ذكرت الحيثيات أن تقديم مطلب التسجيل لم يكن لمطلحة المجلس البلدي او بقصد وضع الادارة البلدية يدها على مقبرة الزلاج ولكن لصيانتها من تعديات الاجوار .وأن في اشتراط الدفن للمسلمين خاصة في مطلب التسجيل دليلاقطعيا على سلامة مقاصد المجلس البلدي الى ان قال :

« وحيث ان للمسلمين كفالة ساطعة ودائمة في الحماية التي تخولها فرنسا للدين الاسلامي في افريقيا الشمالية وفي سهرها على صيانة المقابر والمعالم الدينية الاسلامية .

وحيث ان القانون العقاري يحفظ لكل فرد من ذوي الشان حق القيام لدى المجلس المختلط بدون مصاريف ولا أعمال وبأمن تام على انه كان يسهل ايضا القيام بفائدة لدى الادارة العامة بكيفية سليمة .

وحيث ان عدول المجلس البلدي عن التسجيل — وان كان متاخرا — لكن وقع اعلام الناس به في حالة اجتماعهم بجوار المقبرة يــوم 7 نوفمبر وذلك بواسطة وكيل جمعية الاوقاف والمحركين ومامـــوري ادارة الامثلـــة واعوان البوليس ونواب الادارة البلدية وشيخ المدينة نفسه بحيث ان الهجوم على القوة

المسلحة العامة بمجرد وقوع ذلك الاعلام الحال انه كان في امكان المجتمعين بالمقبرة أن يتحققوا ماديا أن التحديد لم يقع وبسبب ذلك لا عذر لمرتكبي تلك الجنايات •

وحيث انه لا يمكن وجود ادنى سبب يسمح بتخفيف الجنايات التي وقعت على الاشخاص اثناء القلاقل أو بعدها والتي لا يمكن أن تكون مسببة عن تسجيل المقبـــرة •

وحيث انه وان اتضح من بعض الشهادات وخصوصـــا من شهادة عون البوليس « بوجا » أن عيارا ناريا اطلق على الساعة العاشرة صباحا من صحن دار يسكنها ايطاليون وأن المطلق له هو احدهم بلا شك لكن تقرر اثناء المرافعة من جهة اخرى ان تلك الطلقة لم تصب احدا من الاهالي بضرر (1) وحيث لا يمكن على كل حال أن تتخذ عذرا للقساوة والفظاعة التي ارتكب بهما اشقياء من الاهالي وفي جملتهم غالب المتهمين اشد الاعتداءات على كثير من الفرنسويين والطليان كما ان هذه الاعتداءات نفسها لا يمكن أن تبرر أو تقدر الانتقامات التي ارتكبها بعض الطليان نحو الاهالي بدون اضطرار •

وحيث ان الجنايات المعروضة على انظار المحكمة تستلزم زجرا شديدا ، وحيث يوجد مع ذلك ظروف تخفف الجنايات المتعلقة ببعض المتهمين وهم عدد 3 و 12 و 14 و 16 و23و 26 و 27 و 34 و 35 و 39 و 40 و43 و45 و46 و 47 و 48 و 49 و 54 و 56 و 60 و 64 و 66 •

وحيث يلزم بموجب ذلك تخفيف العقاب الذي أستحقه المتهمون المذكورون اعلاه طبق المادة 463 من القانون الجنائي •

لهذه الاسباب صرحت المحكمة بان المتهمين المذكورين اعلاه ارتكبوا حقيقة الجنايات والجنح المنسوبة اليهم والمبينة أعلاه وتقول مع ذلك ان المدعوين محمد بن خميس لاكانجي ــ والطيب بن محمد الغيث العلاسي ــ ومحمد بن الحاج الصادق ــ والمنوبي بن الحاج العربي بن حسن التركي ــ الذين سنهم أكثر من 16 سنة واقل من 18 سنة فعلوا بتمييز •

---

(1) بل قتلت تونسيا ، راجع تعليقنا السابق في هذا الموضوع

وانه لا وجه لاسعاف ادنى واحد من المتهمين بالعذر القانوني المنصوص عليه بالمادتين 100 و 213 من القانون الجنائي .

ويعترف مع ذلك بوجود ظروف التخفيف فيما يخص المتهمين المذكورين أعلاه» وبموجب ذلك اصدرت المحكمة الأحكام التالية على المتهمين .

7 ــ بالاعــــدام

الشاذلي بن عمر القطاري رقم (1) من ابناء العاصمــــة عمره 21 سنة ــ المنوبي بن علي الخضراوي شهر (الجرجار) رقم (2) من ابناء العاصمة عمره (31) سنة ــ عبد الله بن محمد والي رقم (6) من ابناء العاصمة عمره 26 سنة ــ محمد بن علي الشاذلي رقم (8) من أبناء السبالة عمل بنزرت عمره 22 سنة ــ محمد ابن الحاج عبد الله الغربي رقم (11) من أبناء العاصمة عمره 25 سنة ــ محمد بن عبد الله بن عمر القابسي رقم (15) من ابناء قابس عمره 19 سنة ــ الجيلاني بن علي ابن فتح الله رقم (17) من ابناء العاصمة عمره 29 سنة .

1 ــ بالاشغال الشاقة مدى الحيــاة

عبد الله بن يونس درمول رقم (12) من ابناء جربة عمره 22 سنة .

1 ــ بالاشغال الشاقة لمدة عشرين عاما

فرج بن خير السوداني رقم (26) من ابناء السودان (مالي) عمره 27

1 ــ بالاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات

الحاج الصديق بن بلقاسم رقم (27) من أبناء توات عمره 40 سنة .

3 ــ بالاشغال الشاقة لمدة خمس سنوات

محمد بن خميس لاكانجي رقم (3) من أبناء العاصمة عمــــره 2 2سنة ــ بلقاسم ابن علي بن محمد رقم (14) من أبناء الدويرات عمل تطاوين عمره 51 سنة ــ المنوبي بن علي القطاري رقم (22) من ابناء العاصمة عمره 29 سنة .

3 ـ بالسجن المضيق لمدة ثماني سنوات

احمد بن علي بن نصر السبعي رقم (45) من ابناء العاصمة عمره 29 سنة ـ مكور بن محمد الصاح بن سعيدان رقم (46) من ابناء سيسب عمره 34 سنة ـ احمد بن علي الحانبة رقم (47) من ابناء المكنين عمره 57 سنة .

9 ـ بالسجن المضيق لمدة خمس سنوات

حسين بن محمد البكوش رقم (23) من ابناء راس الجبل عمره 31 سنة ـ محمد بن الحاج علي الشريف رقم (39) من ابناء العاصمة عمره 22 سنة ـ محمد بن الحاج محمود الخمار رقم (40) من ابناء العاصمة عمره 27 سنة ـ محمد بن سالم الدويري رقم(48)من ابناء العاصمة عمره(22)سنة ـ الحاج محمد بن محمد التواتي رقم (49) من ابناء توات عمره 30 سنة ـ الطيب بن عمار بن ضو رقم (54) من ابناء العاصمة عمره 26 سنة ـ ابراهيم بن محمد الصلي رقم (56) من ابناء العاصمة عمره 25 سنة ـ رحومة بن مبروك الطرابلسي رقم (60) من ابناء الزاوية الغربية بطرابلس عمره 1 4سنة ـ عبد العزيز بن سليمان بن قدور رقم (66) من ابناء العاصمة عمره 23 سنة .

1 ـ بالسجن البسيط لمدة خمس سنوات

مبارك بن مبروك العائش رقم (34) من ابناء جربة عمره 36 سنة .

4 ـ بالسجن البسيط لمدة عامين

عبد الله بن حمدة بن حمودة رقم (16) من ابناء العاصمة عمره 55 سنة ـ العربي بن حسن التركي رقم(64) من ابناء زغوان عمره 16 سنة ـ جمعة ابن عمران سالم الجربي رقم (35) من ابناء العاصمة عمره 21 سنة ـ محمد بن الحاج الصادق رقم (43) من ابناء العاصمة عمره 25 سنة .

2 ـ بالسجن لمدة ثمانية اشهر

سليمان بن احمد بن جيد رقم (57) من ابناء العاصمة عمره 44 سنة ـ

احمد بن سليمان الزواوي رقم (58) من ابناء العاصمة عمره 22 سنة

3 ــ بالسجن لمدة ستة اشهر

الطيب بن محمد الغيث العلاسي رقم (37) من أبناء الحاضرة عمره 17 سنة ــ مخلوف بن عمر بن علي رقم (65) من أبناء الحامة عمره 24 سنة ــ المنوبي بن الحاج العربي رقم(62)من ابناء الحاضرة عمره (17) سنة

36 ــ بالبراءة وترك السبيل

حسن بن خميس لاكانجي رقم (4) من ابناء الحاضرة عمره 26 سنة ــ محمد ابن عبد القادر البكوش رقم (5) من ابناء الحاضرة عمره 26 سنة ــ محمد بن محمد القروي رقم (7) من ابناء الحاضرة عمره 13 سنة ــ علي بن احمد بن الحاج نصر رقم (9) من ابناء قرماسة عمل مدنين عمره 33 سنة ــ علي بن مسعود بن علي القرماني رقم (10) من ابناء راس الوادي عمل مدنين عمره 29 سنة ــ سالم بن عثمان رقم (13) من ابناء جربة عمره 24 سنة ــ الحطاب بن علي بن قاسم رقم(18) من أبناء سيدي فتح الله من احواز العاصمة عمره 31 سنة ــ احمد بن عمارة ابن‌منصور رقم (19) من ابناء بوعرادة عمره 20 سنة ــ بكار بن علي بن بحار رقم(20) من ابناء مطماطة عمره 23 سنة ــ هتان محمد السعيد بن علي رقم (21) من‌ابناء ايتورار بجرجرة من بلاد الجزائر عمره 51 سنة ــ العمري علي بن محمد رقم (24) من ابناء البقالطة عمل المهدية عمره 72 سنة ــ سالم بن مسعود رقم (25) عمره 36 سنة ــ محرز بن بشير رقم (38) من ابناء العاصمة عمره 15 سنة ــ الحاج محمد بن علي الجبالي رقم (29) من ابناء طبربة من احواز العاصمة عمره36 سنة ــ عبد الحميد بن عبد الله بن علي رقم (30) من ابناء الغرافي منطقة تبسة عمره 21 سنة ــ عمر بن عمر بن التومي رقم (31) من ابناء صدراته منطقة سوق هراس عمره 41 سنة ــ الحاج محمد بن علي بن محمد رقم (32)من ابناء مجاز الباب عمره 36 سنة ــ ميلود بن علي بن صالح رقم(33)من اولاد خاون منطقة تلمسان عمره 55 سنة ــ رابح بن محمد بن علي رقم (36) من ابناء العاصمة عمره 31 سنة ــ صالح بن علي الجلاصي رقم (38) من ابناء العاصمة عمره 17 سنة ــ مصطفى بن محمد بن الطيب رقم

(41) من ابناء غدامس عمره 32 سنة ـ حسن بن بلقاسم بن علي رقم (42) من ابناء غدامس عمره 30 سنةـ محمود بن محمد بن محمود القربي رقم(44)من ابناء قربة عمره 51 سنةـ البشير بن محمد ابن علي الغربي رقم(50)من ابناء العاصمة عمره 25 سنة ـ احمد ابن علي بن بلقاسم رقم (52) من ابناء العاصمة عمره 20 سنة ـ الحبيب بن محمد بن الحاج محمود الخمار رقم (51) من ابناء العاصمة عمره 17 سنة ـ بلقاسم بن احمد بن الحاج العربي رقم (53) من ابناء العاصمة عمره 17 سنة ـ محمد بن احمد بن محمد الجلاصي رقم (55) من ابناء العاصمة عمره 36 سنة ـ محمد ابن سالم بن الحاج العربي رقم (59) من ابناء العاصمة عمره 32 سنة ـ منصور بن علي بن عبد الله الحنشي رقم (61) من ابناء باجة عمره 32 سنة ـ احمد بن محمد بن الشيخ رقم (67) من ابناء سيدي علي الحطاب من احواز العاصمة عمره 20 سنة ـ عمر بن بلقاسم بن سالم الدويري رقم (68) من ابناء الحاضرة عمره 20 سنة ـ ـ عبد العزيز بن عبد القادر رقم (69) من ابناءالعاصمة عمره 19 سنة ـ عبد القادر ابن عمر الشتيوي رقم (70) من ابناء حمام سوسة عمل سوسة عمره 20 سنة ـ محمد بن محمد قاره رقم (71) من ابناء العاصمة عمره 32 سنة ـ محمد بن قدور ابن الصياح رقم (72) من ابناء العاصمة عمره 19 سنة .

صرح في الحكم باسماء (71) متهما فقط وبقي اسم الثاني والسبعين وهو محمد بن احمد بن عمار رقم (63) المتهم بالعصيان وقد سبق ان اشرنا الى انه لم يحضر الجلسات . وان الرئيس اعلن انه مريض . وان وقوفه امام المحكمة سيتاخر الى فرصة اخرى .

وكان الفراغ من تلاوة نص الحكم على الساعة الثانية والربع بعد منتصف الليل اي صباح يوم الاحد 30 جوان 1912

ملاحظـــات

هناك ملاحظات يمكن للقارىء أن يستخلصها من الاستنطاقات والشهادات كان علينا أن نثبتها اثر الانتهاء من الاستماع للشهادات . ولكننا اخرناها الى هذا المكان حتى لا ينقطع الحديث عن المحكمة الى نهايتها .

ونستطيع أن نلخص هذه الملاحظات فيما يلي :

1 — جميع المتهمين كانوا من عامة الشعب ولم يشترك معهم الاعيان والمثقفون . وهو أمر طبيعي بالنسبة للحركات السياسية الاولى ؛ فقد كان ابناء الشعب سباقين دائما الى الحركات الثورية في الكفاح السياسي وكانت الامة مقسمة الى طبقات عليا وسفلى لا تختلط ببعضها الا في مناسبات قليلة . وكان الاعيان والمثقفون يميلون دائما الى الكفاح السلمي بقدر ما يميل أبناء الشعب الى الكفاح الثوري .

ونحن لا ندعي أن حركة الزلاج كانت تلقائية قام بـها الشعب نتيجة ظروف خاصة ولم يشترك فيها الاعيان اذ الواقع أن المثقفين على الخصوص مهدوا لهذه الحركة بالصحافة والمنشورات والدعايات المتعددة غير أنهم لم ينظموا حركتهم بصفة تسمح لهم بالاختلاط بالشعب وبقيادته قيادة حكيمة . وكانت معركة الزلاج هي ناقوس الخطر الذي نبه المثقفين الى وجوب التنظيم ودرس البرامج والاعتماد على القوة الكامنة في الشعب .

بيد أن هذا التنظيم الذي ظهر بعد ذلك في تكوين الحزب الدستوري القديم كان ناقصا نقصا فادحا لتمسك الحزب المذكور بالنظام الطبقي وجعل الشعب وسيلة للتمويل وللعمل خارج نطاق الحزب في الغالب حتى جاء الحزب الدستوري الجديد فاندفع — من أول يوم — ينظم الشعب ويكتل قواه . وكان حزبا شعبيا مائة في المائة وذلك هو سر نجاحه .

2 — ان جميع المتهمين انكروا ما نسب اليهم ولم يشذ منهم واحد عن هذا الموقف . ويظهر لنا أن هذا الانكار راجع الى أمرين :

اولا — أن روح التضحية التي كانت موجودة في الشعب اذا اجتمع يغذيها حماس الاجتماع كانت نادرة في الأفراد وقد استطاعت الحركات الشعبية المنظمة بعد ذلك أن توجدها . وقد ظهرت آثارها في الحركات التحريرية الاخيرة فرأينا أفرادا يقفون أمام المحاكم ليتحملوا ما نسب اليهم في شموخ واعتزاز .

ثانيا — أن الشجاعة وقوة الاحتمال عند المتهمين كانت عظيمة بدليل

اصرارهم على الانكار رغم ما تعرضوا له من تنكيل وتعذيب واهانات .

3 — ان الاروبيين في هذه الحوادث قد سيطر عليهم الحقد وشهوة الانتقام من التونسيين فسلكوا جميع الطرق للانتقام منهم : فمن اطلاق الرصاص على جموع عزلاء الى شهادات كاذبة ، ووشايات دنيئة جرت جماعة من البرآء الى السجن ، والى تسليط تهم مختلفة عليهم .

4 — فساد خطير في أوساط الموظفين والمكلفين بالأمن بالخصوص ؛ فقد فضحت الاستنطاقات أن البوليس الاستعماري استغل الحادث الى اقصى حد فسلب أموال الناس بالباطل وكان للرشوة سوق نافقة حتى ان كثيرا من البرآء قدموا للمحاكمة لأنهم لم يدفعوا المبالغ المطلوبة منهم .

5 — ان المحكمة حاولت جهد المستطاع أن تورط كلا من شيخ المدينة والسيد عبد الجليل الزاوش في القضية ، وأن تجد سبيلا لاتهامهما باشعال نار المعركة؛ لانها فهمت انهما يعارضان مسألة تسجيل المقبرة . وقد ظهرت معارضة الاول في الدعاية الواسعة التي قام بها في أوساط الشعب للاجتماع بالمقبرة والمعارضة في التسجيل . وحاولت أن تجعله مسؤولا عن عدم ابلاغ الناس قرار العدول عن التسجيل لولا أن عارضتها عقبة حالت دون حصول شيخ المدينة في الفخ ، وهذه العقبة هي عدم علمه بمطلب التسجيل بالرغم من أنه رئيس البلدية . وكانت رئاسته اسمية وكاهيته الفرنسي هو المتصرف الحقيقي في البلدية بدون معقب ، ثم عدم ابلاغه قرار الابطال الا في آخر لحظة مما لم يتمكن معه من الاتصال بالناس .

وأما الثاني فقد ظهرت معارضته في طلب ابطال التسجيل في اجتماع المجلس البلدي يوم 2 نوفمبر . وقد حاولت المحكمة أن تتشبث باشاعات ملفقة اختلقها له الم . « دي كرنيار » اكبر الرؤوس الاستعمارية وصاحب جريدة « المعمر » لسان المعمرين الفرنسيين الذي كان يحقد عليه بسبب انتمائه لجمعية الشبيبة التونسية ولحماسه في جمع الاعانات للمجاهدين الطرابلسيين . ولكن الابحاث لم تستطع اثبات تلك الاشاعات . وقد تبين أنه حاول نشر قرار الابطال بالصحافة فامتنعت من نشره . وكان ذلك حسب المظنون بسعي من كاهية البلدية وأعضاده الراغبين في التسجيل . وعلى كل فا ن المحكمة قد فشلت في

محاولتها هذه . ولو اننا نستنتج من سير المحاكمة أن الرجلين لم يكونا بعيدين عن هذه الواقعة وانهما كانا يعارضان التسجيل وعملا على ابطاله ، واستطاعا أن يكون عملهما متماشيا مع القانون .

6 — ظهر من سير المحاكمة ما كان يتمتع به الكاتب العام الفرنسي من سلطة واسعة بحيث يعتبر المرجع الوحيد في جميع الشؤون الادارية والسياسية ، وأن السلطة التونسية من الباي الى شيخ المدينة كانت مجرد وظائف اسمية ليس لها حول ولا طول ، وأن السياسة المتبعة لم تكن سياسة بلد تحت الحماية وانما هي سياسة مستعمرة من المستعمرات التي تحكمها السلطة الفرنسية بدون أن يكون هناك أي حق لاهلها في شؤونها ، فالحكم الاعلى في البلاد هو المقيم العام والمشرف على تسيير السلط الادارية والقضائية هو الكاتب العام حتى ان تونسيين لهم شخصيتهم وجنسيتهم الخاصة يقدمون الى المحاكم الفرنسية ، واذا حكم على أحدهم بالاعدام ، وطلب العفو ، فان هذا الطلب لا يقدم الى الباي ولا يسمع به حتى مجرد سماع بل يقدم الى رئيس الجمهورية الفرنسيـــة .

7 — تعتبر معركة الزلاج مظهرا من مظاهر الوحدة الافريقية ووحدة المغرب الكبير بالخصوص فقد رأينا بيـن المتهمين التونسي ، والجزائري ، والليبي ، والسوداني ، وهكذا تبرهن الوقائع أن سكان هذا المغرب متحدون في السراء والضراء وأن الحدود المفتعلة التي كونتـها أحداث الزمن لا تلبـث المآسي والفواجع مثل مأساة الزلاج أن تظهرها على حقيقتها ، وأن تبين أن سكان هذا المغرب هم اخوة لا تلبث الحدود أن تنهار أمام اخوتهم هذه في أقل المناسبات .

تعقيـب الحكـم ورفضه

واثر صدور الحكم المنشور نصه سابقا اعترض جميع المحكوم عليهم على الاحكام الصادرة وطلبوا بالاجماع تعقيبها .

وكانت أحكام المحكمة الفرسية تعقب لدى دائرة النقض والابرام بالجزائر لعدم وجود محكمة من هذا النوع فارسلت الملفات الى الجزائر .

وفي أواخر شهر أوت 1912 رفضت محكمة التعقيب بالجزائر مطالب المتهمين مؤيدة الاحكام الصادرة بتونس .

طلـــب العفـــو

وازاء رفض تعقيب الاحكام لم يبق امام المحكوم عليهم بالاعدام الا طلب العفو وطال انتظار الرد مما احيى الأمل في نفوس المحكومين

وفي يوم الثلاثاء 22 اكتوبر 1912 تلقى وكيل الجمهوريـــة العام لدى محكمة التعقيب بالجزائر رد رئاسة الجمهورية وفيه رفض العفو على المتهم رقم (1) الشاذلي بن عمر القطاري ، وعلى المتهم رقم (2) المنوبي بن علي الجرجار . وفيه الاذن باجراء التنفيذ عليهما بالاعدام . ورجعت الملفات من الجزائر الى تونس ، وتأيد الاذن بالتنفيذ بالتعليمات الخاصة الواردة مـــن وزارة العدل الفرنسية الى وكيل الجمهورية بالمحكمة الفرنسية بتونس الم . « ريفردان » .

اما الخمسة الباقون المحكومون بالاعدام فقد ابدلت احكـــامهم بالاشغال الشاقة المؤبدة وارسلوا مع كثيرين آخرين الى « كيان » المستعمرة الفرنسية بامريكا الجنوبية .

تنفيـــذ الاعـــدام

في مساء الاربعاء 23 اكتوبر كان احد محافظي الشرطة وثلة من البوليس السري ينتظرون القطار القادم من الجزائر بمحطة القطارات بتونس .

ووصل القطار ونزل منه رجل فرنسي معه بعض الاعوان الفرنسيين أيضا ، فتلقاهم محافظ الشرطة واحتفى بهم ولا يدري احد ان ذلك القادم هو الم . « لابيار » منفذ احكام الاعدام الذي يطلق عليه التونسيون اسم « باشاطر » أرسلته الحكومة الفرنسية من الجزائر لقطع راسي القطاري والجرجار .

وفي صباح الخميس 24 اكتوبر قابل الضيف البغيض وكيـــل الجمهورية بالمحكمة الفرنسية ليطلعه على التدابير المتخذة بشأن التنفيذ وليتســـلم منه جدولا منظما خاصا بتنقلاته وسلمت من جهة اخرى تعليمات مدققة الى مدير الامن بشان التدابير اللازم اتخاذها وقت التنفيذ وفي مكانه خوفا من حدوث تشويش او تظاهر والتدابير اللازمة لحفظ شخص « لابيار » من اعتداء متوقع فتحول الم . « لايال » مدير الأمن الى قائد الحامية العسكرية ليتفق معه على فرقة الجيش التي ستوضع على ذمته قبل التنفيذ لحماية المكان .

وفي مساء ذلك اليوم (الخميس) وصلت في قطار الجزائر آلة التنفيذ المرسلة بخصوص هذ هالمهمة ، وهي مقصلة ضخمة ذات موسى لقطع رؤوس المحكومين .

وبالرغم من الجهود التي بذلت في المحطة لاخفاء هذه الآلة فقد تفطن السكان لوجودها وأدركوا الغرض من جلبها .

وفي صباح يوم الجمعة 25 اكتوبر تلقى وكيل الجمهورية من الكاتب العام للحكومة التونسية اعلاما بوضع بطحاء باب سعدون التي اختيرت مكانا للتنفيذ على ذمته مع بيا نالمكان المعد لنصب الآلة ولتدابير الأمن المقررة في هذا الشأن

في باب سعدون

وفي مساء ذلك اليوم (الجمعة) اغلقت المقهى الموجودة هناك بأمر من ادارة الامن . وكانت جماعات من المتطلعين أغلبها من الاروبيين ترود المكان واحتلوا ابتداء من الساعة الحادية عشرة ليلا الجدران والسطوح والأشجار المجاورة للبطحاء ، كما انتصبتفرقة من جنود الزواف أحاطت بالبطحاء شاكية أسلحتها تحت أمر محافظ الشرطة الم . « اسبيو » الذي وصل المكان في الساعة الحادية عشرة ليلا مصحوبا بفرقة من أعوان الامن .

وحوالي منتصف الليل وصلت المقصلة ووضعت في مكانها من البطحاء وشرع الباشاطر « لابيار » واعوانه في اعدادها وتهيئتها للعمل واستغرق ذلك منهم نحو أربع ساعات .

وحوالي الساعة الرابعة من صباح يوم السبت 26 اكتوبر وصلت المكان قوات جديدة من الشرطة وفرقة ثانية من الزواف وفرقتان من الخيالة (الشاسور دافريك) فحاصروا البطحاء من كل مكان وأقاموا السدود في جميع المنافذ المؤدية الى المكان وأبعدوا المتفرجين ولم يرخص الا للأشخاص الذين يحملون رخصا خاصة لحضور عملية التنفيذ كالصحافيين وبعض الأطباء والمحامين . وانتظر الجميع وصول المحكوم عليهما في طقس بارد وجو قلق .

في السجن المدني

اتخذت احتياطات صارمة بالسجن المدني لعدم تسرب اي نبا للمحكوم عليهما،

ولا اي علم بقدوم المقصلة وصاحبها « لابيار » من الجزائر بحيث لم يتفطن أحد من سكان السجن لما يجري منذ ثلاثة أيام واقتصر العلم بذلك على مدير السجن الم . « دافير » ونائبه الم . « فيزيان » .

وفي الساعة الخامسة صباحا وصل الى السجن الم . « لايال » مدير الأمن وبعد خمس وأربعين دقيقة وصل وكيل الجمهورية مصحوبا بحاكم التحقيق الم . « قلتيى » المكلف بتلقي التصريحات الأخيرة للمحكـوم عليهما وبالمترجم العدلي الم . « ابريبا » وكاتب المحكمة الاول ألم . « موباك » كما وصل الى السجن المحامون « ستالا » — و « بورديون » — و « بروال » — الذين كانوا تولوا الدفاع عن المتهمين .

وكان السجن المدني في تلك الليلة مخفورا بنصف كتيبة من جند المشاة وفيلق من الخيالة ونصف فرقة من أعوان الامن .

واذن وكيل الجمهورية بايقاظ المحكوم عليهما وتقديمهما اليه . وقد كانا مطمئنين حيث زرع الحراس في قلبيهما الامل بايهامهم لهما بأن التنفيذ سوف لن يقع لتاخره عن موعده كثيرا .

وأدخلا على وكيل الجمهورية في احدى قاعات السجن فاعلمهما برفض مطلبهما في العفو ، وأن عليهما أن يتاهبا لملاقاة ربهما بشجاعة وصبر . واثر قيام المترجم بترجمة هذه الكلمات ثارت ثائرتهمـا وصرخا في وجـه وكيل الجمهورية محتجين ، ثم أعلمهما انه وضع امام من جامع الزيتونة على ذمتهما اذا كانا يحتاجان لذلك .

وغادر وكيل الجمهورية واعضاده القاعة ليدخل عليهما الباشاطر « لابيار » واعوانه ليصلحوا شانهما (؟) .

وبعد الساعة السادسة بقليل خرجت من السجن المدني عربة تحمل المحكوم عليهما محاطة بأعوان الجندرمة وبسماطين من جـند الخيالة وقصدت باب سعدون حيث وقفت قرب المقصلة .

158

التنفيذ

وحوالي الساعة السادسة واربعين دقيقة تقدم « الباشاطر » واعوانه الى العربة التي انفتح بابها ونزل منها الشاذلي بن عمر القطاري ، وكان وجهه ترابي اللون الا انه متماسك فرفعه الاعوان الى المقصلة ومد رأسه لتنزل عليه الموسى الضخمة بسرعة فيسقط الراس في السلة المعدة لذلك



المقصلة

ورجع الاعوان الى العربة لينقلوا المنوبي الجرجار ، وكان كصاحبه شاحب

اللون . وتقدم الى الآلة الرهيبة وفي أقل من دقيقة سقط راسه في السلة مع راس صاحبه رحمهما الله رحمة واسعة .

في مقبرة سيدي عبد الرحمان

واثر التنفيذ تفرق الناس وحملت الجثتان مع راسيهما بسرعة الى مقبرة باب سعدون (مقبرة سيدي عبد الرحمان) وهناك سلمتا الى عائلتيهما لتتوليا دفن الشهيدين (1) .

أم الجرجـــار

ولم تكد ترى السيدة « بية » أم المنوبي الجرجار جثة ولدها مقطوعة الراس حتى صرخت وولولت ، وحاول الناس مواساتها وتهدئة نفسها وارجاع عقلها اليها ، ولكن هيهات ! فقد كانت الصدمة أعظم من أن تتحملها امرأة ضعيفة ففقدت عقلها الى الابد وعاشت بقية حياتها معتوهة تسأل في كـــل مكان من يقابلها عن ابنها « المنوبي » . اين هو ؟ هل قابله احد ؟ لماذا لم يرجع الى امه ؟حتىانعم الله عليها فاراحها من الحياة التي لا طعم لها ولا لون ، ومن النظر الى وجوه المجرمين العتاة الذين خطفوا ابنها وفصلوا راسه وسلموه لها على تلك الحالة البشعة دون أن تتحرك الانسانية في ضمائرهم السوداء .

(1) اختصرنا وصف التنفيذ عن جريدة الدبيش بتاريخ 26 اكتوبر 1912

ذيول المحاكمة

ولم تنته معركة الزلاج بانتهاء محاكمة المتهمين الاثنين والسبعين • بل بقيت لها ذيول اخرى جرت الى محاكمات اخرى متـــعددة وصدور احكام بالاعدام والاشغال الشاقة والسجن بانواعه • وزرعت بذورا في النفوس ادت الى احداث جديدة واساليب جديدة في مكافحة الاستعمار واعوانه . ونتج عن هذه الاحداث انواع جديدة من الانتقام من الوطنيين •

ونحن نذكر بعض هذه الذيول من حوادث ومحاكمات ونفي خارج البلاد وابعاد الى قارات اخرى مختصرين هذه الاحداث ما استطعنا الى الاختصار سبيلا ــ ضاربين صفحا عن بعضها اذ لو تتبعنا جميع هذه الذيول صغيرها وكبيرها لاحتجنا لمجلد ضخم وجهود ضخمة • ولعل من ياتي بعدنا من مؤرخي الكفاح الوطني في هذه البلاد يستطيع أن يكمل النقص ويتم التوضيح والشرح .

1 ــ قضية الاصـم

استرسلت المحكمة الجنائية الفرنسية تنظر في قضايا متفرقة كان المتهمون فيها من ابطال واقعة الزلاج . ولا ندري السبب الدي دفع المحكمة لافراد هذه القضايا عن القضية الاولى الكبرى السابق ذكرها مع أن تاريخ الوقائع واحد ، والدوافع واحدة ، والتهم متحدة الا ان تكون المحكمة راعت اختلاف الامكنة فان الحوادث في القضايا الآتية لم تقع في جهة الزلاج والأمكنة القريبة منه وانما وقعت في امكنة اخرى من العاصمة .

واول هذه القضايا المنفردة قضية « البكوش » وهو العربي بن علي الجويني عمره 20 سنة ، أصم ابكم ، كان التحقيق معه والاستنطاق بالاشارة ! التي نظرت فيها المحكمة في جلستها المنعقدة يوم الخميس 4 جويلية 1912

وصورة التهمة انه على الساعة الثانية بعد زوال يوم 7 نوفمبر هاجم جمع من التونسيين في « نهج عبد الوهاب » ايطاليا يسمى « غيلي فرتناتو » فضربوه بالاحجار والعصي . وفي تلك اللحظة فتح باب محل هناك وخرج منه المسمى البشير بن بشر فحمى الايطالي من مهاجميه وردهم عنه ، وادخله الى منزله وقال هذا الشاهد انه راى « البكوش » مع المهاجمين ولكنه لم ير مشاركته في

الضرب . ورد المتهم الابكم (بالاشارة) بأنه حضر الواقعة متفرجا فقط . ولكن المحكمة اخذت بشهادة حسن بن بشر ابن الشاهد الاول — وهو شاب صغير — الذي شهد بان « البكوش » ضرب الايطالي فحكمت على الشاب الابكم بالسجن المضيق لمدة خمسة اعوام .

2 — قضية نوبيــل جوزاف

وفي يوم السبت 6 جويلية نظرت المحكمة الجنائية في قضية قتل الايطالي « نوبيل جوزاف » الذي قتل بنهج حــمام الرميمي (منطقة بــاب السويقة) بالعاصمة على الساعة الثامنة من صباح يوم 8 نوفمبر 1911 ، والمتهم فيها محمد بن الحاج بريك شهر « الاسود » .

وصورة التهمة : ان القتيل « نوبيل جوزاف » الايطالي كان في الساعة الثامنة من صباح يوم 8 نوفمبر مارا بنهج حمام الرميمي اذ هاجمه المتهم وطعنه بسكين في بطنه طعنة مات منها بعد زوال يوم 9 نوفمبر اثر العملية الجراحية التي اجريت له . وقد صرح القتيل — اثر طعنه — أن الطاعن له شاب تونسي فر الى فندق مجاور للمكان . واسرع البوليس يبحث حوالي المكان فشهد صاحب الفندق انه راى المتهم في ذلك الصباح يتمشى أمام فندقه بالنهج ولكنه لا يعرف اذا كان هو الطاعن او غيره ، كما شهد محمد بن احمد الجمالي بانه رأى المتهم يمشي وراء الايطالي القتيل . وعند مجاوزته له رأى الايطالي يسقط وهو يظن انه القاتل ولكنه لم ير كيفية القتل ولا رأى السلاح المستعمل . وبهذه المعلومات القي القبض على المتهم الذي أنكر التهمة .

وجاء في مرافعة المدعي العمومي انه من الصعب الحصول على بينة أوثق من شهادة الشاهدين المذكورين مع عدم استطاعة المتهم دفــع التهمة بوجه مقبول ولا بيان السبب الذي حمل الشهود على اتهامه .

ودافع عن المتهم المحامي « بروال » بأن منوبه لم تــقم بينة على ارتكابه للجريمة وشهادة شخص واحد رأى المتهم يمشي بجانب القتيل حين سقط هذا ولم يشاهد السلاح المستعمل باطلة لا يعمل بها ، خصوصا وقد كان في ذلك الوقت والمكان اناس كثيرون فكيف لم يشهد الجناية غير هذا الشاهد ، فلم يبق حينئذ الا الشك في ارتكاب المتهم للجناية والشك ينتفع به المتهم .

وحكمت المحكمة على المتهم بالاشغال الشاقة مدى الحياة .

3 ــ قضية الكولونيل فانيــــل

ونظرت المحكمة الجنائية الفرنسية ايام 5 ــ 6 ــ 7 أوت 1912 في قضية مقتل الكولونيل « فانيل » الذي قتل يوم 7 نوفمبر 1911 حوالي الساعة الواحدة بعد الزوال بمنطقة باب سويقة والمتهمون في هذه القضية تسعة من التونسيين نسب اليهم قتل الكولونيل وجرح خمسة من الأروبيين في منطقة باب السويقة والحلفــــاوين .



دي كرنيار ــ راس الاستعمار ــ يرثي الكلونيل فانيل يوم دفنه

والمهتمون هم :

ــ عبد الله بن جاء بالله بن عايش
ــ عمر بن مبروك بن الحاج عثمان
ــ محمد بن قدور الصياح (1)
ــ محمد بن محمد قارة (1)
ــ عبد القادر بن عمر الشتيوي (1)
ــ محمد بن محمد الجشور

«1» يلاحظ ان هؤلاء الثلاثة كانوا من جملة المتهمين في واقعة الزلاج التي سبق الحديث عنهــا وحكم عليهم فيها بالبراءة

ـ علي بن احمد الساحلي

ـ علي بن عطية بن سعد

ـ حسن بن محمد بن حسن

اما المحامون المعينون للدفاع عن المتهمين فهم :

ـ قنفل ـ سكردينو ـ شمامة ـ تيوبرات ـ اوغيست بسيس .

وقد جاء في مرافعة المدعي العمومي في هذه القضية : ان غالب المتهمين لهم سوابق عدلية والبقية الباقية غمسوا أيديهم في هذه الجرائم من اجل تعصبهم الديني ! ؟

وبعد أن أعلن أنه لا يريد اعتبار شهادة الشاهد الجيلاني الذي لا يعرف هل قال الحقيقة ؟ أو أنه من الشهود المغرورين ؟ قال : ان بقية الشهادات لها وزنها واعتبارها فان المتهم عبد الله بن جاء بالله ثبتت معرفته من طرف المعتدى عليهما الم . « كاميري » ومدام « سولي » والمتهم عمر بن مبروك ثبتت معرفته من المذكورين ايضا ومن عون البوليس « فييري » الذي شاهده بين المعتدين على الكولونيل « فانيل » والمتهم محمد بن قدور تعرف عليـه العون المذكور ايضا ، والمتهم محمد قارة عثر عليه العون المذكور ايضا حاملا عصا غليظة ، والمتهم عبد القادر الشتيوي شهد عليه العون المذكور بانه حاول أن يخلص منه محمد قارة ، والمتهم محمد الجشور شهد عليه العـون المذكور بحالة مماثلة لصاحبه قبله ـ اما المتهم علي بن احمد فالبرغم من ماضيه السيء فلا يوجـد شيء ضده سوى شهادة الجيلاني التي رفض الادعاء العمومي اعتبارها واخيرا المتهمان علي بن عطية وحسن بن محمد . فليس ضدهمـا الا شهادة بان المتظاهرين كانوا يحملون العصي من دكانهما .

وبالرغم من ان الجرحى من الايطاليين لا توجد شهادة تدل على ان هؤلاء المتهمين هم المعتدون عليهم سوى شهادة الجيلاني المرفوضة فـان المدعي العمومي حاول في مرافعته ان يثبت ان المتهمين هم المعتدون على الكولونيل وعلى الم . « كاميري » ومدام « سولي » وعلى الايطاليين ايضا ، وان أعمال العنف كلها في منطقة باب سويقة والحلفاوين قامت بها عصابة واحدة تتكون من المتهمين الموجودين .

مرافعـــة الدفـــاع

المحامي سكرديno — ركز دفاعه على الرد على طلبات المدعي العمومي الذي طلب لمنوبه عبد الله بن جاء بالله حكم الاعدام ذاكرا ان منوبه لا يوجد اي شخص قادر على اثبات وتعيين الدور الذي قام به في هذه الوقائع . وحتى شهادة كاميري ومدام « سولي » مشكوك في صحتها اذ ان تاثرهما من رؤية جماعة تطاردهما للبطش بهما ربما دفعهما لتعيين ابن جاء بالله وغيره غرضا وتشفيا — (والنفس امارة بالسوء) وحيث ان الشك يكتنف هذه القضية وهذه الشهادات فان طلب حكم الاعدام يصبح لا مبرر له ، اذ لا يمكن قانونا أن ترتكز هذه العقوبة على مجرد التخمين والافتراض وما دامت الادانة لم تثبت بصورة قطعية فانه يطالب باطلاق سبيل منوبه .

المحامي شمامة — جاء في دفاعه عن منوبه محمد بن قدور : ان مدام «فانيل» لم تات الى المحكمة اخذا بالثار لزوجها وانما اتت تطالب بالاقتصاص من المتعدي الحقيقي على زوجها ، واين هو المعتدي الحقيقي ؟ فالشهادات غير قطعية وغير واضحة والارشادات السيئة عن منوبه المعطاة من طرف الشرطة غير حقيقية فبطاقة سوابقه العدلية لم تشمل اي حكم ضده .

الحكـــم

وصدرت عن المحكمة اثر المفاوضات على المتهمين الاحكام التالية :

عبد الله بن جاء بالله بن العائش : الاعدام

عمر بن المبروك بن الحاج عثمان : الاعدام

محمد بن محمد قارة : الاشغال الشاقة مدى الحياة

محمد بن قدور الصياح : الاشغال الشاقة مدى الحياة

محمد بن محمد الجشور : الاشغال الشاقة لمدة 15 عاما

عبد القادر بن عمر : الاشغال الشاقة لمدة 15 عاما

علي بن عطية بن سعد : : البراءة وترك السبيل

حسن بن محمد بن حسن : البراءة وترك السبيل

علي بن احمد الساحلي : البراءة وترك السبيل

قضايا ضد الايطاليين

ونظرت المحكمة الجنائية الفرنسية في قضايا بعض الايطاليين المتهمين بقتل وجرح بعض التونسيين في معركة الزلاج وتوابعها . وكان التمييز العنصري قد تجلى في أعظم مظاهره شناعة في هذه المحاكمات فكان يظهر — في الغالب — الايطاليين ضحايا مساكين لتعصب المسلمين الديني ضدهم ، أما التونسيون فمجرمون سفاكون ، بحيث لم تنل عقوبة الاعدام أي ايطالي بالرغم عن الشهادات الكثيرة القائمة ضد الايطاليين الذين كانوا سببا في تطوير الفتنة بغدرهم للتونسيين من الخلف ، زيادة على أن الصحافة الفرنسية كانت لا تتعرض لهذه المحاكمات الا بكلمات مختصرة وفي لهجة فيها كثير من العطف عكس ما رأيناه فيها من حماسة ضد المتهمين التونسيين .

وقد عثرنا في بحثنا بين مجموعات الصحف القديمة على بعض هذه المحاكمات نقتصر منها على قضية واحدة كانموذج أخبرت عنها جريدة الدبيش في أسطر قليلة . هذه الجريدة التي كانت تنشر المقالات المطولة عن محاكمات

التونسيين ، وليس من الغريب أن تقتضب جريدة الزهرة أيضا هذه المحاكمة. فتخصر مختصر الدبيش فهي جريدة اخبارية تحت سوط الرقابة العسكرية التي سمحت لها بالبقاء دون بقية الصحف التونسية ، وعاش من عرف قدره فجلس دونـــه !!! .

في يوم 9 اوت 1912 نظرت المحكمة الفرنسية في قضية الايطالي « مياوري فيتو » المتهم بطعن زنجي يسمى سعد بن فرج بسكين يوم 1 مارس 1912 وكان من حسن حظ المعتدى عليه ان السكين وقع بجنبه على احد ضلوعه فصده عن النفوذ الى الامعاء، واعترف المتهم بالجناية وعللها بأن الزنجي حاول الاعتداء عليه فدافع عن نفسه ، وحضر الجريح وصرح بانه لم يصدر منه شيء نحو المتهم ، بل انه تلقى الطعنة وهو غافل وبذلك شهد الشهود . ورافع المدعي العمومي فطالب بتشديد العقاب على المتهم ملاحظا أن المـــحكمة كانت قامت بواجبها ازاء المتمردين من الاهالي ! فعليها أن تعامل بمـــثل تلك الشدة هذا الاروبي الذي اساء السلوك (كذا) .

ودافع عن المتهم « درمون » قائلا : ان العدالة لا تنظر الى الجنسيات ، وحاشا هذه المحكمة أن تميل الى الانتقام ! فالمتهم اما أن يكون جانيا ، اولا واذا رات المحكمة ثبوت الدعوى فعليها أن تراعي ظروف التخفيف لحداثة سن المتهم (18 عاما) .

وحكم على الجاني بالسجن المضيق لمدة خمس سنوات وبالابعاد لمدة عشر سنوات وخرج المتهم من القاعة شامخا ساخطا على المحكمـــة يتطاير شرر الغضب من عينيه كانه كان يتصور ان المحكمة ستبارك عمله وتطلق سبيله ، وماذا في ذلك ؟ انه لم يفعل اكثر من انه حاول قتل عربي اسود ، حشرة من الحشرات كما كانت تصف التونسيين جريدة الاستعماريين «لاتونيزي فرانسيز» واعترضت طريقه أمه فحاولت ان تقبله فلكزها في عنهجية وتوحش .

ابعـــاد الـــى مستعمـــرة « كايان »

وحصحصت المحكمة ملفاتها وعقبت بعض الاحكام وانتهى التعقيب بالرفض في الغالب ، واختارت السلطة جماعة كبيرة من المحكومين بالاشغال الشاقة

فاركبتهم في البحر الى مستعمرة « كايان » باميركا الجنوبية وهناك قضوا عقوباتهم في الاعمال الشاقة وسط الغابات المليئة بالوان المو تىوالرعب . وكانت هذه المستعمرة قد اتخذت منها فرنسا مكانا للمجرمين والسفاكين والجناة والعتاة من جميع الاجناس التي قدر لها أن تقع تحت سيطرتها فمات من التونسيين جماعة واستوطن بعضهم المستعمرة او خرج منها الى بعض الاراضي الاجنبية ولم يرجع الى بلده ورجع البعض الى بلاده اما باتمام عقوبته او بصدور عفو عنه .

ومن المعروف أن من الراجعين الى وطنهم الجيلاني بن فتح الله المحكوم عليه بالاعدام في قضية الزلاج والذي أبدل حكمه بالاشغال الشاقة المؤبدة . وقد عرفه الناس متسوغا غرفة بالفندق الكائن بنهج الفلة . وقد حج مرتين وكان يقص على التونسيين أنباء الاهوال التي رآها بمنفاه وكيف تزوج هناك واخلف ولدين تركهما هناك وحن الى وطنه ولم يعرف منذ فارقهما من اخبارهما شيئا (1) وتوفي الجيلاني بن فتح الله في اواخر سنة 1959 في فندق بباب الفلة شيخا كبيرا يبلغ عمره حوالي 78 عاما بعدما انعم الله عليه بمشاهدة استقلال بلاده في حياته .

---

(1) انظر تصريحات العم خميس البطيخ في فصل سابق

الفصل الخامس

حادثة مقاطعة الترام

ومن ذيول معركة الزلاج حادثة مقاطعة الشعب لركوب الترام الكهربائي بالعاصمة الذي تديره شركة فرنسية .

وقد نبهنا سابقا الى ان هذه الشركة كانت تسلك مع حرفائها من المواطنين مسلكا شائنا ؛ فقد كانت لا تستخدم في أعمالها الا الأجانب وحتى الاقلية من مستخدميها من التونسيين كانت تعاملهم معاملة شاذة فاجورهم لا نسبة بينها وبين اجور المستخدمين الاجانب ، والترقيات مقصورة على هؤلاء دون أبناء البلاد ، زيادة على المعاملة السيئة التي كانوا يلاقونها من رؤسائهم من أعوان الشركة . ولهذا كان التونسيون يكرهون هذه الشركة ويبغضون مستخدميها ولذلك ايضا لم تكد تظهر الاشاعة القائلة بان البلدية انما عمدت لطلب تسجيل مقبرة الزلاج لتقتطع منها جزءا لبناء خط حديدي لشركة الترام ، حتى زاد غضب الشعب وقويت شوكة معارضته .

ولما كان غالب مستخدمي الشركة من الايطاليين ومنهم كثير من الفلتاء والنفايات وكانت حرب طرابلس في شدتها ، عمد أولئك الاشقياء الى اغاظة ابناء الشعب واهانتهم فكان فلتاؤهم يؤذون الركاب التونسيين بالكلمات البذئية ، ويثيرون حفائظهم بالسخرية من المجاهدين الطرابلسيين ومن يساعدهم من المسلمين ،الى آخر هذه الاعمال الصبيانية .

بل ان بعض السواقين كان يتعمد السرعة في الاحياء الاسلامية حتى يحدث الرعب والتشويش في المارين . وقد آلت هذه السرعة احيانا الى دوس بعض الاشخاص .

واشتدت الازمة بين الشعب والشركة فادت الى مقاطعة الركوب في عرباتها على اثر حادثين مؤلمين .

الحادث الاول — أن امرأة اجنبية كانت راكبة عربة التـــرام وكثر الزحام حولها فتأففت من الركوب مع التونسيين ونزلت من الترام قائلة باعلى صوتها : « ان الركوب أصبح لا يطاق مع هؤلاء « المقملين » اي الذين يكثر القمل في ثيابهم » فسمعها أحد الوطنيين فخطب بذلك في أحد المساجد ونادي بمقاطعة الركوب في الترام فتعاضد المصلون على ذلك . ودعوا الله ان يصيب المخالف بالشــــر (1)

الحادث الثاني — أن الترام كان يجري بسرعة في نهج باب سعدون فداس غلاما تونسيا يوم 8 فيفري 1912 فقتله . واتخذ الوطنيون من هذا الحادث مادة للدعاية ضد الشركةفأم الشعب المساجد ليستمع الى الخطب الملتهبة وليعاهد على المقاطعة . وهكذا اعلنت المقاطعة الاجماعية يوم 17 فيفري 1912 (2)



الترام يتجول خاليا من الركاب محروسا بالبوليس

ونجحت المقاطعة الى أبعد حد نجاحا لم يكن متوقعا . وخلؤ الترام خلوا تاما من الركاب الا قلة من الاروبيين كانوا يتحامون ركوبه في الاحياء الاسلامية

«1» روى لنا هذا الحادث بعض الشيوخ الاحياء اليوم

«2» جريدة ((التونسي » عدد 66 ، انظر الفصل في الخاتمة ، ويقول الشيخ الفاضل ابن عاشور في كتابه « الحركة الادبية والفكرية في تونس » انها اعلنت يوم 9 فيفري ، انظر كلامه في الخاتمة ايضـــا .

خوفا من التعرض لمناوشات الصبيان وكلماتهم الجارحة . واستمرت المقاطعة وطال امدها . واصبحت الشركة مهددة بالافلاس والانهيار فاستنجدت بالسلطة الفرنسية فتداخلت هذه في الموضوع باللين اولا ثم بالتهديد والوعيد . وازاء استحكام الازمة اتفق زعماء الحركة على تقديم مطالب الى الشركة يتوقف التراجع في المقاطعة على قبولها . وتشكلت لهذا الغرض لجنة من نخبة محرزين ثقة مواطنيهم فبذلوا مجهودهم في احكام وتنظيم مطالب المسلمين سعيا وراء تحقيقها . ولكي تظهر اللجنة أنها ليس لهانية في مناواة الفرنسويين،قررت من نفسها اناطة رئاستها بعهدة المحامي الاستاذ « دستري » الفرنسي (1) مدير جريدة « الكوريي دي تونيزي » وعضوية السادة : علي باش حانبة ، حسن قلاتي ، احمد الصافي ، محمد نعمان ، الشاذلي درغوث ، محمد العروي .

خلاصة المطالب

واتفقت اللجنة أن تعرض على الشركة المطالب الآتية :

1 — يضرب للشركة أجل شهر لطرد العمال الايطاليين عدا الكمية النسبية التي يقع تعيينها وتعويضهم بعمال آخرين من الفرنسيين والتونسيين وتتعهد الشركة بتعيين مستخدمين فرنسيين وتونسيين في الاحياء الاسلامية ، خصوصا في نهج باب سعدون

2 — مساواة كافة العمال في الاجور والمرتبات والترقيات بدون فرق ولا ميز في الجنسيات . وهذا المطلب يجب الشروع في تنفيذه حالا .

3 — تخفيض السرعة في الحارات العربية ، خصوصا نهج باب سعدون ووضع مراقبة مشددة على ذلك من طرف الوطنيين والشركة .

4 — الزام الشركة بالعمل بمقتضى كراس الشروط المحرر بينها وبين ادارة الاشغال العامة خصوصا عدم حرمان الصحفيين التونسيين من منحة الركوب المجاني أسوة بزملائهم الاروبيين .

5 — كتابة كافة العناوين وأسماء المواقف والمحطات والارشادات باللغتين العربية والفرنسية (كانت لا تكتب الا بالفرنسية فحسب)

(1) جريدة التونسي عدد 66 بتاريخ 1 ربيع للاول 1330

8 — طرد كل من يتسبب في قتل اي انسان حتـــى لا تقع في المستقبل الاستهانة بالارواح الطاهرة «1»

وقابلت اللجنة مدير الاشغال العامة بحضور مدير الشركة وعرضت عليهما الطلبات المذكورة وطالت المناقشة بين الجانبين . واظهر مدير الشركة تصلبا وشدة ورفض قبولها . وافترق الطرفان على غير طائل «2»

نفي علي باش حانبه وصحبه



علي باش حانبه

ورأت السلـــطة الفرنســـية ان هذه المقاطعة لم تكن الشركة هي المقصودة بها ولكنها تحد سافر لسلطتها ومناواة لهيبتها فعممت الحكم العسكري على كامل البلاد، وعطلت الصحف العربية الواحدة تلـــو الاخرى ، واصدرت قرارا بابعاد ثلة من زعماء الحركة الوطنية في ذلك الوقت وهم : (3)

— علي باش حانبة *

«1» نقلا عن نفس المصدر

«2» نفس المصدر

«3» جريدة الاسبوع بتاريخ 6 نوفمبر 1950

* علي بـــش حانبـــة :

من مواليد مدينة تونس سنة 1875 . زاول تعلمه بالمدرسة الصادقية ، ثم بمدرسة « ســـان شارل » الفرنسية . وبعد ما انتهى تلعمه الثانوي ، انتدبته الحكومة للترجمة بادارة دفتر خانة الاملاك العقارية سنة 1897 وكانفته مع ذلك بوكالة اوقاف المدرسة الصادقية واثناء مباشرته لهذين العملين ، كان يتابع دروس الحقوق الفرنسية الى ان احرز شهادة « الليسنس » سنة 1906 ففارق العمل الاداري للمحاماة بتونس . وتعرف اثناء دراسته بالفـــوج الاول مـــن خريـــجي

« الصادقية » ومؤسسي الجمعية « الخلدونية » . كما كانت اتصالاته متينة مع الشباب المدرسي المعاصر له في الصادقية او جامع الزيتونة .

كان الحكم الاستعماري في اوجه وقوة جبروته ، والصحافة الاستعمارية وفي مقدمتها جرائد « المعمر ، تونس الفرنسية ، الدبيش التونسية » لا يرد لها قول ، وهي التي تسير الحكومة في المنهج الذي تريده . وقد تم الاستيلاء على الاراضي التونسية سواء في ذلك اراضي الدولة او الاوقاف العامة حيث وزعت على المعمرين وتمت تعبئة الادارات بجيش من الموظفين الفرنسيين والمتجنسين الاجانب ، واصبح التعليم بجميع درجاته فرنسيا الا التعليم الديني بجامع الزيتونة .

في هذا الظرف الدقيق من ظروف التاريخ التونسي فكرت الشبيبة المثقفة في المناداة باعطاء التونسيين بعض ما يتمتع به الفرنسيون والاجانب من الامتيازات ، والسماح لهم بانابة من يمثلهم لدى المجالس الشورية ، والسماح لها باصدار جريدة قومية تفصح عن رغائب الشعب وطلباته . اختار الشباب المثقف من بين افراده من هو كفء للقيام بهذه المامورية ، فكان الذي رجح به الميزان هو علي باش حانبة الذي احرز على امتياز اصدار جريدة « التونسي » القومية المنهج والروح الفرنسية اللغة والعبارة ، لتكون لسان حال رغائب الشعب التونسي .

صدرت « التونسي » اسبوعية في سنة 1908 . وفي شهر اكتوبر 1909 صدرت نشرتها العربية الاسبوعية . وكان يساعد مؤسسها على تحريرها وادارتها مجلس متركب من اعضاده : عبد الجليل الزاوش ، حسن قلاتي ، عبد العزيز الثعالبي وغيرهم .

استاءت الصحافة الاستعمارية وحزبها من هذه الحركة التي يقوم بها « التونسي » فاخذت تكيل اليه التهم جزافا ، واخذ « التونسي » يدافع عن نظرياته ، ويعرب عن حسن نيته . ولكن ذلك لم يقعد الادارة عن تسديد الضربة الحاسمة الى « التونسي » وجماعته اثر حوادث الزلاج كما تعرضنا الى ذلك .

نقل علي باش حانبة من تونس الى بنزرت صحبة ضابط من الشرطة على سيارة ومنها وقع الابحار به الى فرنسا على ظهر باخرة ، وبعد الاقامة بها مدة انتقل الى تركيا .

اختار باش حانبة الاقامة بتركيا لانه كان مع جماعته يرون انها قادرة على نجدة تونس عند الحاجة . وان السلطنة العثمانية في استطاعتها — متى تمكنت من ذلك — فك اغلال الحماية الفرنسية عن تونس وسهل له الاقامة بتركيا تعلمه لغتها عندما كان تلميذا بتونس على يد احد الضبط الاتراك المبعدين الى تونس .

وجد باش حانبة في مدينة اسطنبول من يعطف عليه وعلى القضية التونسية فقربه اليهم رجال حركة « الاتحاد والترقي » وكلفه « انور » باشا القائد التركي المشهور بعدة ماموريات خصوصا ابان الحرب العالمية الاولى حيث سمي مستشارا لوزارة الخارجية سنة 1916 ، ثم مستشارا للصدارة العظمى ، ورئيسا للجمعية الخيرية وخبيرا في شؤون الشمال الافريقي الى غير ذلك .

واظهر نشاطا ملحوظا اثر انضمام تركيا الى المانيا ضد المتحزبين . وفيما هو قائم بعمله ، فاجاه الموت ليلة احتلال المتحزبين مدينة اسطنبول في 16 مارس سنة 1920 ، فاذن انور باشا بالمبادرة بدفنه قبل ان يمثل المتحزبون بجثمانه كما فعلوا بغيره ممن اسروهم من الاحياء .

— عبد العزيز الثعالبي *

— الشاذلي درغوث

— محمد العروي

— محمد نعمان **

— حسن القلاتي ***

وسجنت بسجن باردو الخاص بامراء العائلة الحسينية :

— المختار كاهية والد الكاتب الوطني المعروف المرحوم الشيخ علي كاهية لقرابته من العائلة المالكة .



عبد العزيز الثعالبي

---

* عبد العزيز الثعالبي :

عبد العزيز بن ابراهيم الثعالبي نسبة الى جده العالم السلفى المشهور الشيخ عبد الرحمان الثعالبي دفين عاصمة الجزائر .

ولد بتونس سنة 1875 ، وادخله والده الى جامع الزيتونة فلم يستكمل به معارفه لان التعليم به كان غير موافق لما يتطلبه المجتمع التونسي من حيوية وتطور مع روح العصر .

فارق « الزيتونة » واسس جريدة « سبيل الرشاد » سنة 1895 وكان يحرر اكثر فصولها في عامها الاول وفيما صدر من اعداد عامها الثاني بنفسه . وتعرف وهو شاب بالفوج الاول من خريجي المدرسة « الصادقية » وهم مؤسسو جريدة « الحاضرة » والجمعية « الخلدونية » ، ثم بالفوج الثاني وهم جماعة « التونسي » وساهم في تحرير نشرتها العربية . ثم الف كتابه « روح القرآن » وطبع بالفرنسية التي ترجمه اليها السيد الهادي السبعي والمحامي بن عطار . وقامت حول هذا الكتاب ضجة اثارها الاستعماريون وانصارهم ، وعملت الدعاية ضده عملها الى ان اودع السجن سنة 1904 مدة شهرين اثر محاكمته بتهمة شتمه للدين والاولياء الصالحين .

ولما جاءت حوادث « الزلاج » نفى مع قادة الحركة في شهر مارس 1912 فنتقل الى فرنسا ومنها انتقل الى تركيا ثم الشرق الاقصى فزار جاوة والهند وعاد الى تونس قبل سنة 1914 . واثناء الحرب العالمية الاولى وضع كتابه « تونس الشهيدة » ، وبعد انتهائها سافر الى باريس في سنة 1919 فطبع كتابه المذكور وطبع كتابا آخر حول معارضة تونس في التحصيل على قرض مالي من فرنسا . واثناء قيامه بعمله الدعائي لفائدة القضية التونسية القى عليه القبض واعيد مخفورا الى تونس واودع السجن العسكري بالقصبة بتهمة التئامر ضد امن الدولة ، وافرج عنه بعد قضاء تسعة اشهر .

سعى مع رفاقه المواطنين في تاسيس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920 واسندت اليه رئاسته . واثر تحصيل فرنسا على موافقة الباي محمد الحبيب على اصلاحات 13 جويلية 1923 وتاسيس الحزب الاصلاحي بزعامة السيد حسن قلاتي ، فارق تونس والتحق اولا بايطاليا ،

ومنها الى فرنسا ، ثم الشرقين الادنى والاقصى • وعاد الى تونس سنة 1937 • واثر الخلاف في المنهج السياسي العملي بينه وبين الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي • انعزل عن السياسة الى ان توفى يوم الاحد غرة اكتوبر سنة 1944 ، ودفن بمقبرة الزلاج ، رحمه الله •

*** محمد نعمان :**

يكاد يكون قادة حركة حوادث الزلاج كلهم من مواليد سنة 1875 • ففيها ولد محمد نعمان بمدينة تونس •

عندما تاسست المدرسة العلوية كان من الفوج الاول الذي زاول تعلمه بها الى ان تخرج منها يحمل شهادة ختم دروسها • ومن سنة 1895 بدا يباشر التعليم بالمدارس الابتدائية التي احدثتها حكومة الحماية ، ولكن تطلعه الى الحياة الحرة جعله ينكب على متابعة تعلمه العالي الى ان احرز على شهادة الحقوق ففارق التعليم وانخرط في سلك المحامين المتربصين من يوم 22 جويلية 1908 بالحضرة التونسية •

وفي هذا الطور من شبابه بدا يعمل مع جماعة « التونسي » ويساهم في حركة الشباب المتطلع الى حياة كريمة افضل • واظهر نشاطا وحركة لفتت اليه الانظار فالقى عليه القبض في مارس 1912 وابعد مع من ابعد الى فرنسا ثم انتقل منها مع رفاقه في المنفى الى مدينة اسطنبول عاصمة دار الخلافة الاسلامية • وفكرو هو باسطنبول في مباشرة المحاماة في قطر عربي لان تركيا لا تقبل في ذلك العهد المحامين الذين لم يتخرجوا من معاهدها فارسل الى الحكومة المصرية طلبا في ترسيم اسمه في جدول المحامين لدى المحاكم المختلطة بالقاهرة كما فعل من قبله زميله الاستاذ البكوش • وفيما هو يتأهب للالتحاق بمصر حيث اجيب طلبه وردت عليه برقية من تونس تعلمه بالغاء قرار الابعاد الصادر ضده وتطالبه بالعودة الى تونس ، وهذا ما تم بالفعل حيث عاد اليها وبدا المحاماة بصفة رسمية بتونس من يوم 9 افريل سنة 1913 •

جاءت الحرب العالمية وتعطل كل نشاط سياسي في تونس فلما وضعت أوزارها استانف نشاطه مع الحزب الدستورى ثم انضم الى الحركة العالمية التي قامبها الدكتور محمد علي وصحبه • كما اندفع الى العمل مع الشعبة التونسية للحزب الاشتراكي الفرنسي بتونس وبدا يحرر في جريدتها اليومية « تونس الاشتراكية » وكانت اكثر فصوله في هذه الجريدة تحوم حول الشؤون الاجتماعية والسياسية • والتجا الى ذلك يوم عطلت الحكومة الفرنسية اكثر الصحف العربية التونسية ولم تسمح باصدار أى جريدة جديدة من سنة 1925 الى سنة 1934 الا جريدة الزمان

وجد الاستاذ نعمان المجال فسيحا للعمل مع الشعبة الاشتراكية فاشبع نهمه الى ان قامت من جديد الحركة الدستورية وتاسست جريدة « صوت التونسي » أولاثم جريدة « العمل التونسي » ثانيا فكان من بين محرريها البارزين • ثم هو المحامي المقدام الذي تطوع للدفاع عن الموقوفين والمتهمين من التونسيين في القضايا المنشورة امام المحاكم الفرنسية او العسكرية بتونس • وعندما حلت كارثة حوادث 9 افريل 1938 وتعطلت اكثر الصحف التونسية وتوفى المرحوم محمد الجعايبي صاحب جريدة « الصواب » الذي كان يراس تحرير جريدة « الزهرة » اليومية في 5 ماي من تلك السنة ،تطوع الاستاذ نعمان بتحرير المقال الرئيسي بجريدة « الزهرة » اليومية ، فكان لفصوله صداها الممتاز في مختلف الاوساط •

***** حسن قلاتي :**

من مواليد مدينة الجزائر التي هاجر منها والده الى تونس سنة 1882 زوال تعلمه الثانوي والعالي بالجزائر الى ان احرز على اجازة الحقوق ، وانتصب للمحاماة بتونس في 15 جانفي سنة 1903 كان والده من مؤسسي الخلدونية ومدرسا للترجمة بمدرستها • شب الابن على ما اراده له

وتفرق المبعدون فبعضهم ذهب الى عاصمة الجزائر كالاستاذ حسن قلاتي المحامي وبعضهم ذهب الى فرنسا كالاستاذين علي باش حانبه ومحمد نعمان المحاميين والشيخ عبد العزيز الثعالبي .

وقد ركب هؤلاء البحر من بنزرت يصحبهم الم . « ميشـــو » كوميسار البوليس الى مرسيليا . ورجع هذا الكوميسار يوم 19 مارس الى تونس بعد أداء مهمته (1) والبعض الآخر نزح الى طرابلس او الى تركيا .

ولكن هذه الاجراءات كلها لم تزد الحالة الا تعفنا ولم تنل من ايمان الامة فاشتدت حركة المقاطعة وساد الجو الاكفهرار المؤذن بانفجـار العاصفة . وذاعت شهرة أولئك الشبان المبعدين في طول البلاد وعرضها . واشتهرت هذه الحادثة باسم « حادثة السبعة المبعدين » وكان لها صدى في أوساط الشعب ولهجت بها الصحف وقصائد الشعراء (2) .

ابوه من اتصال بالحركة التونسية لذلك انضم الى جماعة « التونسي » منذ سنة 1908 بل ان مكتبه كان مدرسة لتدريب المحامين التونسيين الشبان امثال محيي الدين السنوسي وعلي باش حانبه وعبد الجليل الزاوش . كان من محرري « التونسي » لذلك شملته موجة الابعاد والنفي التي سلطت على اولئك المحررين اثر حوادث الزلاج ، فابعد في شهر مارس 1912 الى عاصمة الجزائر ، ثم عاد إلى تونس بعد قانون العفو الذي شمل اولئك المبعدين . عاد الى الظهور على مسرح السياسة في سنة 1920 عند تاسيس الحزب الحر الدستوري التونسي . واسس هذا الحزب في ميدان نشاطه لجنة تهتم بالشؤون الاقتصادية عهد برئاستها اليه . وكان من مشاريعها انشاء شركة النهضة الاقتصادية التي كونت لها مطبعة لطبع مجلة « الفجر » لسان حال الحزب المذكور . لم تطل مدة مشاركته للحزب بل انه انفصل عنه مع جماعة آخرين صادقوا على مشروع الاصلاحات التي قدمتها فرنسا الى تونس عند تولية الامير محمد الحبيب باي امر المملكة في 13 جويلية 1923 . ومن ذلك العهد تزعم حركة المعارضة بتونس ، واسس جريدة « البرهان » ثم « النهضة » التي كانت تنطق بلسان ذلك الحزب الذي عرف بالحزب الاصلاحي ، ودخل اعضاؤه المجلس الكبير والحجرات الاقتصادية ، وكانوا عدة الحكومة في تنفيذ سياستها . وقد قدرت له الحكومة عمله هذا حق قدره ، فمنحته لقب محامي مدافع وذلك في 24 نوفمبر سنة 1943 مثل المحامين الفرنسيين والمتجنسين ، وبقى كذلك الى ان اعفى منه في شهر جوان سنة 1954 .

ملاحظة : التراجم المنشورة بهذا الكتاب الخاصة بالسادة على باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي وحسن قلاتي ومحمد نعمان ، منقولة باختصار من كتاب « تاريخ الصحافة العربية بتونس » تاليف المؤرخ التونسي المرحوم محمد صالح المهيدي (مخطوط)

«1» المنار بتاريخ 22 مارس 1912

«2» انظر قصائد المرحوم خزنه دار في خاتمة الكتاب

وفي 24 مارس 1912 استدعى الوزير الاكبر الطيب الجلولي نخبة من الاعيان وطلب منهم تحريض السكان على فك المقاطعة والرجوع الى الركوب بعربات الترام فاجابوه بقولهم : « اننا ناسف كثيرا لعدم استطاعتنا القيام بهذه المهمة فالشعب لا يلتفت الينا سواء حرضناه بالسنتنا أو ركبنا نحن الترام بانفسنا . وقد جربتهم ذلك بركوب كثيرين من موظفي الادارات في الترام فلم يعرهم الشعب أدنى التفات » .

وشذ عن الجماعة المسمى « المنوبي بن لطيفة » وهو جزار ثري فوعد الوزير بأنه سيبذل جهده في الوصول الى الغاية التي تريدها الحكومة . وقد شرع السيد المذكور في الغد في استجلاب الأشخاص لهذا الغرض فجمع نحو الثلاثين شخصا تقريبا من حلابي الدواب (كذا) واركبهم في الترام على نفقته الخاصة وطفق يتجول بهم في أنحاء المدينة ، لعل الناس يتبعونه (1) ففشل فشلا ذريعا حتى علقت جريدة المنار على ذلك الفشل بقولها :

« أما الجواب عما اذا كان حصل على النتيجة المطلوبة ام لا ؟ فنوكل امره الى القاريء الكريم لأنه على مرأى ومسمع من ذلك . . . » (2)

ولما لم تجد مناورات السلطة فتيلا في فك المقاطعة مالت الى شيوخ الطرق الصوفية وهم الملجأ الوحيد لها في جميع تصرفاتها فقام هؤلاء بدعوة اتباعهم الى فك المقاطعة ففشلوا يضا .

الدعـــاية الخـــارجية

واغتنم المبعدون فرصة وجودهم خارج البلاد فقاموا بدعاية واسعة النطاق بالخطب والتصريحات والتحرير في الصحف ، يفضحون السياسة الفرنسية المتبعة بالبلاد . وتحركت معهم بعض الصحف والشخصيات الحرة بفرنسا نفسها واصبحت فرنسا مضغة في افواه العالم الخارجي .

رجـــوع المبعديـــن

وهكذا صمد الشعب صمودا عجيبا في ذلك الوقت حتـــى اضطر السلطة

«1» جريدة المنار بتاريخ 28 مارس 1912
«2» نفس المصدر

الفرنسية الى احناء راسها فاذنت برجوع المبعدين الى وطنهم بعد نحو ستة اشهر قطعا للدعاية الخارجية التي هددت سمعة فرنسا في العالم فرجع جميعهم الا الاستاذ علي باش حانبه فقد تحول الى تركيا حيث عين مستشارا بوزارة العدل التركية «1» .

وبرجوع المبعدين خمدت الحركة ظاهريا تحت ســوط الاضطهاد والحكم العسكري . وبدات نذر الحرب العالمية الاولى تظهر للوجود . واشتد حذر الفرنسيين من السكان ، فنشروا جواسيسهم في كل مكان ، واصبحوا ياخذون الناس بالظن ، وسلكوا سياسة الاذون السرية (Lettres cachées) الموروثة عن عهد الحكومة الملكية الفرنسية ، وأطلقوا لأعوانهم العنان لاتهام من يريدون من ابنـــاء الشعــب .

«1» جريدة الاسبوع بتاريخ 6 نوفمبر 1950 .

خاتمة

نصـــوص _ وتعاليــق

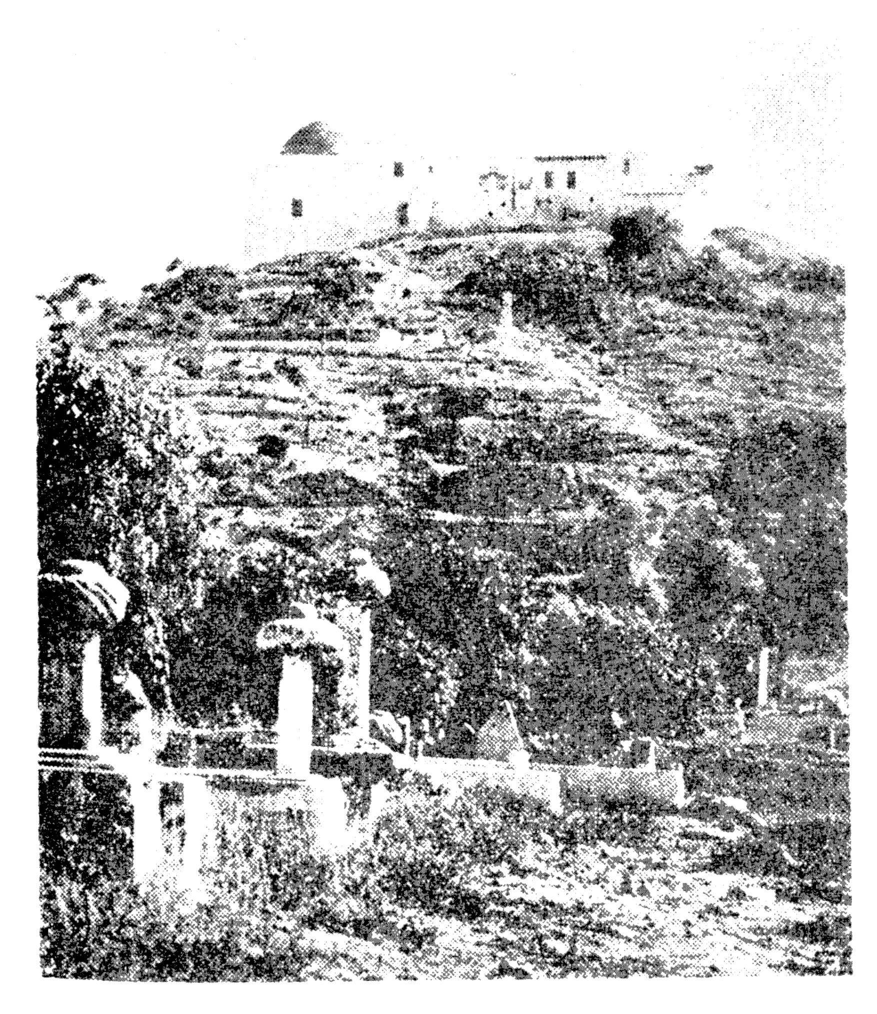
نختم هذه الحلقة بنشر بعض ماكتب في ذلك الوقت وبعده من شعر ونثر في معركة الزلاج وحادثة مقاطعة الترام لما في ذلك من الفوائد التاريخية المتمثلة في وثائق كتبت في ذلك العهد باقلام شهود عيان ، والأدبية المتمثلة في الاطلاع على الاساليب النثرية والشعرية المتبعة منذ خمسين عاما .

شاهد عيان يتحدث عن حوادث تونس

نشرت مجلة « المنار » المصرية التي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا بعددها الصادر في 17 ماي 1912 — مقالا عن معركة الزلاج ومقاطعة الترام بامضاء « ابن الحقيقة » نصه :

« في أواخر شهر اكتوبر من العام الماضي وزعت « البلدية » على جدران الطرق العامة اوراقا تستدعي بها الناس الى الاجتماع بمقبرة الزلاج في اليوم السابع من نوفمبر لتعيين قبور أهليهم لعزم « البلدية » على تسجيل المقبرة ، واعتبارها من يوم التسجيل حقا من الحقوق الدولية تتصرف فيها كيف شاءت . وقد كان لهذا الاعلان أسوأ تأثير في القلوب ؛ لأن مقبرة الزلاج وقف من الأوقاف العامة وقفها الشيخ الزلاج — أثابه الله تعالى — على موتى المسلمين منذ أكثر من ثمانمائة عام ، وقد ضمت من أجساد العلماء والأشراف وأهل الفضل والخير وأصحاب المكانة الحقيقية في القلوب مالا ياتي على احصائه الا الله تعالى ،

وحسبك أن فيها مقام الشيخ ابي الحسن الشاذلي معتقد العامة والخاصة منهم ، ومقام الشيخ محمد ابن عرفة المالكي الشهير ؛ وغيرهما من أولي العظمة



المقام الشاذلي في مقبرة الزلاج

والاعتبار فيهم ، ولن يرضى أحد أن تخرج عظامهم من ديارها لتتخذ بساتين يتنزه بها الاوربيون الذين لا يسمحون بشبر من مقابرهم لمثل ذلك .

ساء الناس ما عزمت عليه « البلدية » فاتفق اكثرهم على الاجتماع في المقبرة في 7 نوفمبر لمنع البلدية من اجراء اعمال التسجيل ، وكان ما اتفقوا عليه .

اجتمعوا بالمقبرة قبل ظهور حاجب الشمس فجاء شيخ المدينة « رئيس البلدية » والمهندسون فراعهم ذلك المنظر المهيب ؛ فسالهم شيخ المدينة عن سبب اجتماعهم ، فذكروا ان « السبب » الاعلانات المعلقة على الجدران ، فرأى — على غير طائل — أن يفرقهم بقوله : فحسب الدولة العزم على ذلك ، فانصرفوا الى بيوتكم ، ثم أمر من حضر من أعوان المحافظة أن يغلقوا باب المقبرة في وجوههم ويردوهم عنها بعد أن دخلوها هو والمهندسون .

فسخر الناس من قوله هذا المضحك ، وردوا أعوان المحافظة بقوة دفاعا عن موتاهم وغيرة على وقفهم . وبينما هم كذلك اذ أطلق طلياني مسدسه على رجل مسلم وفر هاربا فلحقوا به واخرجوه من البيت الذي التجأ اليه وذبحوه بأيديهم ، وخرجوا عن طور الدفاع السلمي عن الموتى الى الدفاع الحربي عن الاحياء .وثارت الفتنة في البلد ، وكثر الهرج في الطائفتين الاسلامية والصليبية ولم تقدر الحكومة أن تشرع في اعادة الراحة الا بعد يومين . وهذا ما عملته لذلك :

1 — عهدت الى الخطباء ان ينصحوا الناس باحترام الدماء ويذكروهم بما كتب الله تعالى عليهم من حق المخالف بالدين ؛ لأنهم يعتقدون أن المسألة بنت التعصب الاسلامي الذي حركته « طرابلس » لا بنت مدافعة العادين . ورد هجمات المحاربين .

2 — علقت الاعلانات الرسمية بمنع اجتماع اكثر من ثلاثة أشخاص في الطريق ، ومنع الجولان فيه بعد الساعة التاسعة مساء . وهذا الحجر كان على المسلم خاصة . لأنه المعادي عندهم . ثم أخذت تختطف الناس من الطرق والفنادق وتزج بهم في السجن ، فكم من غريب أخذ من فراشه في الفندق ؟ وكم من بريء اخذ من الطريق العام ؟ فانظر ما هو عمل السياسة وأهلها ، وكيف يجعلون من التهمة الكاذبة ، الف حجة صادقة ، ثم ماذا كان عمل الحكومة بعد ؟

كان ان أو عزت الى شيخ الاسلام أن يجمع العلماء الرسميين في دار الباي ويعترفوا بقبح هذا الدفاع الواجب وكذلك فعلوا وفعل .

دعاهم الى الاجتماع واكد فيه تأكيدا . ولكنهم لم يعلموا الغرض منه الا عند

الاجتماع ، دخل بهم على الوزير الاكبر وهو يقول : ان أهل العلم لا يرضون بهذا العمل الذي ينكره الشرع والعقل ، وهم يريدون أن تعلم الحكومة ذلك منهم ثم سال « شيخ الاسلام » الوزير الاكبر أن يرخص لهم السفير في زيارته فاجيب الى ذلك ولكن السفير خاطبه بقوله : يجب ان تسكن عواطفكم القلوب ولا تخرج الى الطريق — هذا بعدما سمع من شيخ الاسلام — حاسبه الله — مثل ما قاله للوزير . ولم يقدر الشيخ أن يبين أن المسالة لا علاقة لها بمسالة طرابلس . وانهابنت الدفاع عن النفس وليس هي الدفاع عن الجامعة العربية .

ارادت الحكومة من هذا أن تفعل ما تشاء باسم الديـــن — الذي لا تزال سيادته الحقيقية والصورية على جميع القلوب — ولكن العامة علـــى جهلهم ورسوخ اعتقادهم في أهل العلم كانوا يلعنونهم سرا وجهرا ، ويعرفون انهم خانوا الله ورسوله والمؤمنين ؛ فعلقت الاعلانات الرسمية في اليوم نفسه تعلم بتفويض سمو الباي الى الادارة الحربية الامر في تفتيش بيوت من تقع عليه التهمة ، والحكم عليه وفي نزع السلاح من أصحابه الخ . وتبع ذلك جراة الطليان على قتل المسلمين . ولم توفق الحكومة الى نزع السلاح منهم الا اخيرا خشية الفتنة في البلاد .

كانت الصحف تدافع عن المسلمين بعض الدفاع . ولكن الحكومة اصدرت قرارا بتعطيل جميع الصحف العربية الا « الزهرة الاخبارية » الى اجل غير مسمـــى .

هذا ما جرى في تونس ايها الفاضل مما سمعته ورايته اثناء وجودي بها — وهو مما يدعو الى تاليف كتاب خاص تشرح فيه أعمال الحكومة الصادرة عن سياستها السيئة ، واستبدادها الفظيع واستخدامها في سبيل ذلك لشيوخ العلم الذين هم أجدر الناس بالدفاع عن الامة . والسعي للتوفيق بينها وبين الحكومة وكف باسها عنهم . ولكننا منينا برؤساء جهال منافقين جبناء هم الواحد منهم أن يملأ كيسه وبطنه ويحفظ نفسه ولا يبالي بما آزر الظالمين على الضعفاء الابرياء الذين لا ذنب لهم الا الدفاع عن انفسهم . ولكن اين الذي يخاف الله ويحسب للقائه حسابا من هؤلاء الجامدين ؟

وبعد فقد اتفق أن شرعت في كتابة هذا ثم حالت الشواغـــل دون اتمامه حتى كان ما كان مما ساقصه عليك وانا لا ازال في تونس

مقاطعة المراكب الكهربائية وسببها :

ذلك أن سائقي المراكب الكهربائية « واكثرهم من الطليان » أسرفوا في المدة الاخيرة في الاستهانة بالنفوس عمدا فكثر عدوانهم على الضعفاء — من قائلي لا اله الا الله محمد رسول الله — فعمدت ثلة من أصحاب الآراء الراقية لتنبيه الناس الى مقاطعة هذه المراكب العادية حتى ترجع الى الاعتدال وتكف عن البغي والعدوان ، فاجتمعت كلمة الامة على هذا ولم تمض الا أيام قلائل حتى ساد هذا الراي على المسلم والمسلمة . ثم تقدم أفراد من القائمين بهذه الحركة الى رئيس الشركة بمطلب الاهالي التي يعلقون على تنجيزها العود الى ما كانوا عليه . وأهمها التسوية في اجور الخدمة بين المسلمين والايطاليين ، واحترام الارواح . واخراج الخدمة الايطاليين (وهذا مما لا يمكن) فقبلهم مدير الشركة شر قبول وصرح لهم أن الشركة لا تجيب المسلمين الى أكثر من وصية السائقين باحترام الضعفاء وتعليق الواح مكتوبة بالعربية في مراكز الوقوف يرسم عليها ما يرسم بالفرنسية على نظائرها (كما هي الحال في مصر) وأما تسوية الأجور فهو موقوف على تسوية الدولة بين الاهلي والاجنبي ، فمتى سوت الدولة بينهما سوت الشركة ؛ فرجع هؤلاء الأفراد بخفي حنين . واستمرت المقاطعة فهال الدولة أمرها ، ورأت أنها أمارة حياة يخشى على الحكم المطلق من آثارها . فدعت نحوا من أربعين رجلا من أهل العلم والتجارة ، وسائر الطبقات المعتبرة وخاطبتهم بلسان وزير القلم في حث الناس على ترك هذه المقاطعة ، وأعلمتهم بتداخلها مع الشركة وتحصلها منها على كذا وكذا . مما علموه من مدير الشركة يوم اجتمع به أولئك الأفراد لقصد انهاء المسألة بصفة مرضية . فقام المحاميان الغيوران محمد نعمان وعلي باش حانبه صاحبا جريدتي التونسي العربية والفرنسية ببيان أن الحكومة لم تفد شيئا في الموضوع ، وأن مسألة تسوية الأجور من أهم مطالبهم ، ولا تريد الامة أن تترك المقاطعة بدونها . وطال النزاع بين الحق والباطل ثم افترق الفريقان على غير طائل .

أعادت الحكومة دعوتهم في اليوم الذي تلا يومهم ذلك وصرحت لهم أن المسألة صبغت بلون دولي ، وأن المقاطعة في نظر الدولة « اليوم » لدولة لا لشركة ،

وأن القائمين بهذه الحركة ان لم ينفثوا في هذه العقدة فسينالهم العقاب ، ودافع علي باش حانبه ومحمد نعمان بما رأيا من الحق والله ولي جزائهما .

انبث دعاة الذلة في البلاد — بعد هذا الاجتماع — يدعــون الناس الى الركوب في الترامواي ، فلم يكد يستجيب لهم الا الشيخ جمال الدين «1» وقليل ممن لا يعرفون . على أن الشيخ جمال الدين من الذين لا يرجون من الدولة شيئا بل ولا يخشى على شيء مما في يده منها لو اتبع الجماعة . ثم لم يكد يمضي على الاجتماع الثاني 48 ساعة — وهو الاجل الذي ضربته الحكومة لانهاء المقاطعة — حتى صدر أمر الباي «ونفذ» بابعاد ستــة اشخاص عن الحاضرة منهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، ومحمد الشاذلي درغوث ، وعلي باش حانبه ، ومحمد نعمان — الاول والاخيران الى ما وراء حدود فرنسا ، والثاني الى قصر « مدنين » . ولقد كان من أعجب ما سمعت ورأيت في ذلك اليوم أن شيخامن شيوخ التدريس بجامع الزيتونة كلفتــه الدولة أن يوصي المدرسين والتلاميذ بالعمل بما تحب الدولة في مسالة المقاطعــة عن الركوب والدعوة اليه ، فأخذ يحث على ذلك باخلاص واجتهاد، مع أنه معروف من اهل الصلاح وليس من أهل الفساد . ولعل صفته الرسمية هي التي الجاته الى ذلك .

أبعدت الدولة هؤلاء الستة المتهمين بتنبيه القلوب طمعا فيتمزيق الكلمة فكان القوم في المقاطعة بعد الابعاد اشد منهم قبله ، ولا تزال مستمرة الى اليوم بعد أن توسلت الحكومة الى حلها بكل سبب فلم تنجح. كلفت اكثر الخدمة الاداريين أن يركبوا فركبوا بضع مرات فلم يقتد بهم احد. كلفت شيوخ الاضرحة ان يركبوا ويحثوا الناس على الركوب فلم يفيدوها شيئا في الموضوع . ومن

«1» الشيخ احمد جمال الدين الخياري احد مدرسي جامع الزيتونة ، ومؤلف كتاب « بلوغ الارب في مناقب الشيخ الذهب » وهو رجل من المقربين للسلط الاستعمارية ومن المشتغلين بالكتابة في الخرافات والدجل ومناقب الاولياء والصالحين وكان من مقربي علي باي حتى انه الف كتابا في الفقه الحنفي ونسبه للامير بالرغم من كونه مالكيا وهو من اصحاب الطريقة القادرية .

وكان الاستعمار يسخر مثل هؤلاء لبلوغ اهدافه وتنفيذ اغراضه بواسطة افساد عقول الناس .

ويلاحظ ان جريدة المنار التونسية سجلت اسم « المنوبي بن لطيفة » الذي تكفل بالدعاية لحل الاضراب ولم تشر لاسم الشيخ جمال الدين . والظاهر ان الاثنين قاما بنفس الدور .

اغرب ما اقصه عليك ان الشيخ جمال الدين ـــ شيخ ضريح الفزاني (كذا !!) دفع المال من جيبه لتلاميذ زاويته ليركبوا فخرجوا من عنده واشتروا بما أخذوا منه الخضر وتركوه ودعوته » .

احتــرام الامـــوات

وكتبت جريدة « الحاضرة (1) » عدد 1110 الصادرة بتاريخ يوم الثلاثاء 9 قعدة 1329 — 31 اكتوبر 1911 أفتتاحية تحت العنوان اعلاه في قضية تسجيل مقبرة الزلاج ، وقد اشرنا إليها في الفصل الاول نصها :

« من العهود التي أخذتها دولة الحماية على نفسها اختىرام شعائر اهالي هذا القطر ورعاية نظاماتهم الاساسية واصول جامعتهم الاسلاميـــة . ومن تلك الشعائر احترام الاموات ومدافنهم ومقابرهم احترامها لمقابر بقية الاجناس والملل من نصارى ويهود . وهي قضية مسلمة يشهد باهمية العناية بها حرص ولاة الامور والحكومات على احترام تلك المقابر في سائر الآفاق والبلدان واهتمام تلك الاجناس بشانها حتى انه مهما عرض في حرمـــهم من الاعتداء والانتهاك ضجوا وتشوشت أفكارهم وقاموا بالشكوى والتعنيف وتشديد النكير على كل من اعتدى عليها . وقد كان فزع النصارى لحـادث حدث بالحمامات بشان اعتداء بعض الأوباش على مقبرة أمواتهم بالمكان . وضج اليهود لما بلغهم من عزم الادارة البلدية على اخذ مقبرتهم القديمة الكائنة بين نهج لندرة ونهج رستان وتخصيصها لتوسعة هذا النهج ولمصالح المدينـــة وتفاوض المجلس البلدي في شان هذه المقبرة فلاقى من طائفة بني اسرائيل معارضة قوية رغما على ابطال الدفن بها من سنين عديدة ومن عهد تحويل الدفن منها الى مقبرة بورجل الجديدة فاخيرا طلب نواب الطائفـــة الإسرائيلية فيـــما اذا اقتضت المصلحة العامة اخذ مقبرتهم القديمة أن تنقدهم الحكومة تعويضا قدره نحو مائتي الف فرنك تصرف في مصالحهم وفي أفعال البر والاسعاف . وفي النهاية بقيت المسألة تلقاء هذا الاعتراض بحبلها على غاربها .

---

(1) صدر عددها الاول في 2 اوت 1888 ، وهي اول جريدة عربية غير رسمية بتونس وكان مديرها الاستاذ علي بوشوشة ، وهو من نبغاء خريجي المعهد الصادقي .

وفي هذا الخصوص ينبغي ان يقال : ان مقبرة الزلاج كانت من نحو ثمانمائة سنة فناء من الارض يملكه أحد المسلمين وكان يبيع منها لكل راغب قطعا بقصد الدفن وربما كانت رسوم البيع موجودة عند بعض المالكين ثم لما كثر الدفن بهذا الفدان اشتراه سيدي الزلاج وخصصه لدفن المسلمين رجاء الاجر والثواب (1) واستمر الحال على ذلك المنوال الى ان انتظمت الادارة البلدية وظهرت تراتيبها الادارية في حفظ المقابر الاسلامية بسياج وحيطان تمنع ذمارهـا من اهمال الدواب وعبث العابثين .. (؟) — فمنعت الدفن بالمقابر التي داخل الحاضرة وكذلك بقية الحواضر بالمملكة لأسباب صحية وغرست بها الاشجار ومن جملة تراتيبها أن تولت بيع ما ينبت بها من الحشيش والكلا فتصرفت في تلك المقابر تصرفا بلديا على معنى الحفظ والتنظيم . ولم يكن يخطر بالبال ان تستند ادارة البلدية على هذه التراتيب الصادرة في المعنى من هيئة نائبة عن كافة المسلمين لتتطاول على حقوقهم وتدعى ملكية مقابرهم . ولو صح ان الاعتناء بحفظ تلك المقابر من الفساد والتلويث مما يخول المجلس البلدي حق التملك لها لرأينا هذا الحق والادعاء شاملين لكافة المقابر على اختلاف الاجناس والملل ولما اختص بالمسلمين رغما على كل حجة بيدهم وحرمة توجيها ديانتهم اذ في ذلك التطاول انتهاك لمشاعرهم ومساس بأصول دينهم ؛ فقد جاء في الاحاديث الشريفة أن القبر حبس على صاحبه بمعنى أنه مالك له لا يبدل ولا يحول عن موضعه الا لمصلحة عامة ضرورية كتوسعة الطريق ولو من مسجد . وفي واقعة الحال لم نر وجها أو مصلحة في وضع ادارتنا البلدية يدهـا بالتسجيل على مقبرة الزلاج الا الطمع في امتلاكها واتخاذها منزها أو أرضا للبناء بتقادم الازمان مع أن هذه المقبرة دون سواها هي أم المقابر التونسية وأوسعها فناء وأوفرها

«1» أشرنا سابقا الى اولية المقبرة حسب الروايات الصحيحة من التاريخ

احتراما ؛ لانها ضمت أعظم السلف الصالح فحوت العلماء والاولياء . وبها عدة اضرحة ومساجد يذكر فيها اسم الله وناهيك بالمقام الشاذلي جلالا واجلالا .

فجميع هذه الحيثيات تدل على مكانة هذه المقبرة واهميتها عند مسلمي هذا القطر . والتطاول عليها تطاول ومس بشعائرهم . ومن جهة اخرى فلا نتصور معنى لتسجيل هذه المقبرة وهي على ما علمت من استحقاق الناس لها بعضهم بحجة التملك وبعضهم بالحوز ومن فراغ يد المجلس من كل حجة تقتضي التملك ولا نظن مجرد تدبيره في مصلحة المحافظة والمراقبة والنظر يخوله حق التملك ولذلك توؤمل ونتحقق ان المجلس المختلط لا يلبث ان يرفض مطلب المجلس رفضا مجردا لخلوه عن حجة التملك والاستحقاق ولا نرى الاوامر العلية الادارية مما يقوم مقام الحجة الشرعية في الملكية . نعم لو صح ذلك التسجيل فان على اعضاء المجلس التونسيين أن يتبعوا الألوف من اخوانهم الذين اعترضـــوا على هذه الدعوى لدى المجلس المختلط في انكار ومعارضة المجلس البلدي في هذا التصرف والتسلط لمساسه بشعائرهم ومخالفته لوجدانهم . ولا نخال وظيفتهم البلدية الشرفية وتربعهم على مقاعد الادارة البلدية ومجرد لقب العضوية الرسمية مما يحول دون مقاسمتهم اخوانهم في انكار هذه التصرفات البلدية ؛ فان المقام جلل وتغاضي أولئك الاعضاء عن وضـــع المجـــلس يده بالقوة أو بالوسائل القانونية الادارية مخالف كل المخالفة لشعائرنا وأحكامنا الشرعية . فهل يسوغ في شرع الذمة والمروءة الاسلامية أن يخـــرب المسلمون بيوتهم بأيديهم أو يعد هذا الغضب من آثارهم ومساعيهم ؟ ذلك ما ننزه عنه كل مسلم دبت في جسده روح الكرامة والغيرة على الملة والدين . ولا يصدر الا من مارق أو متشيع للالحاد والله الهادي الى طريق الرشاد »

ممثل فرنسا وحوادث الزلاج

على اثر حادثة الزلاج استدعت الحكومة الفرنسية ممثلها بتونس (المقيم العام) الم . «الابتيت» لتستفسره عن الحوادث فكتب الم. « ميي » المقيم العام الذي سبق « الابتيت » فصلا بجريدة « لافرانس » نقلته جريدة الزهرة عدد 998 بتاريخ 1 حجة 1329 صدره بنقد بعض الاحوال السياسة لفرنسا ، وما تسبب لممثلها بتونس من الصعوبات في مهمته والعراقيل التي كثيرا ما تحدثها

المزاحمة على وظيف المقيم العام الذي يتطلع اليه كثير من السياسيين الفرنسيين .

ثم استسمح زميله الم . « الابتيت » أن يرخص له في التكلم باسمه لمخاطبة مجلس النواب بمناسبة حوادث الزلاج فقال على لسان زميله شارحا السياسة الفرنسية التي يجب على ممثل فرنسا اتباعها بتونس :

« انكم اذ تشاهدون كثرة المترشحين المزدحمين على خطتي ربما تظنون أن المقيم العام ينام على الورد . يجب أن تقلعوا عن هذا الظن ! ان المقيم العام قائم على حبل خشن لاديدن له الا حفظ التوازن بين مصلحتي المعمرين والأهالي فكلما مال لاحد الشقين اثار احد امرين : اما غضب هذا الشق المصحوب بالمرج والتشويش واما عداوة الشق الآخر الكامنة في الصدور .

وليست المسألة مقصورة على حفظ التوازن فقط ، بل هناك عاملان يتنازعان قلبه ولا يتركان له فترة للراحة ، فهو يحب المعمرين بلا شك ؛ لأن وجوده موقوف عليهم قبل كل شيء . وحيث يرى أن من واجبه أن يدفع المطامع التي من شأنها أن تعكر صفو الامن بالبلاد التونسية وذلك في صالح المعمرين أنفسهم فانما هو يقابل بالعدل حزمهم وشجاعتهم واقدامهم على المشاريع الهامة ؛ فالغرض الأصلي من مساعيه هو ايجاد أمة فرنسية قوية الساعد بالتراب الافريقي (كذا) وتخليصها من جميع العوائق التي قد تعوقها في فرنسا ولكن مع ذلك كيف يتسنى له ان لا يهتم بمستقبل البرابرة (يقصد اهل البلاد) الذين نراهم منكبين على صناعتهم مالم تؤثر فيهم طباع القبائل الرحالة ؟ أليس من ماموريته أن يبث بينهم مدنيتنا وأن يجلبهم الى حظيرتنا بسياسة ممزوجة بين اللين والحزم . وبالجملة أن يعاملهم مثل الاخوة الصغار في عائلتنا الوطنية الكبرى ؟ (قصده ان يتبع فيهم سياسة الادماج والاتباع) .

وان ممثل فرنسا يعلم أن نجاح مشروعنا الافريقي منوط بموافقة المسلمين ، وأن اقل مظلمة تجد صداها بأقصى أطراف المغرب وكذلك الامر بالنسبة لأقل ذرة من الاحسان .

والذي يزيد هذه المسألة اهمية هو ان تونس بفضل جامعها الاعظم (جامع الزيتونة) تعد من أعظم مراكز الاسلام وفيها الآن نخبة من الشباب المسلمين ،

قد تكون متطرفة أحيانا ولكنها مملوءة نشاطا وحزما . وهي تطلب حظها من الآداب الفرنسية »

كفــاح الشعب التونسي

وجاء في كتاب « شمال افريقيا بين الماضي والحاضــر والمستقبل » طبع « دار المعارف » بمصر ص 122 فصل بالعنوان اعلاه نصه :

« ما استحقت أمة أن تعيش اذا استكانت للذل ، ورضيت بالهوان ، ولانت قناتها للمستعمر الغاصب ، وانما الامم الحية هي التي تكافح وتستميت في الدفاع عن حرياتها وفي سبيل استرداد حقوقها المسلوبة .

هي التي تظل جذوة الوطنية متاججة في قلوب ابنائها ، فلا تنطفيء أو تخمد، وهي التي لا تني عن البذل والتضحية لتنمو فيها شجرة الحرية . . . وقد يتوهم بعض الناس أن الشعب التونسي قد سكت على الضيم ، أو استسلم لليأس ، أو هادن سلطات الحماية ، كلا ، فصفحات التاريخ حافلة بالوان الجهاد الشعبي ، ناطقة بضروب الجراة والبطولة ، والاستهانة بافانين التشريد والنفي والتعذيب .

ولقد بدات نذر الثورة العامة تظهر في الأفق التونسي لاول مرة عام 1911 . وكان سببها المباشر قيام السلطات الفرنسية بتنفيذ مشروع خط حديدي ، يمر وسط مقابر المسلمين ؛ فراى التونسيون في هذا العمل انتهاكا لحرمة موتاهم ، واستبد الغضب باهل العاصمة فلم يلبث الاحتجاج الرصين أن تطور الى هياج شعبي وقامت المظاهرات الصاخبة بقيادة شخص يدعى « جارجار » (كذا) لتحول بالقوة دون تنفيذ المشروع ، فما كان من السلطات الفرنسية الا أن جردت سيف البطش والقسوة ، وقبضت على الزعيم الشعبي ، ثم استحضرت من الجزائر مقصلة خاصة لقطع رأسه !

وكانت نتيجة هذا التصرف أن استمر اعلان حالة الطواريء في البلاد منذ ذلك التاريخ حتى عام 1921 ، ثم انتهت الثــورة اخيرا بخضــوع السلطات الفرنسية لمطالب الشعب التونسي ، وعدلت عن اختراق المقبرة ! » .

مقاطعة الوطنيين للترام

وتحت العنوان اعلاه كتبت جريدة « التونسي » عدد 66 بتاريخ 1 ربيع الاول 1330 ما يلـــي :

« اجمع المسلمون من سكان العاصمة على مقاطعة الترنفاي الكهربائي فبداوا بها صبيحة يوم الخميس الماضي 28 صفر 1329 ، وبعد زوال ذلك اليوم انقطع المسلمون انقطاعا تاما عن الركوب وهم لا يزالون مستمرين على ذلك الى هذا اليوم .

انفجر بركان هذه المقاطعة فجاة فقابله المسلمون بالموافقة والاستحسان وهم السواد الأعظم من الركاب .

فما هي الأسباب الباعثة على ذلك ياترى ؟ هذا ما كنا نتساءل عنه ونسعى للاطلاع عليه ومحادثة كافة الطبقات لتلم بشكوى الامة من اعمال الشركة حتى نعلنها للعموم .

وقبل الافاضة في هذه المسالة ينبغي لنا أن نعرض عن الدسائس الخبيثة التي ينفثها أعداء العرب لتشويه سمعة هذه المقاطعة الصامتة وهي فئة معلومة ليست في العير ولا في النفير تتمنى أن ترمي كل مظاهرة اسلامية بصبغة دينية كي تؤول وقوعها بمضادة الأجانب وتفهيمهم انهم هم المعنيون منها بالذات . ذلك هو السلاح المفلول الذي يحاربنا به اخصامنا كلـــما نهض المسلمون للمطالبة بحقوقهم أوسعوا في أمر يؤول الى تحسين حالتهم المادية والادبية . ولذلك فاننا نهزأ بما يقولون .

فقد عدلنا منذ زمن عن اقناع اشياع سياسة التسلـــط والامتلاك بسلامة مقاصدنا فنحن نعمل لما فيه صالحنا وندعهم في طغيانهم يعمهون .

نشرت جريدة « الكوريي » رسائل كثيرة وردت اليها من التونسيين وفيها الكفاية لمن يريد أن يلم بأسباب المقاطعة فليقراها المشاغبون ان كانوا يجهلون ما يشكو منه المسلمون من هضم الشركة لحقوقهم .

كان المسلمون يتافغون ويتالمون من سلوك الشركة معهم وهي لا تعير جانبهم اقل التفات . واشد ما يشكونه منها سرعة سير المركبات على الطرق الضيقة

الآهلة بالمسلمين . بل ان بعض العربات كانت تسير في هذه الطرق سيرا متناهيا حتى أودى ذلك بحياة الكثيرين منهم كل ذلك كان يجري علنا والشركة لا يعنيها غضبهم أو رضاهم .

ليس هذا كل ما يشكوه المسلمون من هذه الشركة . بل كانوا يشكون ايضا سوء معاملة العمال الأجانب الذين يباشرون الركاب وهي لا تعاملهم الا بالاغضاء والسكوت .

ولا يخفى أن أكثر هؤلاء العمال من الايطاليين فمن حين نشوب الحرب الايطالية الطرابلسية صاروا يقلقون الركاب المسلمين ويعاملونهم بفظاظة متناهية حتى شوهد كثير من اولئك السيسليين أو الكؤبريين يغيظون الامة ويجرحون عواطفها بالاقوال المؤلمة والاعمال السيئة فكانت هذه الفظاظة المتناهية باعثا قويا على ظهور التاثير العام لدى كافة الطبقات الاسلامية .

وهل يلزم هنا أن نشير لذلك العامل الذي كان يستبيح دوس أقدام الركاب التونسيين ليشعرهم بالصورة التي يراها تمثل لاعينهم فوز الاسلحة الايطالية .
ان التاثر الذي الم بافئدة المسلمين هو ناشيء عن أسباب كثيرة منها عدم الاكتراث بالركاب والسرعة المتناهية في سوق العربات خصوصا اثناء تأهب بعض الركاب للنزول مثل العجز والنساء (1) وكذلك من تبسم الاستهزاء والقباحة الذي يبتمون به كل مسلم وزد على ذلك الحوار الخالي عن الآداب الذييفاجئون به الركاب عندما يتطرق الى آذانهم خبر انتصار طلياني مزعوم . . .

هذه الوقائع التي استنفدت صبر المسلمين حتى طفح الكيل بحادث قتل ذلك الغلام الوطني في واقعة يوم 8 الجاري (21 صفر 1329) فانهم اعتقدوا بنية سليمة أن السائق الطلياني قتله عن اصرار وعمد فكان ذلك آخر ثمالة في الكاس .
ومن هنا نشأ حادث المقاطعة الواقعة الآن . ان مصدر هذه الحركة نشأ من بواعث نفسانية .لكن مسالة العاطفة لم تلبث حتى تركت في الجانب الثانيوصار الاهتمام العام منصرفا الى المسائل الاقتصادية » .

«1» التشكى من سرعة سير الترام قديم العهد ، انظر المقال الاتي المنقول عن جريدة « اظهار الحق » سنة 1904

ثم ذكرت الجريدة تكوين اللجنة والمطالب التي تقدمت بها للشركة والتي أشرنا اليها سابقا وختمت كلامها بقولها :

« والخلاصة أن المقاطعة التي قامت بها الامة التونسية كانت مثالا شريفا للسكينة والهدوء بحيث لم يحدث في ظؤلها ما يكدر صفو الامن أو يقلق راحة العموم وهي افضل درس تعطيه تونس للأمم الاخرى السابقة لها في المدنية » .

ثم قالت : « ان الامة لا تنفك عن المقاطعة ابدا ما لم تجبها الشركة الى كافة طلباتها ولا اخالها الا فاعلة » .

وقد قلنا سابقا انها لم تفعل !

الترامواي

وعلى ذكر مسالة سرعة سير الترام كتبت جريدة « اظهار الحق » عدد 15 بتاريخ 14 أوت 1904 تحت العنوان أعلاه ما يلي :

« بما أن مصلحة الترمواي من المصالح المعتبرة في عالم الحضارة معقولة الفائدة التي هي تيسير المواصلات والراحة من الاتعاب وسرعة الوصول الى المحل المأمول كان عليها أن لا تدع مستخدميها من قواد العربات ومستخلصي اجرة الركوب على ما هم عليه من الحدة وسوء المعاملة ، ولا نقول ذلك عن غرض في النفس وانما هو اعراب عن مرغوب الهياة المتساكنة لما يلاقونه من سوء معاملة بعض السائقين من جهة اطلاق عنان السير بصفة الاسراع المفرط رغما عما عليه بعض الانهاج من الضيق وكثرة العبور حتى ان الراكب اذ اراد النزول بالمحل الذي يقصده واشار على السائق بالامساك بالمواقف المعينة يأخذ في الامهال في تسيير العربة ولا يكاد النازل يضع قدمه على الآرض ويطلق يده الماسكة بالعربة حتى يسرع الآخر في العدو ويزيد في قوة السير فان كانت في النازل خفة رمى بنفسه على الارض ليأمن أخطار القوة الكهربائية وان كان ضعيف البدن أو كبير السن تدحرج كالكرة بين عجلات العربة ولا سؤال عما يصاب به من الاضرار والجراحات ان سلم من الممات في مرضاة ذلك السائق المتساهل في خدمته والحائد عن تعليمات ادارته . اما المارون فكثيرا ما يصابون بالاضرار من سرعة سير العربات بزعم القائد انه لا يتمكن من توقيف العربة دفعة واحدة. ومن هذا

القبيل واقعة يوم الخميس الفارط وهي أن أحد الصبيان من التونسيين البالغ سنه ستة اعوام بينما كان تجاه شارع الفزازنة بمقربة من باب السويقة ، اذ صادمه الترمواي عدد 62 فداسه دياسة قاسية كانت عليه القاضية . وليست هذه اول اصابة وقعت ، بل كثيرا ما يطرق الآذان من الاصابات الناشئة عن تساهل السائقين وحدة طباعهم اذ ان السائق اذا وضع يده علـــى تلك المزمرة ومسك بالأخرى آلة الاستخدام خيل له أنه غير مسؤول عما يصدر منـــه من التعدي والمضار ولا يجب عليه ان يتوقى عواقب الاخطار . وبما ان ذلك تشمئز منه المدنية وتاباه القوانين الحقة ولا تسمح به تراتيب المطلحة فانا نستلفت أنظار من له النظر في المسالة باتخاذ الوسائل اللازمة حتى يكون سير الترمواي على الصفة المناسبة من الاعتدال والوقوف عند الاقتضاء ومساعدة الضعفاء والصغار والطاعنين في السن والزام قواد العربات بالوقوف عنـــد التعليمات الادارية ليحوزوا بذلك الثقة العمومية » .

الحركة الفكرية فى تونس

وتعرض الاستاذ محمد الفاضل ابن عاشور (1) في كتابه « الحركة الادبية والفكرية في تونس » لهذه الفترة من التاريخ فقال :

« واشتد حقد التونسيين على الجالية الايطالية ، التي هي ضخمة العدد في العاصمة ، وعظمت نقمتهم على الاستعمار ومظاهره ، فلما حدثت المشكلة القضائية،بين بلدية العاصمة وبين جمهور الاهالي،حول صبغة المقبرة الاسلامية الكبرى « مقبرة الزلاج » هل هي ملك بلدي او وقف اسلامي ؟ وقامت المظاهرة الكبرى امام المقبرة ، كان من آثار الغليان الشعبي أن حدث اصطدام بين أفراد المتظاهرين وآخرين من الايطاليين قتل اثناءه وجرح عدد من الطرفين ومن رجال الامن والجند . وبدات الادارة في استعمال وسائل القمع واستمر الوطنيون على سبيل التحدي والتمرد الى 21 صفر 1330 — 9 فبراير 1912 فاعلنوا مقاطعة ترام العاصمة ، وكان اكثر المستخدمين في الشركة من الايطاليين ، واهتزت الهيئات الحكومية والاستعمارية لتلك المقاطعة واستطيرت غيظا لنجاحها وامتناع قادة

«1» توفي رحمه الله في 20 أفريل 1970

الحركة ورجال الصحافة من الدعوة الى حلها . وكانت النهضة الفكرية والوعي القومي قد بلغا مبلغا لم يبق للاستعمار قبل باحتماله . فاعلنت حالة الحصار والاحكام العرفية العسكرية بكامل تراب المملكة في مارس . وعطلت جميع الصحف العربية ، ماعدا الزهرة التي بقيت نشرة اخبارية ضئيلة تحرر تحت المراقبة ، ومنعت الاجتماعات ، وتوقفت الجمعيات والنوادي ، واغلقت المطابع ، ونزل الارهاق ، سجنا ونفيا وعقوبات ادارية على رجال الحركة الوطنية ، وابعد اربعة من كبار الزعماء خارج المملكة ، وهم : علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي ومحمد نعمان وحسن قلاتي ، وخرج كثيرون من رجال القلم والسياسة ملتحقين بطرابلس أو تركيا او أروبا ، فيهم الشيخ الخضر حسين ومحمد باش حانبه ومحمد الجعايبي صاحب الصواب ، فخمد الحركة الفكرية وساد عليها الركود ، وانقبع الناس كل في محيطه الخاص فلم يبق للأفكار انتشار ، ولا للنتاج الأدبي رواج »

دفاع المرحوم محمد باش حانبه عن اخيه

أدلى المرحوم محمد باش حانبه ـــ وكان اذ ذاك قاضي تحقيق بمحكمة الدريبة ـــ للم « بوشار » رئيس تحرير جريدة الدبيش الجزائرية « لادبيش الجريان » التي تصدر بعاصمة الجزائر بتصريحات دافع فيها عن اخيه المبعد المرحوم علي باش حانبه نشرتها الجريدة المذكورة وترجمتها عنها جريدة « المنار » التونسية عدد 3 بتاريخ 9 ربيع الثاني 1330 جاء فيها :

« انا وان كنت مقيدا بقانون يحتم علي عدم التداخل في المسائل السياسية حيث كنت مستخدما ولكن قرابتي من احد المبعدين وسطوع نور الحق البادي لذي عينين يخولان لي أن أصرح ببراءتهم وأدلي بالحجج الباهرة الدامغة على ذلك وأنا أسرد اليك تلك الحوادث المضحكة المبكية الموصلة الى ذلك الدور الأخير من رواية ذلك الحادث المعجب على علاتها فأقول :

يوم السبت الأخير تشكلت لجنة من أعيان الاهالي بلغ عددها ستين نفرا (؟) وذهبت الى الباش كاتب لعرض بعض شروط الاهالي الممكن قبولها من غير مطل لعدم احتياجها الى زمان ومكان حتى يتسنى لهم أن يقنعوا الاهالي باجابة

شروطهم ويسعوا بسبب ذلك في حسم مادة الشقاق الواقع بين الاهالي وبين الشركة . ولكن سوء طالعهم أن ضرب بكلامهم عرض الحائط .

ولما رأى أخي ذلك أزمع على عدم التداخل راسا في المستقبل في هاته المسألة وحتى اذا تكدر صفاء الراحة العامة بسبب قلاقل أو اشياء ممكن وجودها تلقاء هاته المعاملة الصارمة يكون غير مسؤول . وبناء على ما جبل عليه الانسان من الميل الى أبناء جلدته والاتحاد معهم الذي لا ينكره الا من أخلد الى الاستماتة وركن الى الاستعباد انضم الى الاهالي في عدم الركوب . ولا جرم أن الانسان حر في شخصيته بالطبع في أن يعامل زيدا أو عمرا ، وفي صباح الغد استحضر وزير القلم اللجنة المذكورة فحضرت لديه وهناك وجدت بجانبه كاتب الدولة العام ووقتئذ أجاب هذا الاخير أولئك الاشخاص بقوله :

« قصارى بغيتي من استحضاركم حثكم على قطع مادة الاعتصاب والاقلاع عنه حالا بدون تراخ »

فما كان جواب مخاطبيه الا ان قالوا : اننا لسنا بذوي السيطرة على افكار الاهالي ولا نحن بالموثرين . أما من جهتنا فاننا على اثرهم في المقاطعة .

وفي الوقت نفسه أجاب الكاتب العام « ان الحكومة ضربت لكم موعدا لا نخلفه نحن ولا أنتم في رجوعكم عن المقاطعة او اتخذنا الوسائل الصارمة ضدكم في أجل قدره 48 ساعة .

مضى على تلك المقابلة يومان لم يحدث فيهما شيء يذكر ، ولكن ما بزغ فجر يوم الاربعاء حتى وافانا ذلك الخبر المزعج الذي ارتجت له جميع أنحاء تونس الا وهو ابعاد أولئك الاشخاص الذين التقطهم من فراشهم ليلا أعوان الحكومة الى محل اقامتهم المعين من طرف أشغال الدولة . فما كان مني الا أن ذهبت الى ادارة المحافظة لاسترشدهم عن المحل المعين لابعاد أخي فاجبت بانه قد ذهب الى باريس لمدة زمنية ريثما يقع نقله من الاراضي الفرنسية شأن المنتمين للاحزاب السرية ضد الدولة أمثاله .

وأنا أعارض بكل ما في وسعي ضد التهمة الموجهة الى هؤلاء الناس الذين منهم أخي وأقول : انه ليس لهذا الحزب عمل أو اثر في الوجود . وأحقق أن

الحكومة نفسها لا يمكن لها ان تبرهن على وجود هذا الحزب . وعلى كل حال ، لما فتشت الحكومة مكتبة اخي لم تجد فيها شيئا ذا اهمية .

والدليل على براءة اخي وانه ليس المحرك للاهالي في مقاطعة « الترامواي » انهم الى الآن وهم لا يزالون على حالهم ولم يركب أحد منهم مع غيابه عنهم الآن منذ خمسة عشر يوما .

هذا واني لم اسلك طريق استجلاب شفقة الحكومة عنه كما اني لم اطلب له العفو عن جريمة وهمية بحتة تخالف العدل والقسطاس المستقيم .

وبعد مدة قليلة من الزمن سيسطع نور براءاته كالشمس في رابعة النهار .
واني على علم تام من أن القسم الفرنسي من المجلس الشوري ذهب الى المقيم العام وقدم له خالص تهانيه لأخذه هذه التدابير المهمة ، ولكننا نوكل وصف انسانيتهم الى الاحرار من الناس على هاته التهمة لنفي انسان وابعاده عن عياله وابنه الصغير السن من غير أدنى برهان أقيم ضده .

كما أني اعلم ان القسم الاهلي من المجلس الشوري ذهب الى المقيم العـــام وأخذ يستعطفه ويستمنحه الرحمة والحنان . وانه ليمنعني من الانضمام اليهم شرف عائلتنا الشامخ وحسن سيرة أخي التي شهد لها العالم اجمع ! »

وجاء في كتاب « هذه تونس » تاليف الدكتور الحبيب ثامر ، نشر مكتب المغرب العربي ـــ مطبعة الرسالة ـــ القاهرة ، ص 84 ، ما يلي :

« . . . وفي أواخر سنة 1911 أرادت السلطة الفرنسية أن تستولي على جزء من مقبرة الزلاج الاسلامية في عاصمة تونس ، وحاولت تسجيلها في 7 نوفمبر ، ولكن الشعب هب للحيلولة دون هذا الاعتداء ، واجتمعت جماهير غفيرة لحماية المقبرة ، وأصرت السلطة الفرنسية على تنفيذ قرارها بالقوة ، فاصطدمت الجماهير مع القوات الفرنسية وانتشرت الثورة في أنحاء العاصمة ، ولم تستطع السلطة الفرنسية اخماد نيرانها الا بعد عناء شديد .

وقد حملت السلطة الفرنسية جماعة علي باش حانبه مسؤولية هذه الحوادث، فعطلت جريدة « التونسي » واعلنت الاحكام العرفية في البلاد ، وبقيت تونس تحت الحكم العسكري القاسي منذ ذلك التاريخ الى سنة 1922 .

ثم في سنة 1912 اضرب عمال « الترامواي » في تونس احتجاجا على تصرفات الشركة الاجنبية التي كانت تسخر هؤلاء العمال لمصلحتها الخاصة ، فاجمع الشعب على تاييد العمال ، وتضامن معهم الى ان رضخت الشركة . ولكن السلطة الفرنسية عمدت الى استخدام الجيش في تسيير « الترامواي » للقضاء على الاضراب فتصدى الشعب لهذه المحاولة يقاومها ويمنع بالقوة كل من يعمد الى الركوب ، الى ان اجيبت طلبات العمال .

وكانت هذه الحوادث انذارا للسلطة الفرنسية بان الشعب التونسي قد أعد العدة لمقاومة سياستها ، والوقوف في سبيل تنفيذ برامجها الاستعمارية، فعقدت العزم على القضاء على الحركة الوطنية التي كان يقوم بها انصار باش حانبة ، ونفت أقطاب هذه الحركة الى الخارج . فانتقلوا الى الاستانة ما عدا الاستاذ عبد العزيز الثعالبي الذي اختار الاقامة بباريس بعد أن قضى عدة اشهر في الجزائر .

طلاق البت

وبمناسبة ابعاد زعماء حركة مقاطعة الترام نظم الشاعر المرحوم محمد الشاذلي خزنة دار المقطوعة الآتية ، وهي منشورة بديوانه (ج 1 ص 40) .

أينفى الاعتصاب بنفي سبع	وان هطلت لهم عيني بدمع
أيرضى الحر فيكم باضطهاد	وبالتفريق منكم بعد جمع
كفانا ما لقينا من هوان	وخذلان ومن شكوى لوجع
مضى زمن التخاذل واتحدنا	لدرء المفسدات وجلب نفع
مضى زمن التكاسل انتبهنا	لنبذل في المصالح كل وسع
وذقنا في الاخاء لذيذ سكر	فنحن به نشاوى دون كرع
فاياكم وفل العزم حتى	يردد ذكرنا في كل صقع
ونقطع للترام « طلاق بت »	تذاكر لم تسم بـ« طلاق رجعي »
ونقرع سمعهم بصدى مقالي	اينفى الاعتصاب بنفي سبع

ضحايا الاعتصاب

وله هذا المقطوع أيضا في نفس المناسبة ، وهو منشور بديوانه (ج1 ص 42)

ابكي لفرقتهم وهم احياء . سبعا بكتهم تونس الخضراء
ماكان في كفي الحسام وانما من تحت فكي حية رقطاء
ارسلتها حصبا على مغتالهم فتريه ماذا يفعل الشعراء
ساهز من قومي الذين بلوتهم ما ترتضيه الهمة القعساء
عربية الاحساس في نخواتها لله تلك النخوة العرباء
لا تخذدوا فشلا لفل عزيمة ولو ادلهمت سحبها الظلماء
دعهم يريقوا ، يزهقوا،يستنزفوا ينفوا ، يبيدوا ، يفعلوا ما شاءوا
واسترسلوا في الامر دون تراجع فالحبل منه انشقت الصماء

الاتاوات والضرائب

تحدثنا في الفصل الاول عن اشتداد وطاة الضرائب على الشعب ونقلنا هناك خاتمة الرسالة التي حررها في هذا الموضوع المرحوم الشاذلي درغوث ونثبت هنا الابيا تالآتية التي نظمها المرحوم الشاذلي خزنه دار يصف بها الحالة التي أصبح عليها ارباب الاملاك بالعاصمة عندما اشتدت عليهم وطاة الاداءات البلدية عام 1907 وهي :

تأبط رسم الارض يبغي ابتياعه فلم يلف من القى اليه سماعه
فالقاه في الايدي عسى يقبلونه ولو هبة تعطى لمن مد باعه
فأعرض عنه القوم والكل مثله يفضل من خوف المثال ضياعه
فأصبح رسم الارض عبئا مثقلا عليه الاداء الدولي القى شراعه
فسبحان من قد صير الارض اجمة وسلط عمن حل فيها سباعه
فمن ذا الذي اختار العرائن مسكنا وآسادها بالباب تهوى ابتلاعه
اذا كان يعشي العين نور تمدن تخفشت حتى لا تريني شعاعه
بني وطني كونوا الاعزة بينهم فلا مؤمن يكتال بالذل صاعه

انتهى

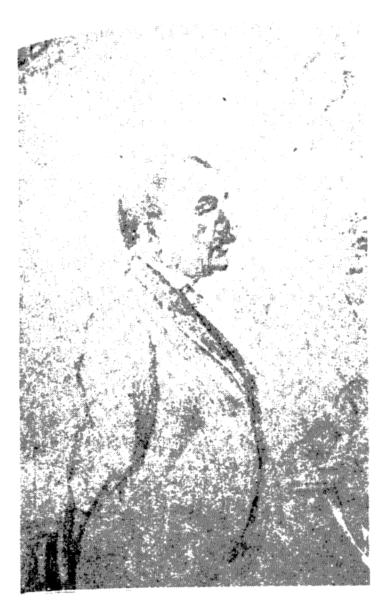
وثـائــق

لقد وقع العثور على مجموعة من الصور والـوثـائق بعد صدور الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، نشرناها مستقلة في الطبعة الثانيـة .

رجال الامن



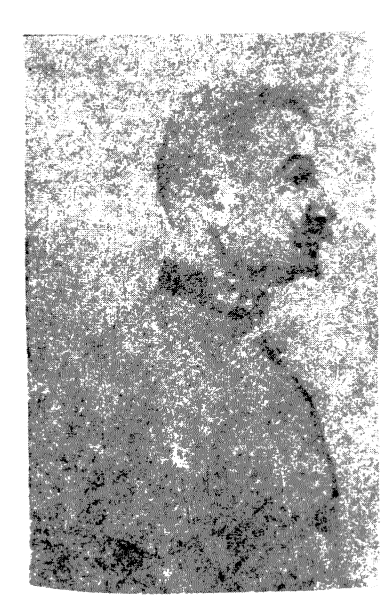
مسيو « ليـال » مدير الامن



مسيو « اسبيو » كوميسار البوليس



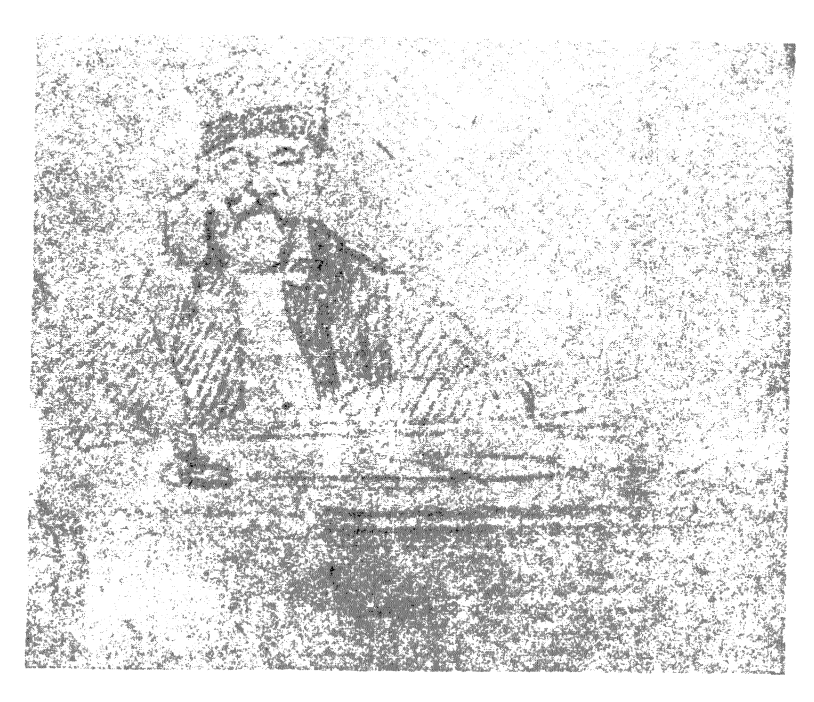
مسيو « ماتاييى » كوميسار البوليس



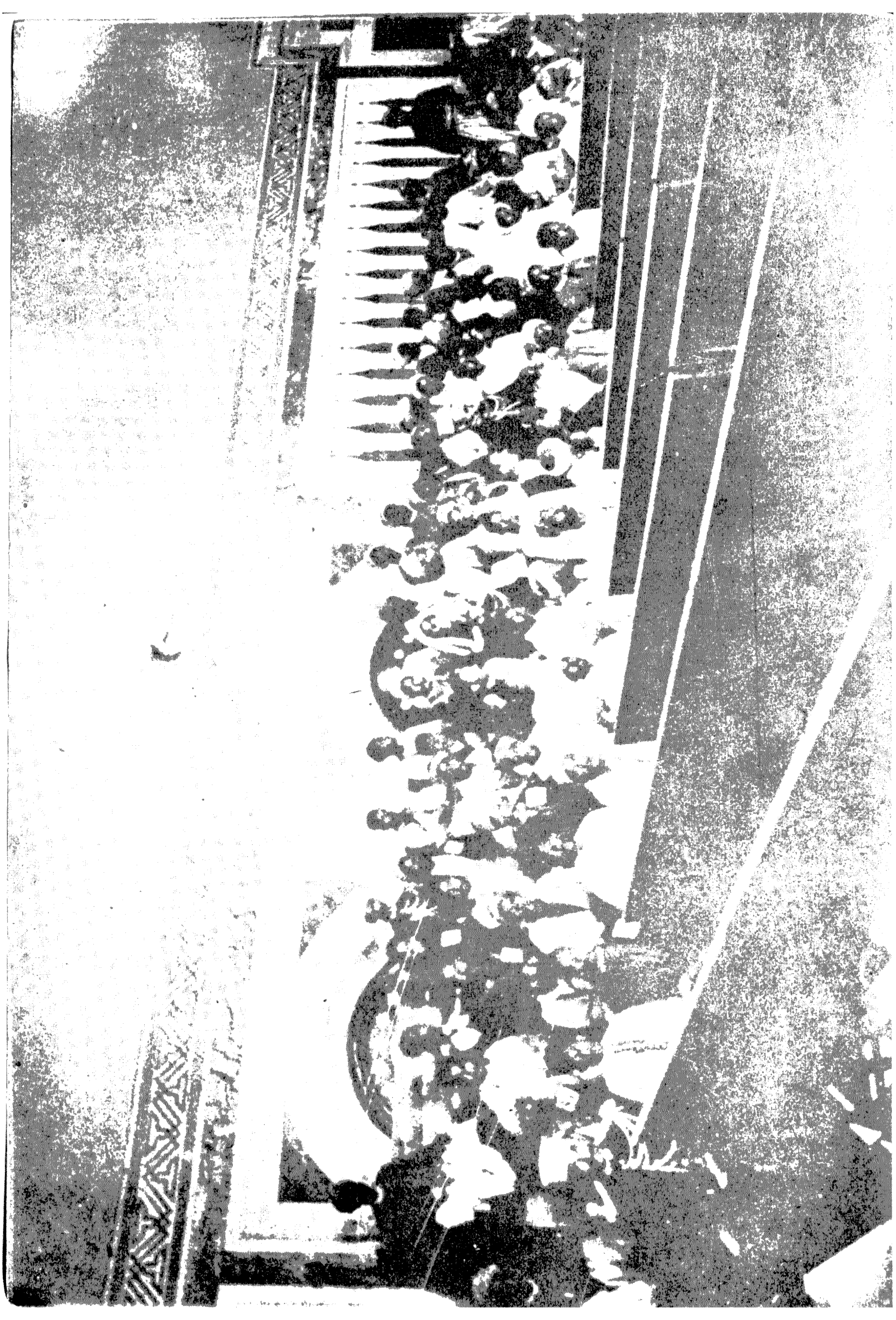
القبطان « بونميزون »
قائد الجندرمة بدائرة العاصمة



الميسيو « جوافر » مترجم المحكمة



الميسيو « بروال » العدل المنفذ لدى المحكمة





المتهم الرئيسي
في حوادث الزلاج.



المتهم رقم (1) : الشاذلي القطاري



المتهم رقم (6) : عبد الله والي



المتهم رقم (8) : محمد بن علي الشاذلي



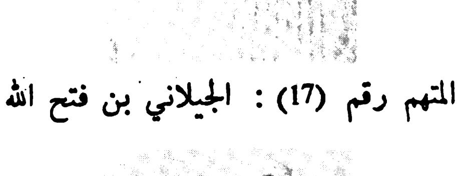
المتهم رقم (11) : محمد الغربي



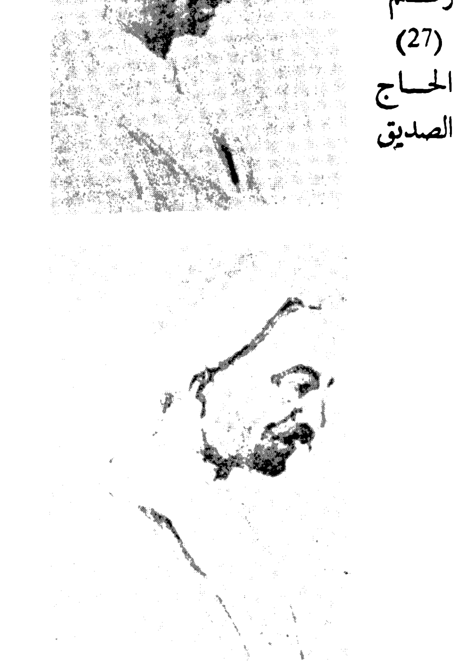
المتهمون



المتهم رقم (15) : محمد القابسي



المتهم رقم (17) : الجيلاني بن فتح الله



المتهم رقم (27) الحاج الصديق



المتهم رقم (29) الحاج ممحد الجبالي

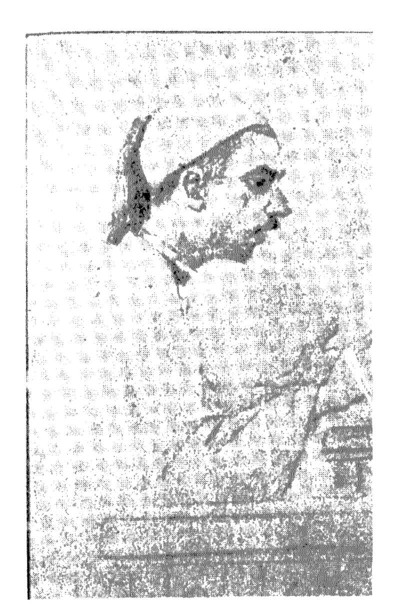
المتهم رقم (33) : ميلود بن علي



المتهم رقم (34) : مبارك العائش



المتهم رقم (37) : الطيب بلغيث



المتهم رقم (40) : محمد الخمار



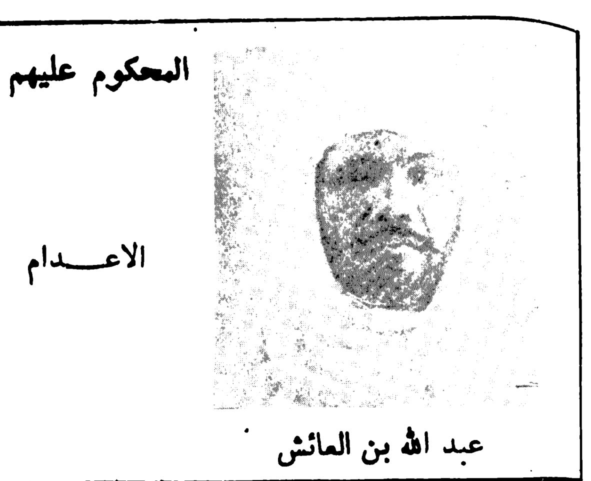
المتهم رقم (55) : محمد الجلاصي



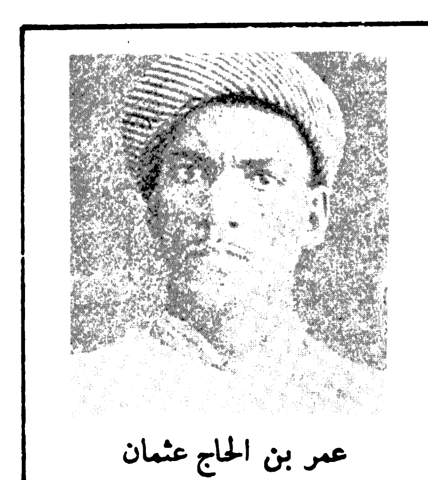
المتهم رقم (58) : سليمان الزواوي

المحكوم عليهم

الاعــدام



عبد الله بن العائش



عمر بن الحاج عثمان

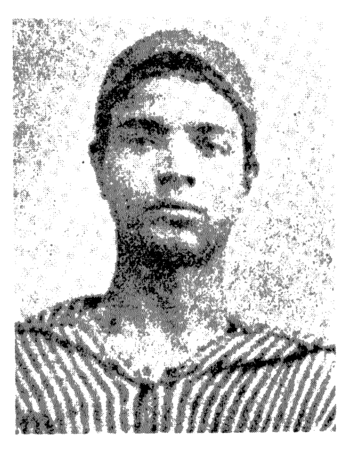


محمد بن قدور الصياح

الاشغال الشاقة مدى الحياة



محمد بن قــارة



عبد القادر بــن عمر



محمد الجاشور

المصـــادر

جريدة (الحاضرة) التونسية : 1911

جريدة (الزهرة) التونسية : 1911 — 1912

جريدة (المنار) التونسية : 1912

مجلة (المنار) التونسية : 1912

جريدة (الاسبوع) المصرية : 1950

رسالة الشكوى الاهلية من كثرة الضرائب : تاليف الشاذلي درغوث المطبعة التونسية 1910

الحركة الادبية والفكرية في تونس تاليف محمد الفاضـــل ابن عاشور — جامعة الدول العربية 1956

شمال افريقيا في الماضي والحاضر والمستقبل : طبع دار المعارف بمصر

هذه تونس : تاليف الدكتور الحبيب ثامر — مطبعة الرسالة بمصر 1948

ديوان خزنة دار : (ج1)

جريدة (اظهار الحق) : 1904

La Dépêche Tunisienne : 1911 - 1912

La Tunisie Illustrée : 1912

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة